

البحث اللّساني عند العرب مناهجه وتطوّره

الدكتور عبد القادر بن التواتي

الطبعة الثانية
2021

البحث اللساني عند العرب

- مناهجه وتطوره -

الدكتور
عبد القادر بن التواتي

الطبعة الثانية

2021



دار الضحى للنشر والإشهار

الجلفة - الجزائر

Dareldouha2014@gmail.com

027.92.27.38/05.50.87.37.71

الطبعة الثانية

2021

الإيداع القانوني: جوان

ردمك: 978-9931-835-17-2

حقوق التأليف محفوظة للمؤلف

تصميم وتنسيق حمدي مصطفى الأزهر

@gmail.com3hamdilazhar



الاهداء

إلى والدي الأستاذ الدكتور الشيخ بن التواتي الحاج التواتي - حفظه الله ورعاه

-

إلى جوبر فريجة التي كانت نعم الأم والمربية

- رحمها الله وجعل الجنة مأواها -

البحث اللساني عند العرب

مقدمة:

الحديث عن مناهج الدراسة اللغوية التي عرفتها اللغة العربية قديما وحديثا من أصعب الموضوعات، وأكثرها تشعبا، وضبطها بدقة علمية، بجزئياتها ومناهجها الثانوية، والمؤاخذات بين النحاة قديما وحديثا. يحتاج الباحث فيها إلى زمن غير يسير، واطلاع واسع على مصادرها ومراجعتها قديمها وحديثها، وقد يتجاوز البحث إلى وضع أجزاء كثيرة، ولا يسعه أن يلمّ بالموضوع. لذلك ارتأيت أن أحصر موضوع هذه الدراسة في ثلاثة مناهج كبرى أساسية ميّزت الدرس اللغوي العربي وهي: المنهج اللغوي الأصيل، والمنهج اللغوي المهجين، والمنهج اللغوي الحديث، وتنضوي تحت كل منهج من هذه المناهج الثلاث: مناهج صغرى، أفرزتها وقائع وتيارات مختلفة، علمية أحيانا ونتيجة صراعات لغوية متعصبة أحيانا أخرى، وأحيانا تسلط الترف العقلي على النفوس والعقول، فسُردت أفكار وآراء لا أساس لها ولا محتوى. أصبح فيها الكل ينظر ويبني القواعد ويفرضها فرضا، وأحيانا تجارب فاشلة خضعت فيها اللغة العربية لعدة مناهج مستوردة!!.

- مرحلة المنهج الأصيل:

وهي تمثل التععيد، واستنباط النظريات العلمية وهو موضوعنا بالدرجة الأولى.

وعلى ضوء ذلك سميت المرحلة قبلها: طور الوضع والتكوين (بصري) ولم أشأ أن أتكلم عنها بتفاصيلها، لأنها أصبحت من الموضوعات المتداولة، إذ أشبعت بحثا وتنقيا، وقيل فيها ما قيل من آراء مختلفة، كل حسب مرجعيته ومنطلقه الفكري واللغوي، لكنهم جميعا يتفقون على أن الدافع الوحيد لنشأتها، هو شيوع اللحن في لغة العرب، وتعداه لكتاب الله-عزّ وجلّ- (القرآن

البحث اللساني عند العرب

الكريم) . وهذا حكم لا ينفيه أحد حتى المستشرقون يقول روبنز(*) : والدراسات اللغوية العربية، استمدت روحها من [الأدب الديني] وهو القرآن الكريم في حالة العرب، والقرآن بوصفه الكتاب المقدس للإسلام، وكلام الله الموحى به للنبي محمد [صلى الله عليه وسلم] كان هو رباط الوحدة على نطاق الأراضي الخاضعة للعرب كلها..⁽¹⁾ فوضعوا خطة دقيقة ذكية في جمع اللغة من البوادي حدّدت زمانا ومكانا، حتى توفرت لديهم مدوّنة ضخمة شملت بعض لغات العرب، لأن الجامعين اعتمدوا على قبائل معينة ذكرها الفارابي وفصل السيوطي حقيقتها في الاقتراح، وهي قبائل (تميم، طيء وقيس وبعض هذيل وكثانة)

والحقيقة أن إهمال القبائل الأخرى أدى إلى ضياع الكثير من لهجات العرب، وإن كان ما يبرره، فإن أثر ذلك كبير خاصة في موضوع القراءات التي لم يقف القراء على وجوه بعضها يوافق العربية فصنفت ضمن ما يعرف بالقراءات الشاذة.. واختلاف القراء في هذا النوع من القراءة من حيث القبول والرّد كبير. يقول أحمد مختار عمر: إن عنايتهم باللهجات كانت ضئيلة، فهم قد أبعّدوا أجزاء منها من مجال التسجيل اللغوي⁽²⁾ أضيف لها القرآن الكريم وأحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم-.

المرحلة الثانية: هي النضج والكمال (بصري، كوفي) . كان الحديث فيها مباشرة عن منهج أبحاث الخليل بن أحمد صاحب العقل الراجح الجبار المبتكر الذي قلّ أن يوجد له نظير في علماء العصر، وباعتباره أول منظر للعربية، ومؤسس علم النحو وعلم العروض، وواضع أول معجم

* - هو أستاذ علم اللغة في جامعة لندن، والسكرتير الشرفي للجمعية الفلسفية، له مساهماته في النشاط العلمي اللغوي في الولايات المتحدة منذ الخمسينيات، كما ساهم بكثير من المقالات في الدوريات العلمية مثل مجلة الجمعية الفلسفية ومجلة bulletin الخاصة بمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية (soas) . من أهم {لفاته

كتاب General Linguistics An Introductory Servey

¹ - ر.ه. روبنز - موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص: 171

² - أحمد مختار عمر - البحث اللغوي عند العرب - ص: 39

البحث اللساني عند العرب

عربي، وسنتطرق إلى مَنْ جاء بعده سيويوه والأخفش الأوسط وابن جني والرضي ... وغيرهم باعتبارهم من يمثل المنهج الخليلي، والكوفة في ذلك تابعة للبصرة، بل إن نحوها ما هو إلا امتداد للبصريين، واجتهادهم ما هو إلا ما تركه سيويوه وتلامذته خاصة الأخفش.

- مرحلة المنهج الهجين:

سُميت بطور الترجيح والبسط في التصنيف (بغدادى وأندلسي ومصري وشامي). وهي مرحلة البحث الهجين، وفيها تبيان أثر الفلسفة الإسلامية ثم المنطق والفلسفة اليونانية في المنهج العقلي العربي، وما ترتب عن ذلك من خروج عن المفاهيم الأصيلية، وانحراف المصطلحات عن دلالتها الحقيقية الجوهرية التي وضعت من أجلها، كما ركزت على ابن مضاء الأندلسي، وقضية العامل والمعمول، وما أتهم به هذا الباحث وعلاقته التكاملية بسيويوه وابن جني وابن الأنباري في تحليل مفهوم أن العامل في الحركة الإعرابية هو المتكلم ...

- مرحلة البحث الحديث:

وفي المرحلة الأخيرة بينت أهم مدارس البحث اللغوي الأصيلية والدخيلة وأهم التيارات التي تمثلها، ولتشعب الموضوع وكثرة المناهج الثانوية وتعدد النزعات الفكرية عند الباحثين، اكتفيت بذكر الرُّواد حديثاً الذين تميزوا أمثال: عبد الرحمان الحاج الصالح، تمام حسان نهاد موسى عبده الراجحي جعفر دك الباب... وتركت الكثير منهم باستثناء بعض الإشارات الضرورية الهامة.

وأتصور أن هناك من لا يعجبه هذا التقسيم، وهذا أمر طبيعي، فكلُّ يُصدر من منطلقه وتوجّهه، بشرط عدم التعصب والرجوع للحق إن ثبت، أما التعصب الأعمى، والمخالفة من أجل المخالفة، فإنهما لا يخدمان العلم، ولا يكونان الشخصية العلمية.

البحث اللساني عند العرب

ومن هذا المنطلق ثبت لي أن البحث اللساني العربي يشكو من علل كثيرة وعميقة، أهمها الاختلاف والتنازع وانعدام التحاور والتكامل بين فئاته الباحثة، فكل في فلك يسبحون، تربطهم علاقات وصلت درجة التجريح والاحتقار بينهم من يقلل من شأن الآخر وطغت تسميات، فقيل تراثي مقلد محافظ وحدائي مجدد مستغرب.... وهكذا.

وإذا قدر لنا الحكم على هذا الواقع فنقول بأنه طبيعي، بالنظر إلى التراث العربي خاصة سُراح النظريات من المتأخرين من النحاة، الذين شرحوا كتاب سيبويه شرحاً ناقصاً، عندما ركزوا على الجوانب النحوية التعليمية، وأهملوا كلياً المفاهيم العلمية، التي هي أساس البحث يقول مازن الوعر: وتراثي أذهب أبعد مما ذهب إليه أستاذنا الدكتور الحاج صالح الذي رأى كتاب سيبويه ذو جانبين اثنين جانب علمي وجانب تعليمي بيداغوجي فأقول إنه من استقراء النظرية التوليدية والتحويلية في مراحل كثيرة من تطورها تبين لي أن كتاب سيبويه لم يتلق مع اتجاه تشومسكي العلمي فحسب بل إنه طرح أيضاً مفاهيم رفيعة جداً في اللسانيات الشكلية⁽¹⁾.

¹ - مازن الوعر - جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب في ضوء نظرية النحو العالمي لتشومسكي - ص:

الفصل الأول

مرحلة المنهج الأصيل

- التعريف اللغوي لكلمة منهج:

من أدق وأوضح وأشمل ما جاء في كتب اللغة والمعاجم العربية، ما ذُكر في كتاب الفروق اللغوية قوله: المنهج والمنهاج: الطريق الواضح، ثم استعير للطريق في الدين كما استعيرت الشريعة لها. والشريعة بمعنى المنهاج⁽¹⁾. أما في تاج العروس في باب نهج فقال: " النهج " بفتح فسكون ": الطَّرِيقُ الواضِحُ " البينُ . وهو النَّهْجُ محرَّكَةً أَيضاً . والجمع نَهَجَاتٌ ونهَجٌ ونهوجٌ، ... وفلان " استنهج " طريقَ فلانٍ ": إذا " سَلَكَ مَسْلَكَه " . ومما يستدرك عليه: طريقٌ ناهِجَةٌ: أي واضحةٌ بينةٌ⁽²⁾

- التعريف الاصطلاحي لكلمة منهج:

هو الطريق الذي يقود الباحث إلى بلوغ هدفه وغايته، وفق المنطق والمرجعية والأصول، ونعني بذلك أن الخطة تبنى عليهم، إذ لا يمكن أبدا الانطلاق من الفراغ أو التصور العقلي لوحده، فإدانة البحث هي التي تفرض منهاجا معينا، يتلاءم مع حقيقتها وطبيعتها. وهذا ما أدركه النحاة الأولون لذلك أقاموا منهجهم وفق أصولهم الثلاث (القرآن الكريم الحديث الشريف والعربية السلفية) .

- منهج الخليل بن أحمد (100 - ت 175) :

والحديث هنا لا عن حياة الخليل (المولد والنشأة...) ، لأن كتب التراجم والأنساب تزخر بهذا الرجل العالم الفذ، الذي قال فيه أبو حيان الأندلسي 745هـ: إذ هو المطلع على

1 - أبو هلال العسكري - الفروق اللغوية - ص: 298

2 - الزبيدي - تاج العروس من جواهر القاموس - ج/1، ص: 1526

البحث اللساني عند العرب

الإعراب، والمبدي من معالمة ما درس، والمنطق من لسانه ما خرس، والمحبي من رفاته ما رمس، والرآد من نظائره ما طمس، فجدير بمن تاقت إلى علم التفسير، وترقت إلى التحقيق فيه والتحرير أن يعتكف على كتاب سيويوه⁽¹⁾ حتى غدا أشهر من علم، وعليه سنتطرق إلى مراحل حياته العلمية، والمنهج الذي اتبعه في تععيد القواعد، واستنباط الأحكام حتى نتأكد من حقيقة هذا المنهج الذي هو أساس هذه الدراسة، ويتبع بما قاله المستشرقون، وبعض الباحثين المحدثين العرب عنه .

- منهجه في معجمه العين:

قبل الحديث عن معجم العين للخليل، أريد أن أشير إشارة عابرة إلى ما قيل عن نسبه إليه، إذ هناك من يرى أن المعجم ليس له، وإنما نسب إليه فقط، وهذا الموقف ليس من منطلق التقليل والانتقاص من مجهود الخليل، وإنما ما ورد في المعجم من نقص، وبعض الأخطاء التي يتنزه الخليل عن الوقوع فيها لذلك نسبه لغيره.

وجلية الأمر حتى لا يطول النقاش فيها نورد ما ذكره السيوطي في المزهرة قال بعضهم: ليس كتاب العين للخليل، وإنما هو لليث بن نصر بن سيار الخراساني.

وقال الأزهري: كان الليث رجلاً صالحاً عمل كتاب العين ونسبه إلى الخليل لينفق كتابه باسمه، ويرغب فيه من حوله.

وقال ابن المعتز: كان الخليل منقطعاً إلى الليث، فلما صنف كتابه العين خصه به، فخطي عنده جداً، ووقع منه موقعا عظيماً، ووهب له مائة ألف، وأقبل على حفظه وملازمته؛ فحفظ منه النصف. وهذا رأي لا يقبله أحد ممن عرف الخليل وأخلاق الخليل، فما كان ليبيع علمه، وهو كان لا ينتفع به كما انتفع تلامذته.

¹ - أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط في التفسير - ج/1، ص: 11

البحث اللساني عند العرب

وقيل: اتفق أنه اشترى (الليث) جارية نفيسة؛ فغارت ابنة عمه، وقالت: والله لأغيظنه، وإن غظته في المال لا يبالي؛ ولكني أراه مكبا ليله ونهاره على هذا الكتاب، والله لأفجعه به؛ فأحرقته، فلما علم اشتد أسفه، ولم يكن عند غيره منه نسخة، وكان الخليل قد مات فأملى النصف من حفظه، وجمع علماء عصره، وأمرهم أن يكلموه على نمطه، وقال لهم: مثلوا واجتهدوا؛ فعملوا هذا التصنيف الذي بأيدي الناس، أورد ذلك ياقوت الحموي في معجم الأدباء.

وقال ابن جني في الخصائص: أما كتاب العين ففيه من التخليط والخلل والفساد ما لا يجوز أن يحمل على أصغر أتباع الخليل، فضلا عن نفسه، ولا محالة أن هذا التخليط لحق هذا الكتاب من قبل غيره؛ فإن كان للخليل فيه عمل فعله أو ما إلى عمل هذا الكتاب إيماء ولم يله بنفسه، ولا قرره ولا حرره. وقال النووي في تحرير التنبيه: كتاب العين المنسوب إلى الخليل إنما هو من جمع الليث عن الخليل.

وقال أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي في كتاب مراتب النحويين: أبدع الخليل بدائع لم يسبق إليها؛ فمن ذلك تأليفه كلام العرب على الحروف في كتابه المسمى كتاب العين؛ فإنه هو الذي رتب أبوابه، وتوفي من قبل أن يحشوه.

أخبرنا محمد بن يحيى قال: سمعت أحمد بن يحيى ثعلب يقول: إنما وقع الغلط في كتاب العين؛ لأن الخليل رسمه ولم يحشه، ولو كان هو حشاه ما بقي فيه شيء؛ لأن الخليل رجل لم ير مثله، وقد حشا الكتاب أيضا قوم علماء، إلا أنه لم يؤخذ منهم رواية، وإنما وجد بنقل الوراقين؛ فاختل الكتاب لهذه الجهة⁽¹⁾.

¹ - السيوطي - المزهري في علوم اللغة - ج/1، ص: 242

تعليق:

هذه النصوص الكثيرة الطويلة التي أوردها السيوطي، تدور جميعها حول الخليل والليث، والخروج من الجدل برأي مفاده أن الخليل عمل المعجم، ولم يحشوه، وترك أمره لليث، وبالتالي فهو المسئول عما شابه من تخطيط وأخطاء.

ألف الخليل معجم العين، ولم يكن للعرب قبل ذلك معجم، جمعت فيه ألفاظ لغتهم، باستثناء ما قام به المصنفون (الأصمعي 213هـ، وأبو زيد 214هـ،... وغيرهم. فقد خرج هؤلاء اللغويون إلى البادية في عمل ميداني رائد، وجمعوا من ألفاظ العربية ما جمعوا، وميزوا الفروق بينها، فألفوا في ذلك رسائل هامة، فألف الأصمعي كتابا في خلق الإنسان، والإبل والخليل والوحوش والنبات والشجر، وألف أبو زيد في اللبن والمطر والنبات والشجر. وهذه المؤلفات تعتبر رسائل لغوية لها أهميتها وقيمتها العلمية، ولكن لا ترقى إطلاقا إلى مستوى العمل المعجمي.

وجد الخليل أن الحروف التي تكلمت بها العرب أ، ب، ت، ث، ج، ح فكانت مدار كلامهم وألفاظهم، فلا يخرج منها عنه شيء. فأعمل فكره في هذه الحروف المرتبة فلم يمكنه أن يبتدئ التأليف من أول ا، ب، ت، ث، وهو الألف، لأن الألف حرف معتل فلها فاته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني وهو الباء⁽¹⁾.

هناك عبارتان أساسيتان في هذا النص هما: أعمل فكره، وكره أن يبتدئ بالثاني. فإعمال الفكر دلالة على الموضوعية، وهي إحدى أسس المنهج العلمي، وقد ذكر ابن الهيثم بعد ذلك بزمن في معرض حديثه عن مراحل البحث العلمي في الظواهر الجامدة عن دور العقل، وضرورة تجنب الذاتية، لنصل إلى ما يثلج الصدر، فهذه إحدى مقومات المنهج العلمي على بساطة الخليل، أما الثانية فرفضه لأول الحروف، وكرهته الانطلاق بالثاني.

¹ - الخليل - العين - ج/1 ص: 1

البحث اللساني عند العرب

- الأول قال: فلأنه معتل، والمعتل تطراً عليه تغيرات من تغير الصوت (الحرف) من أصله إلى أصوات أخرى تعبر عليه في الدلالة خاصة. وبالتالي لا يمكن الانطلاق من متغير.

- الثاني قال: كراهة الانطلاق من ثاني الحروف، لأن ذلك يفسد البناء الذي هو بصدد إقامته، والبناء يحتاج إلى أساس قويم، وبالتالي بناء الأحكام، وما يبني من أحكام على الأحكام ذاتها، فهذان الموقفان يدلان على أكثر من معنى. سأكتفي بذكر اثنتين منها فقط.

أولهما: أنه كان - رحمه الله - باحث أكاديمي، يملك جميع مقومات ومؤهلات الباحث المتمكن من البحث العلمي الدقيق والشامل.

ثانيهما: بيداغوجي أدرك سر العلم، وطرق تحصيله، وكيفيات تقديمه لطلابه وصدق حين قال-رحمه الله-: ليس العلم ما حواه القمطر، إنما العلم ما وعاه الصدر، وإذا جمع العالم ثلاثاً تمت النعمة به على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق، وإذا جمع المتعلم ثلاثاً تمت النعمة به على العالم العقل والأدب وحسن الفهم والله أعلم⁽¹⁾.

وضع الخليل ترتيباً جديداً، اعتمد فيه على الحروف حسب مخرجها من أقصى الخلق إلى الأصوات الشفوية قال الخليل: في العربية تسعة وعشرون حرفاً: منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياناً ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الخلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تُنسب إليه إلا الجوف. وكان يقول كثيراً: الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء⁽²⁾. وهذا ترتيبها كما وردت في العين: ع، ح، ه، خ، غ، - ق، ك - ج، ش، ض، - ص، س، ز - ط، د، ت - ظ، ث، ذ - ر، ل، ن - ف، ب، م - فهذه الحروف الصحاح (و، ا، ي) همزة (حروف علة) فهذه تسعة

¹ - أبو طالب المكي - قوت القلوب - ج/1، ص: 207

² - الخليل - العين - ج/1، ص: 1

البحث اللساني عند العرب

وعشرون حرفاً منها أبنية كلام العرب⁽¹⁾. وهذا الترتيب لم يسبقه إليه أحد من قبل يقول روبنز: وبالإضافة لما سبق، أنجز سيوييه وصفا صوتيا مستقلا للأبجدية العربية، فقد كان سابقا لعلم الأصوات الغربي السالف والمعاصر، وسيوييه وقواعديون عرب آخرون كانوا قادرين على وصف أعضاء الكلام وميكانيكية النطق بشكل نظامي، مفسرين النطق باعتباره اصطداما لتشكيلات الممر الصوتي المختلفة بهواء الزفير بطرق مختلفة، وطرق النطق أطلق عليها مصطلح [المخرج] وقد كان القواعديون العرب عن طريق البدء من الخلف إلى الأمام، أي من الحلق إلى شفاه والأنف قادرين على وصف الأصوات الجزئية للغة العربية بمصطلحات فنية واضحة، كما حددت بشكل صحيح ملامح مثل النطق المطبق velarized للصوامت المفخمة emphatic ومثل إطباق velarization الصوائت وتغيرها palatalization في سياقات صوتية معينة⁽²⁾.

ويلاحظ أن الرجل ينسب الترتيب الصوتي لسيوييه لا إلى الخليل ويبدو هذا عفويا، ولكن الأمر عكس ذلك لأنه يعرف الخليل ويعلم أنه هو من وضع هذا الترتيب ولم يشأ أن يذكره بدافع ما!! يقول: وكان سيوييه تلميذ الخليل الذي اشتغل هو نفسه بنظرية العروض والمعجم.....⁽³⁾.

فهو يعرف الخليل، وذكر سيوييه لأن سيوييه فارسي والخليل عربي قال في بداية حديثه عن البحث اللغوي العربي: بلغت القواعد العربية ذروتها في نهاية القرن الثامن في قواعد سيوييه البصري، وإنه لأمر ذو دلالة أن يكون سيوييه نفسه فارسيا وليس عربيا وهذا يشهد بالتالي على الحافظ الدائم للبحث اللغوي الكامن في الاحتكاك اللغوي المفروض ثقافيا⁽⁴⁾ مما يعني أن السيد روبنز من تأكيده على فارسية سيوييه، إلى البحث اللغوي والاحتكاك المفروض، بعبارة أوضح

¹ - المصدر السابق - ج/1 ص: 9

² - ر.ه.روينز - موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص: 173

³ - المرجع نفسه، ص: 172

⁴ - المرجع نفسه، ص: 172

البحث اللساني عند العرب

أن البحث اللغوي العربي كان نتيجة الاحتكاك بالثقافة الفارسية من خلال الوافدين على الإسلام من الفرس وهنا نلاحظ العداء لكل ما هو عربي أصيل والحمد لله أن الخليل عربي، وإلا ساءت الأمور أكثر مما هي عليه.

ذكر سيبويه أن الخليل سأل أصحابه عن كيفية لفظ الكاف من نحو (لك) ، والباء من (ضرب) ف قيل: كَفٌ، بَاءٌ، فَأَجَابَ أَنْ اسْمَ الْحَرْفِ لَا لَفْظَهُ، وَأَنَّ الصَّوَابَ: كَهْ، بِهِ. وَإِذَا وَصَلْتَ قَلْتَ: كَ وَبَ فَاعْلَمْ وَيَجُوزُ أَنْ تَزِيدَ الْأَلْفَ بَدَلًا مِنَ الْهَاءِ، فَتَقُولُ: كَا، بَا. ثُمَّ سَأَلَهُمْ عَنِ كَيْفِيَّةِ لَفْظِ الْيَاءِ مِنْ نَظِيرِ (غَلَامِي) ، وَالْبَاءِ مِنْ مِثْلِ (اضْرِبْ) ، وَالِدَالِ مِنْ نَحْوِ (قَدْ) فَقِيلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَبَيْنَ لَهُمْ أَنَّ الصَّوَابَ: أَيُّ، أَبٌ، أَدٌ، بِإِلْحَاقِ هَمْزَةٍ وَصَلَ قِيلَ الْحَرْفُ (1) .

وهذه حكمة اختياره حرف العين كأول ما بدأ به في معجمه، من بين المجموعة: اب، ات، ائ، اع، اغ،

وقد برر ابن جني هذا المفهوم بقوله وذلك أن الحرف الساكن ليست حاله إذا أدرجته إلى ما بعده كحاله لو وقفت عليه. وذلك لأن من الحروف حروفاً إذا وقفت عليها لحقها صوت ما من بعدها، فإذا أدرجتها إلى ما بعدها ضعف ذلك الصوت، وتضاءل للحس، نحو قولك، إح، إص، إث، إف، إخ، إك (2) . وبالتالي كان الخليل أكثر إدراكاً للبعد الصوتي في حالات عدم تأثره بما قبله وبما بعده. وهذا شأن كبير عند علماء القراءات، الذين هم علماء أصوات بالدرجة

¹ - سيبويه - الكتاب، ج/2 ص: 61

² - ابن جني - الخصائص، ج/1، ص: 15

الأولى، إذ مبتغاهم ضبط صيغة الصوت كما وردت في أصلها وهو الوحي، فهي نظام صوتي إلهي دقيق⁽¹⁾.

فبدأ الخليل بالعين، لأنها أحسن في التأليف من الابتداء بالهمزة التي يلحقها النقص والتغيير والحذف... فهي حرف معتل ليست له صورة ثابتة صوتياً ولا خطياً من جهة، ومن جهة أخرى كونها حرف هوائي ليس له حيز ينسب إليه، أما العين فهي أقرب الحروف الصراح إلى الجوف قال: لم أبدأ بالهمزة؛ لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف، لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء، لأنها مهموسة خفية لا صوت لها؛ فنزلت إلى الحيز الثاني، وفيه العين والحاء، فوجدت العين أنصع الحرفين؛ فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف، وليس العلم بتقديم شيء على شيء؛ لأنه كلف مما يحتاج إلى معرفته؛ فبأي بدأت كان حسناً، وأولاهما بالتقديم أكثرها تصرفاً⁽²⁾. ومنه قسم الحروف إلى مجموعات متقاربة اشتق أسماءها من أسماء المواضع التي تخرج منها الحروف.

- مخارج الحروف عند الخليل:

- 1- الحلقيّة لأن مبدأها من الحلق وهي: العين الحاء والهاء والحاء والغين.
- 2- اللهوية لأن مبدأها من اللهاة وهما لهويتان: القاف والكاف.
- 3- الشجرية لأن مبدأها من شجر الفم وهي: الشين والجيم والضاد والياء.
- 4- الأسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهي: الصاد والسين والزاي.

¹ - القراءة منهج أدائي مأخوذ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فهي وحي، وبعض المدرّسين اللسانيين يطبقون مبادئ التقطيع المزدوج المارتني؛ وهيئات هيئات أن يكون مارتني وغير مارتني قادراً على إدراك أسرار الأصوات القرآنية. فيجب ردع هؤلاء عن مثل هذه الأعمال التي تتنافى مع الشرع.

² - السيوطي - المزهر في علوم اللغة - ج/1، ص: 90

البحث اللساني عند العرب

- 5- النطقية لأن مبدأها من نطق الغار الأعلى، وهي: الطاء والذال والتاء.
- 6- اللثوية لأن مبدأها من اللثة، وهي: الظاء والتاء والذال.
- 7- الذلقية لأن مبدأها من ذلق اللسان وهي: الراء واللام والنون.
- 8- الشفهية أو الشفوية لأن مبدأها من الشفة، وهي الفاء والباء والواو والميم.
- 9- الجوفية أو الهوائية وليس لها حيز على طريقة الصحاح فتنسب إلى الجوف أو الهواء وهي: الألف اللينة والواو والياء المديتان.

ولم يكتف الخليل عند ذلك فحسب، بل أعطى صفاتها ومما ذكره من صفات الحروف قال في باب الإبدال بين الأصوات لتناسب النطق وتسهيله فقال بين الذال والزاي: ضارعوا به أشبه الحروف بالذال من موضعه وهي الزاي، لأنها مجهورة غير مطبقة. ولم يبدلها زايًا خالصةً كراهية الإجحاف بها للإطباق. أما السين والصاد وهي من حروف الإطباق: فأبدلوا السين صادًا كما أبدلوا حين لم يكن بينهما شيء في: صقت ونحوه. ولم تكن المضارعة هنا الوجه، لأنك تخل بالصاد، لأنها مطبقة. وأما الحرف الذي ليس من موضعه فالشين، لأنها استطالت حتى خالطت أعلى الثنيتين، وهي في الهمس والرخاوة كالصاد والسين، وإذا أجريت فيها الصوت وجدت ذلك بين طرف لسانك وانفراج أعلى الثنيتين. إذا أدغمت النون في الميم وقد قربوها منها في افتعلوا، حين قالوا اجدمعوا أي اجتمعوا، واجدرءوا، يريد اجترءوا، لما قربها منها في الدال وكان حرفاً مجهوراً، قربها منها في افتعل لتبدل 462 فإذا قلت زقاً أو زلق لم تغيرها، لأنها حرف مجهور أن تجعل الذال ظاء لأنهما مجهورتان ومثلان في الرخاوة⁽¹⁾

¹ - سيبويه - الكتاب - ج/1، ص: 461 - 462

البحث اللساني عند العرب

ثم بدأ يستنبط من كلام العرب، فوجد أنه مركب من: المضاعف الذي ابتداءً به فقال: وبدأنا الأبنية بالمضاعف، لأنه أخف على اللسان وأقرب مأخذاً للمتفهم⁽¹⁾. باب (العين مع الحاء والهاء والخاء والغين) ، قال الخليل: إن العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما. إلا إن جمع بين كلمتين مثل حيٍّ على فتصبح حيعل ويستشهد من كلام العرب قال: كقول الشاعر:

ألا رب طيفٍ بات
إلى أن دعا داعي

يريد: قال: "حيٍّ على الفلاح" أو كما قال الآخر:

فبات خيال طيفك لي
إلى أن حيعل الداعي

الثنائي: فبدأ: (عق-قع) وقال: العرب تقول: عقَّ الرجل عن ابنه يعق إذا حلق عقيقته وذبح عنه شاة وتسمى الشاة التي تُذبح لذلك: عقيقة⁽²⁾.

العين والكاف قال: عك: العُكَّة عكة السمن أصغر من القرية، وتجمع عكاكا وعكا. والأُكَّة لغة في العكة فورة الحر شديدة في القيظ⁽³⁾ (العين والجيم) (العين والضاد) (العين والصاد) (العين والسين)

وراح الخليل يقف على جميع ما قالت العرب في ذلك حتى أنه كان يتعدى صفحات طوال في دراسة وتحليل لفظ واحد.

1 - الخليل - العين - ج/1 ص: 5

2 - المصدر نفسه - ج/1 ص: 5

3 - المصدر نفسه - ج/1 ص: 7

البحث اللساني عند العرب

الثلاثي: ومثال ذلك: (العين والهاء والكاف) ، (العين والهاء والكاف) ، (العين والهاء والجم) .

الرباعي: (من العين هجرع) ، والخماسي ، (الخماسي من العين) وفيها ذكر الخليل قولاً ينم على إمامه الكبير بالعربية.

الخُماسيُّ: من الكلمة على خمسة أحرف، ولا بدَّ أن يكونَ من تلك الخمسة واحدٌ أو اثنان من الحروف الذَّلَق: ر، ل، ن، ف، ب، م، فإذا جاءت كلمة رباعية أو خماسية لا يكون فيها واحد من هذه الستة، فاعلم أنها ليست بعربية. قال: فإن قلت مثل ماذا؟ قال: إن سئلت عن الحضائج، فقل: ليست بعربية، لأنه ليس فيها شيء من تلك الأحرف الستة. وكذلك لو قيل لك ما الخَضَعَج؟ فقل: ليست بعربية لأنه ليس فيه من تلك الأحرف الستة شيءٌ. فمن الخماسي: (عفنقس وعقنفس) ⁽¹⁾ وهكذا ولا أريد أكثر مما جاء في العين، وإنما أوردت نماذجاً توحى بغزارة المادة المعجمية التي توفرت للخليل نتيجة الجمع والاستنباط لاستخلاص المعاني والدلالات.

وما توصل إليه الخليل أثبت صحته البحث الصوتي الحديث بتقنياته المتطورة، مع أنه ما امتلك شيئاً سوى براعته الذاتية، وموهبته الفائقة، وذكاءه الحاد، ويظهر ذلك جلياً فيما قام به بعد توفر هذه المادة اللغوية، من تقليبات رياضية قال: اعلم أن الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين نحو: قد، دق والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه، والكلمة الرباعية تتصرف على أربعة وعشرين وجهاً والكلمة الخماسية تتصرف على مئة وعشرين وجهاً⁽²⁾.

أما الثنائي: (قد) ، (دق)

أما الثلاثي: (كتب) ، (بتك) ، (تبك) ، (كبت) ، (تكب) ، (بكت) .. ستة أوجه

¹ - الخليل - العين - ج/1 ص: 160

² - المصدر نفسه ج/1 ص: 5

البحث اللساني عند العرب

أما الرباعي: (عقرب) ، (عبرق) ، (عقبر) ، (عرقب) ، (عربق) ، (قعر ب) ، (قبر) ، (قبرع) ، (قرعب) ، (قربع) ، (رعب) ، (رعبق) ، (رقعب) ، (رعب) ، (ربقع) ، (ربقع) ، (ربعق) ، (بعرق) ، (بقرع) ، (برقع) ، (برعق) ، (برقع).....أربع وعشرون وجهها.

أما الخماسي قال الخليل: والكلمة الخماسية تُتصَّرَفُ على مئة وعشرين وجهها، وذلك أن حروفها، وهي خمسة أحرف تضرب في وجوه الرباعي، وهي أربعة وعشرون حرفاً فتصير مئة وعشرين وجهاً يُستعمل أقله ويُلغى أكثره. وهي نحو: (سَفَرَجِل) ، (سفرلج) ، (سَفَجِرل) ، (سجفرل) ، (سجرفل) ، (سرَجَل) ، (سرجفل) ، (سلجرف) ، (سلرَج) ، (سلفرج) ، (سجفِرل) ، (سرفلج) ، (سجفرل) ، (سلفجر) ، (سرجلف) ، (سجرفل) ، (سرجلف) ، (سجلفر) ، وهكذا⁽¹⁾. مئة وعشرون وجهها.

وبمنطق رياضي جمع الخليل اللغة العربية، بأدق وجوهها الاحتمالية الصوتية، ثم راح يقلب هذه الوجوه الصوتية، ويقف على المستعمل منها والمهمل.

جمع بين الثنائي ثم الثلاثي فالرباعي وأخيراً الخماسي فكان الناتج كالتالي: الثنائي:

$$756=27*28$$

$$19656=26*27*28$$

$$491400=56*26*27*28$$

$$11793600=24*26*27*28$$

¹ - المصدر السابق، ج1، ص: 5

البحث اللساني عند العرب

والخليل بذلك يكون أربع وأذكي من جامعي اللغة السابقين، ممن عاصرهم، والذين اعتمدوا على المشافهة والتدوين والتصنيف، وإن كان الخليل، قد استفاد كثيرا مما جمعوا خاصة في تحديد، وتميز المستعمل من المهمل في العين، بل إنه شافه العرب في الكثير من الألفاظ من خلال أصلها ودلالاتها، وعن جموع بعضها....

أورد صاحب تهذيب اللغة قال: قال الخليل بن أحمد لأعرابي: ما اسم هذا الطائر؟ قال البلصوص. قلت: ما جمعه؟ قال البلنصي قال: فقال الخليل كالبَلْصُوصِ يَتَّبِعُ البَلْنَصِيَّ⁽¹⁾ وهذا نموذج عن مشافهة الخليل للأعراب.

وصل الخليل إلى 11793600 مجموع اللفظ العربي في منتهى احتمالاته، وبطريقة لم يسبق إليها إطلاقا، حتى عند الشعوب التي سبقتنا في وضع المعجم، فهو تفرد بهدف غاب في معاجم الشعوب الأخرى، وهو تسجيل المادة اللغوية بصورة شاملة، وشرحها بطريقة منظمة، في حين أن معاجم الشعوب الأخرى مجرد قوائم لشرح الكلمات النادرة أو الصعبة.

- موقف المستشرقين من معجم العين:

لا عيب أكبر في البحث العلمي أن يخلو من النزاهة، وأن يخس الباحث أو المؤرخ وهو يدعي العلمية والموضوعية، عمل غيره، بدافع ما، (عربي، ديني...) وهو يدرك تمام الإدراك عبقريته وإبداعه، وقدرته على الاستنباط والتحليل والاكتشاف، وهي صفات الخليل في معجمه، غير أننا نجد هؤلاء الناس يحاولون إثبات نقيض ذلك، من خلال دعوى التأثير بالثقافات الأخرى، كالليونان والسرمان وغيرهم، والغريب أنهم أقاموا هذه الدعاوى على أسس واهية، لا يقبلها العقل، والأغرب من ذلك أن يتبعهم في دعواهم آخرون من قومنا وبني جلدتنا، وإليكم ما ذهب إليه بعض المستشرقين، ومن تبعهم من الباحثين المعاصرين العرب.

¹ - الأزهرى - تهذيب اللغة - ج/4، ص: 209

- المستشرقون:

اعتقد بعض المستشرقين المحدثين أن الخليل تأثر بالتراث اليوناني، وذهبوا إلى أن الخليل أخذ ترتيبه من المعاجم اليونانية، وأنه لا فضل له في ذلك، وحثهم أن الخليل عرف اليونانية، وأن الخليل تلقى حنين بن إسحاق ما ترجمه من تراث اليونان، وعندما بحثت عن هذا الرجل (حنين بن إسحاق) ، وجدت أن كتب التأريخ والترجمة تعج بحياته وبمواقفه، خاصة ترجمة العلوم اليونانية ففضله كبير.

وهذه أهم التعاريف بالرجل قال الزركلي: ابن حنين (215 - 298 هـ / 830 - 910 م) إسحاق بن حنين بن إسحاق العبادي: طبيب مترجم أفاد العربية بما نقله إليها من كتب الحكمة وشروحها، خدم بعض الخلفاء من بني العباس، وألف كتباً كثيرة، منها (الأدوية المفردة) و(اختصار كتاب إقليدس) و(آداب الفلاسفة ونواديرهم) و(تاريخ الأطباء) ومما ترجمه (كليات أرسطاطاليس) .

وقد ترجم إلى اللاتينية و(شرح مقالات أرسطو في علم النفس) من تأليف تامسطيوس، في خزانة القرويين بفاس (عنصر الموسيقى) رسالة ذكرت في مجلة معهد المخطوطات. وكان عارفاً باليونانية والسريانية، فصيحاً بالعربية. ولد ومات في بغداد وفلج في آخر عمره⁽¹⁾ .

وقبل أن أقف على هذا التعريف أريد أن أضيف تعريفات أخرى هامة. قال أيضاً: حنين بن إسحاق العبادي (194 / 260 هـ / 810 / 873 م) أبو زيد: طبيب، مؤرخ، مترجم: كان أبوه صيدلانياً، من أهل الحيرة (في العراق) وسافر حنين إلى البصرة فأخذ العربية عن الخليل بن أحمد، وانتقل إلى بغداد فأخذ الطب عن يوحنا بن ماسويه وغيره، وتمكن من اللغات اليونانية والسريانية والفارسية، فانتهت إليه رياسة العلم بها بين المترجمين، مع إحكامه العربية، وكان فصيحاً بها شاعراً.

¹ - الزركلي - الأعلام - ج/1 294

البحث اللساني عند العرب

اتصل بالمأمون فجعله رئيسا لديوان الترجمة، وقيل أنه بذل له الأموال والعطايا. وجعل بين يديه كتابا نحارير عالمين باللغات، كانوا يترجمون، ويتصفح حنين ما ترجموا فيصلح ما يرى فيه خطأ. ونلخص كثيرا من كتب أبقراط وجالينوس وأوضح معانيها.

وكان المأمون يعطيه من الذهب زنة ما ينقله إلى العربية من الكتب، فكان يختار لكتبه أغلظ الورق، ويأمر كتابه بخطوها بالحروف الكبيرة ويفسحوا بين السطور. ورحل رحلات كثيرة إلى فارس وبلاد الروم. وعاصر تسعة من الخلفاء. وكان يحفظ إلياذة هوميروس.

له كتب ومترجمات كثيرة تزيد على مئة، منها (تاريخ العالم والمبدأ والأنبياء والملوك والأمم) إلى زمنه، و(الفصول الابقراطية) في الطب، و(سلامان وأبسال) قصة مترجمة عن اليونانية، و(القول في حفظ الأسنان واستصلاحها) في الظاهرية بدمشق، و(الضوء وحقيقته) رسالة كتبها بالسريانية وترجمها إلى العربية قيم بن هلال الصابئي، وله كتاب (حلية البرء) مما ترجمه عن جالينوس، رأيت نسخة منه ناقصة الآخر، في مكتبة لورنزيانا، بفلورانس ومنه نسخة أخرى في خزانة القرويين تحوي جل المقالة الرابعة والخامسة وأول السادسة.

وله (التشريح الكبير) عن جالينوس أيضا، فيه نقص، في القرويين.

ونجد تعريفا آخر: حنين بن إسحاق (194 - 260 هـ) (1) (810 - 873 م) حنين بن إسحاق العبادي (أبو زيد) طبيب مشارك في أنواع من العلوم، من نصارى الحيرة، يعرف من اللغات: العربية واليونانية والسريانية والفارسية.

ولد ببغداد وأقام مدة بالبصرة، واخذ العربية عن الخليل بن أحمد، ثم انتقل إلى بغداد، وأقام بالشام ورحل إلى بلاد الروم، وتوفي لست خلون من صفر.

البحث اللساني عند العرب

من آثاره: المسائل في الطب للمتعلمين، الأغذية، نوادر الفلاسفة والحكماء، كتاب في المد والزجر، وتاريخ العالم⁽¹⁾.

وفي عصر الجاحظ نفسه سمع حنين بن إسحاق (873/260) ذات مرة ينشد شعرا بالرومية لأوميرس رئيس شعراء يونان، ولا ريب في أن الذي سمعه وأدرك أنه يتغنى بشعر، وأن الشعر إنما كان لأوميرس، كان يشارك حيننا في الاطلاع على شيء من الشعر اليوناني في لغته الأصلية. وإلى حنين وغيره من الترجمة يعود الفضل في اتساع المعرفة نسبيا بدور اليونان في الشعر، حتى إذا بلغنا إلى الفارابي وجدنا أن تلك المعرفة بلغت حدا من السعة لم تتجاوزه من بعد إلا قليلا⁽²⁾.

حنين بن إسحاق. أبو زيد العبادي النصراني البغدادي الطيب. له مصنفات في الطب مشهورة منها: المسائل في مجلدين⁽³⁾. هلك سنة 260.

والنص الأخير وهو من كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب قال: قرأت في كتاب الفهرست تأليف أبي الفرج محمد بن إسحاق النديم بخط مظفر بن الفارقي، وذكر أنه نقله من خط مؤلفه أبي الفرج قال: حنين بن إسحاق العبادي ويكنى أبا زيد والعباد من نصارى الحيرة، وكان فاضلاً في صناعة الطب فصيحاً باللغة اليونانية والعربية والسريانية دار البلاد في الكتب القديمة ودخل بلد الروم وأكثر نقوله لبني موسى، وتوفي يوم الثلاثاء لست خلون من صفر سنة ستين ومائتين، وهو أول يوم من كانون الأول سنة ألف ومائة وخمس وثمانين للاسكندر الرومي.

وله من الكتب التي ألفها سوى ما نقل من كتب القدماء: كتاب أحكام الإعراب على مذاهب اليونانيين مقالتان، كتاب المسائل في الطب للمتعلمين وزاد فيها حبش الأعم تلميذه مع

1 - عمر رضا كحالة - معجم المؤلفين - 4/ 87

2 - الذهبي - تاريخ الإسلام - 4/ 491

3 - ابن الغزي - ديوان الاسلام - 1/ 34

البحث اللساني عند العرب

كتاب الحمام مقالة، كتاب اللين مقالة، كتاب علاج العين عشر مقالات. كتاب رسالة إلى الطيفوري في مرض الورد، كتاب القروح وتولده مقالة، كتاب الآجال مقالة، كتاب تولد النار بين الحجرين مقالة، كتاب تولد الحصاة مقالة، كتاب اختيار الأدوية المحرقة مقالة، كتاب إلى ابن المنجم في استخراج كيمييه كتب جالينوس⁽¹⁾

تعليق:

أما بالنسبة للتعريف الأول فقد ذكر صاحبه أن حنين بن إسحاق (215 - 298 هـ = 830 - 910 م) ، والمشهور أن الخليل بن أحمد ولد سنة 100 هـ وتوفي سنة 170 هـ أو 175 هـ، فكيف يعقل أن الخليل تلقى عن حنين، وهو قد توفي -رحمه الله- قبل ولادته ب40 سنة، اللهم إلا إذا كان الخليل قد عاد إلى الحياة وأخذ عنه التراث اليوناني، ووضع معجم العين على منهجه ثم رجع من حيث أتى؟!!!!. وكيف إذا أخذنا بقول من قال أن الخليل توفي سنة 130 هـ قال: وزعم ابن الجوزي في كتابه شذور العقود أنه توفي سنة ثلاثين ومائة⁽²⁾ .

أما الموقف الثاني فذكر أن حنين هذا ولد سنة (194 - 260 هـ = 810 - 873 م) ، ومع ذلك يبقى متأخرا عن الخليل بسنوات طوال، والأكثر من ذلك قوله: أن حنين أخذ العربية عن الخليل، وهذا غير مقبول للسبب نفسه أيضا. فالملاحظ أن الخليل لا علاقة له بهذا الرجل إطلاقا، وقد يكون حنين أفاد من تراث الخليل بعد وفاته، عن طريق تلامذته.. لأن هذا الرجل جاء في فترة الانفتاح الكلي على حضارات الأمم الأخرى، خاصة مرحلة الترجمة التي ابتدأت بولاية هارون الرشيد وأبنائه، ومن جاء بعدهم والنص يشير إلى ذلك: واتصل بالمأمون فجعله رئيسا لديوان الترجمة، وبذل له الأموال والعطايا. وجعل بين يديه كتابا نحارير عالمين باللغات، كانوا

¹ - ابن العديم - بغية الطلب في تاريخ حلب - ج/3، ص: 194

² - ابن كثير - البداية والنهاية - 172/10

البحث اللساني عند العرب

يترجمون، ويتصفح حنين ما ترجموا فيصلح ما يرى فيه خطأ. وخلص كثيرا من كتب أبقراط وجالينوس وأوضح معانيها.

وكان المأمون يعطيه من الذهب زنة ما ينقله إلى العربية من الكتب، فكان يختار لكتبه أغلظ الورق، ويأمر كتّابه أن يخطوها بالحروف الكبيرة ويفسحوا بين السطور...والخليل -رحمه الله- عاش في زمن الدولة الأموية، والمتعارف عليه أن الأمويين كانوا متعصبين للعرب، ولم يقدموا أي من الأعاجم، ولا كان لهم اهتمام بالعلوم والحضارات الأخرى فهي دولة مازالت تسري في دماؤها روح وحياة البدوية، سقطت سنة 132هـ على أيدي العباسيين، وقتل آخر خلفائها مروان بن محمد، ثم بقي العباسيون يثبتون أركان دولتهم، ويتبعون أعداءهم من الأمويين وآل بين النبي أبناء علي وفاطمة -رضي الله عنهما- ولم تسنح لهم فرصة التفكير العلمي والترجمة إلا في المرحلة الثانية من العصر العباسي الأول.

وعليه فإن هذا الادعاء مرفوض، وغير مقبول أن يصدر ممن يدعي البحث العلمي وهو يخلط بين الأمور خلطا لا مثيل له. وهذا ليس بجديد فقد سبق وأن أخطوا في عدة مصادر هامة شكلا ومضمونا، فانظر مثلا ما قام به المستشرق فولزر k.vollers وفلا يشهر في كتاب الإمام أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي-رضي الله عنه- الموسوم (مشاهير علماء الأمصار أعلام فقهاء الأقطار) كتب الناقد الدكتور المحقق المعروف صلاح الدين المنجد للنشرة الأولى للكتاب بتصحيح فلا يشهر مقالا ينتقد فيه طبعة فلا يشهر لكتاب (مشاهير علماء الأمصار) ويلخص ما جاء به هنا:

1 - (ذكر فلا يشهر أن على الصفحة الأولى من الكتاب جاء ما يلي (كتاب مشاهير علماء الأمصار من تصنيف الإمام أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي رضي الله عنه.

في حين نجد في مقدمة المؤلف نفسه أنه ذكر (مشاهير العلماء والثقات من الفقهاء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أتباع التابعين ومن تبعهم من الأخيار والصالحين) .

البحث اللساني عند العرب

ثم رجع - حفظه الله - أن هذه النشرة قد تكون مختصرة من كتاب ابن حبان خاصة وأنها ساقطة منها (أتباع التابعين) ونقول من المقطوع به بأن هذا الكتاب لابن حبان ويؤيد ذلك كثرة الإحالات على كتبه (كالمجروحين) و(الثقات) .

كذلك عند مقابلة نصوص هذا الكتاب على كتب المؤلف الأخرى تجد المطابقة خاصة في اختيار ترجيح في الأنساب أو الكنى أو الألقاب.. الخ.

2 - أدخل فلايشهر استدركات للناسخ مدونة على الحواشي والتضاعيف دون تنبيه وهذا مخالف لقواعد النشر فالواجب أن ينبه إلى كل ما يدخل في النص من الحواشي أو الهوامش حتى نعلم نص الكتاب وما أضيف إليه فنحن ما ندري ما هذه الإضافات وهل هي حقاً من نص الكتاب أو تصحيحات واستدركات من الناسخ.

وعلى هذا فالنص الذي قدمه فلايشهر قد اختلط فيه الحابل بالنابل !!

3 - أن هذا الكتاب كله أسماء أعلام ولا يتم تحقيق نص كلمة أعلام إلا إذا ضبطت الأسماء بالشكل التام.

وهذا ما لم يفعله المحقق لذلك كان من الصعب الرجوع إلى هذا الكتاب ! لأن القارئ لا يدري كيف يقرأ فيه أسماء أعلام ضبط المحقق (فلايشهر) بعض الألفاظ خطأ.

4 - في النص أخطاء مطبعية كثيرة أخطأ المحقق في قراءتها.

5 - قال المحقق (جرينا في الطبع وفق الرسم الراجح) ولم يفعل في كل الكتاب ما اشترطه على نفسه !!⁽¹⁾

¹ - صلاح الدين المنجد [مجلة معهد المخطوطات - السنة السادسة / القسم الثاني: 296- 298]

البحث اللساني عند العرب

وغير ذلك كثير من تلاعب المستشرقين بترائنا عن قصد أو عن غير قصد، ومع ذلك لا يقع اللوم عليهم، فهم معروفون على امتداد الزمن بسرقاتهم العلمية، وقولة آثار الأمم الأخرى العلمية خاصة الإسلامية بقولهم ووضع بعض التعديلات، وتغيير بعض الجزئيات الشكلية، ومن ثم ينسبونه لأنفسهم. وقد صنف الدكتور عبد المجيد دياب المستشرقين إلى ثلاثة ضروب فقال:

1- ضرب لم يملك ناصية اللغة فأخطأ في نشر الكتب، وفي فهم النصوص، لكنه حفل بأمور شكلية لا فائدة لنا منها.

2- وضرب أثرت في دراساتهم مآرب السياسة والتعصب للدين فوجهوا الحقائق وفسروها بما يوافق أغراضهم أو ما يسعون إليه، ولعل هذا الضرب هو الذي دفع الشرقيين من المسلمين العرب أن يرتابوا بالمستشرقين جميعا، لأن من المؤسف أن يُسخر هؤلاء العلم الذي يسمو به الإنسان لإذلال الإنسان أو استعباده أو الطعن على تراثه وعقيدته بغير حق.

3- لكن فريقا ثالثا أوتي من سعة العلم والتمكن من العربية والإخلاص للبحث، والتحرر والإنصاف، فكانت دراساتهم مثمرة وأعمالهم مباركة وكانوا جديرين بكل إجلال.⁽¹⁾

فاللوم يقع على باحثينا الذين أهملوا تراثهم، بل إنهم احتقروه بحجة (عفا عنه الزمن) ، وانساقوا وراء النظريات اللسانية الغربية يتلقفونها صحيحة كانت أم خاطئة، يكفي عندهم أنها من وراء البحار فهي وحي لا يقبل الرد أو حتى المناقشة العلمية. في حين أن إشرافهم على تحقيق التراث كان من مهامهم، لأن التراث لا يحقّقه ويصحّحه غلا أبناؤه، وقد أثبت ذلك عبد المجيد دياب في كتابه تحقيق التراث العربي، فبعد دراسة معمقة خرج بجملة نتائج أهمها:

1- تحقيق المستشرقين قبل القرن التاسع عشر كان يسير على غير منهج.

2- العرب المعاصرون يفوقون المستشرقين في منهجهم.

¹ - عبد المجيد دياب - تحقيق التراث العربي - ص: 192

البحث اللساني عند العرب

3- المقارنة بين ما نشره المستشرقون وما نشره المعاصرون من أبناء العربية أثبت أصالة قومنا في لغتهم⁽¹⁾

فوجد أبا اللسانيات دي سوسور، وبروفسور الصوتيات الوظيفية أندري مارتني، بلوم فليد، هاريس، ليفي ستراوش وهاميس، وإن ذُكرت لهم أبا نصر الفارابي مثلا رأيت وجوههم تفيض من الغيظ، مع أن اللسانيات الأوروبية والأمريكية، قامت على أبحاث الفارابي في كتابه - إحصاء العلوم، الذي ترجم في القرن 12 إلى اللاتينية والانجليزية في القرن 16 وهو أول من وضع مصطلح علم اللسان. وسأبين ذلك بالدليل في منهج البحث في العصر الحديث.

- الباحثون العرب:

من العجيب أن نجد من باحثينا من يتبنى هذه المواقف الإستشراقية البغيضة، خاصة إذا كان من وزن الدكتور شوقي ضيف... فحين صرح المستشرق مانفريد أولمان قائلا: وضع تحليل معجمه الشامل (العين) الذي نظم فيه أصول الكلمات ومصادرها طبقا للقواعد الهندية وفق نظام صوتي منطلقه حرف العين..⁽²⁾ قال شوقي ضيف: ربما عرف ذلك من بعض نازلتهم - الهنود- في موطنه⁽³⁾.

هل هذا معقول؟ فإذا لم يثبت تاريخيا أن تحليل ذهب واتصل بالهنود، فلا بد أنهم هم الذين قدموا إليه!! وإذا افترضنا أنهم قدموا إلى البصرة فليس بالضرورة أنهم علماء لغة فهم تجار، وبالتالي لا علاقة لهم بالبحث اللغوي والأصوات اللغوية. وتحليل عالم باحث في شغل عن مصاحبة التجار إذ لم يثبت أنه مارس التجارة، أو كان له اهتمام بها، وما كان يتطلع إلى كل

¹ - عبد المجيد دياب - تحقيق التراث العربي مناهجه وتطوره - ص: 355/354

² - أولمان ما نفريد - معجم اللغة العربية الفصحى - ص: 327

³ - شوقي ضيف - المدارس النحوية - ص: 32

وافد من غير العرب حتى يستفتيه ويستعين به في أمور اللغة، فقد كان مرتعه المسجد دارسا متعبدا باحثا أو في بيته لنفس الهدف والغاية.

- منهج الخليل في وضع علم النحو:

لم يترك أو بدقة أكبر لم يصلنا من كتب الخليل النحوية شيء، ولذلك اعتمد الدارسون على (الكتاب) لسيبويه، بحكم أنه تلميذه الوفي، عرض فيه جلّ آراء أستاذه الخليل النحوية، وقد ذكر العلامة عبد الرحمن الحاج صالح أن سيبويه ذكر الخليل أكثر من 600 مرة⁽¹⁾، لكن ما يجب أن يفهم من هذا الذكر ليس اسم الخليل كما فعل أحد الباحثين المشاركة، الذي راح يحصي اسم الخليل في كتاب سيبويه فوجد أنه ذكر 522 مرة، والحاج صالح أحصى 600.

لأن الحاج صالح كان يقف على الآراء العلمية للخليل وليس لفظ الخليل هذا هو الفارق بينهما، ويؤكد هذا المفهوم نقله الرضي في شرح الكافية في تعريف الخليل: ونسب إليه أنه واضع علم النحو وهو شيخ سيبويه وتلميذ أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر وغيرهما من أوائل أئمة النحو، وأكثر ما جاء في كتاب سيبويه منقول عنه⁽²⁾.

يقول الحاج صالح وأغلب ما تناولناه بالتحليل والتقويم هو ما ذكر من الأقوال العلمية للخليل بن أحمد في كتاب سيبويه (تفوق 600 قولاً وتحليلاً) وغيره⁽³⁾.

وهناك أمر آخر هام، وهو أنني سأعتمد على مفاهيم النظرية الخليلية الحديثة، لاعتقادي أنها تمثل الفهم الصحيح لأبحاث الخليل اللغوية، والدكتور مازن الوعر يؤيد ذلك بالحقائق العلمية التي وقف عليها في النظرية الخليلية، ونظرية تشومسكي اللغوية، وعدا ذلك من الدراسات المتأخرة

¹ - عبد الرحمان الحاج صالح - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص:

² - شرح الرضي على الكافية ج/1، ص: 67

³ - عبد الرحمان الحاج صالح - النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيمها الأساسية، كراسات المركز، العدد الرابع،

س: 2007 ص: 5

البحث اللساني عند العرب

أو الحديثة، فهي إما سوء فهم وتضييق أو تشويه وانحراف عن المقصد الحقيقي وإن اتفقت المصطلحات، باستثناء بعض الأعلام كالسبيلي، وعبد القاهر الجرجاني، والرزي السترادي وغيرهم كما يسميهم بالعابرة.

كثير تردد رأي الخليل في الكتاب حتى، اعتقد بعضهم أن الكتاب له، وليس لسيبويه، وهناك من دعا إلى نسبته إليهما يعني الخليل وسيبويه. والحقيقة أن الكتاب لسيبويه، لما حوى من آراء علمية له، حتى أنه أحيانا نجده يخالفه في البعض، وسيبويه في كتابه يُورد آراء أستاذه الخليل وينتصر له، ويخالفه إن بدا له رأي خاص به، فهو لم يكن مقلدا له، بل كان وقافا عند الحقيقة والصواب أينما وجد ومن أخذ.

فلا عجب أن يوافق الخليل الكسائي، وأن يوافق الفراء سيبويه في نفس القضية مع أنهما ينتميان إلى مدرستين مختلفتين، الكسائي والفراء هما كوفيان، والصراع العلمي بين البصرة والكوفة بين قال أبو حيان: وبشر يتعدى لمفعولين: أحدهما بنفسه، والآخر بإسقاط حرف الجر. فقوله: { أن لهم جنات }⁽¹⁾ هو في موضع هذا المفعول، وجاز حذف حرف الجر مع أن قياساً مطرداً، واختلفوا بعد حذف الحرف، هل موضع أن ومعمولها جر أم نصب؟ فذهب الخليل والكسائي: أن موضعه الجر، ومذهب سيبويه والفراء: أن موضعه النصب⁽²⁾.

وقد اقترن اسم الخليل بسيبويه، وكتب النحو بعدهما لا تكاد تفصل بينهما إطلاقاً، فما من قضية تطرح إلا ويذكر هذان العالمان بصيغة: ذهب سيبويه والخليل.. فقال: سيبويه والخليل. فأما سيبويه والخليل. حكاية سيبويه والخليل. وهذا مذهب سيبويه والخليل. أراد سيبويه والخليل..... وحتى في حالات الرد العلمي من النحاة كان يقع عليهما معا مثل: وهذا القول رد على سيبويه والخليل لأنهما قدراه⁽³⁾ وأصل ما جاء به سيبويه عن الخليل. قال أبو جعفر: وسمعت أبا

¹ - لم أتطرق للقضية النحوية الخلافية، لأن الهدف من الفكرة تبين عدم التعصب للرأي عند الخليل وسيبويه

² - أبو حيان - البحر المحيط - ج/1، ص: 134

³ - الزبيدي - تاج العروس من جواهر القاموس، ج/1 ص: 7645

البحث اللساني عند العرب

إسحاق يقول: إذا قال سيبويه بعد قول الخليل: " وقال غيره " فإنما يعني نفسه، لأنه أجلّ الخليل عن أن يذكر نفسه معه. وإذا قال: "وسألته" فإنما يعني الخليل⁽¹⁾. فهذا التلازم الشديد هو ما سيخدم هذه الدراسة من خلال الوقوف على آراء الخليل النحوية، ومعرفة منهجه، الذي سار عليه وتلاميذه ومن جاء بعدهم .

لا يختلف منهج الخليل النحوي عن منهجه في معجمه، لأن الرجل كان ينطلق من الملاحظة العلمية التي هي إحدى شروط المنهج العلمي، ثم يضع تفسيراً للظواهر اللغوية بما يشبه المسلمات، ثم يأتي على استقراء الظاهرة، ووضع فرضية لتصبح حكماً أساسياً. ولأن الخليل عبقرى متخصص، وعقله أكبر من علمه كما قيل عنه، فإنه فكر في ضرورة ضبط العربية بالشكل، من خلال وضع ما يعرف بالحركات الإعرابية قال: وهي تجري على ثمانية مجاز: على النصب والجرّ والرفع والجزم، والفتح والضمّ والكسر والوقف.

وهذه المجاري الثمانية يجمعهنّ في اللفظ أربعة أضرب: فالنصب والفتح في اللفظ ضرب واحد، والجرّ والكسر فيه ضرب واحد، وكذلك الرفع والضمّ، والجزم والوقف⁽²⁾. وكذا ما تعلق بنقط المصحف. قال أبو عمر الداني: الخليل بن أحمد هو الذي جعل الهمز والتشديد والرّوم والإشمام وغير ذلك⁽³⁾. وبالتالي إليه يعود الفضل في اختراع الشّكل وهو لا يزال مستعملاً. لأن الإعراب أصل في العربية، وهنا أريد أن أنقل للقارئ رأين وله أن يستنتج كما يشاء:

1 - سيبويه - الكتاب - ج/1، ص: 1

2 - سيبويه - الكتاب - ج/1، ص: 2

3 - أبو عمر الداني - النقط - ج/1، ص ك 1

البحث اللساني عند العرب

يقول المستشرق يوهان فوك fuck: احتفظت العربية الفصحى في ظاهرة التصرف الإعرابي، بسمة من أقدم السمات اللغوية، التي افتقدتها جميع اللغات السامية باستثناء البابلية القديمة قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي.⁽¹⁾

يقول إبراهيم أنيس: النحاة اخترعوا قواعد الإعراب على نظام النحو في اللغات الأخرى كال يونانية، ففيها فرق بين حالات الأسماء التي cases ويرمز لها في نهاية الأسماء برموز معينة وكأنما قد عرّ على النحاة ألا يكون في العربية أيضا مثل هذه ال cases فحين وافقت الحركة ما استنبطوه من أصول إعرابية قالوا عنها إنها حركة إعراب وفي غير ذلك سموها حركة أيضا...⁽²⁾ يريد أن العرب كانوا مقلدين لغيرهم، وهو يعلم أن الإعراب سامي ولا يوجد إلا في اللغات السامية وحدها براجستريس⁽³⁾ فما علاقة اليونانية باللغات السامية؟

وقف الخليل من كلام العرب موقف الذكي العبقري الذي له القدرة على الاكتشاف والاستنباط والتحليل، فوجد أن لغة العرب تتألف من ثلاث، وهو ما اصطلاح على تسميته بالاسم والفعل والحرف، وهنا أشير إلى ما ذكره المستشرق مركس الذي حاول أن يثبت بالمقارنة العجيبة الغربية بين أصول المنطق الأرسطوطاليسي، وأصول النحو العربي، ومن بين ما ركز عليه التقسيم الثلاثي يقول: أنها كانت سبعة عند نحاة اليونان ولكن العرب ولسوء الحظ لم يعرفوها، فقد اقتصروا على تمييز ثلاثة أقسام للكلام وهذا الذي نشاهده كاف لترك الفكرة المتبادرة إلى الذهن أن نحاة السريان كانوا أساتذة العرب... ثم يواصل حديثه قائلا: ويقسم سيبويه الكلام إلى ثلاثة أقسام الاسم والفعل والحرف فهذا هو ذا تقسيم أرسطو الذي حسنه فيما بعد نحاة اليونان.⁽⁴⁾

¹ - يوهان فوك - دراسات في اللغة واللهجات - تر، جمعة رمضان عبد التواب

² - إبراهيم أنيس - من أسرار العربية - ص: 29

³ - اللغات السامية هي: العربية، العبرية، البابلية، الحبشية، الفينيقية، الآشورية (المستشرق الألماني كوهلر)

⁴ - عبد الرحمن الحاج صالح - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية - ج/1، ص: 53

ويمكن معالجة هذه القضية، بالرد العلمي القاطع السريع من العلامة الحاج صالح بقوله الصريح: لا بد ههنا أن نبين حقيقة قد فاتت مركزس وأكثر ممن عني بهذا الموضوع وهي هذه: لا يوجد في كتب أرسطو أي تقسيم ثلاثي للكلام مطلقاً⁽¹⁾ والحاج صالح عالم مطلع، ولا يصدر حكماً إلا وهو متيقن متأكد منه، ويمكن إضافة رأي للمستشرق وليتمان عندما كثر الخلاف بينهم (المستشرقين) منهم من أرجع الأمر لليونان وآخرون للسريان... وقف هذا الرجل موقفاً شجاعاً وصريحاً بكل موضوعية ونزاهة فقال: فالليتمان اختلف الأوربيون في أصل هذا العلم، فمنهم من قال إنه نقل من اليونان على بلاد العرب وقال آخرون ليس كذلك، وإنما كما تنبت الشجرة في أرضها. كذلك نبت علم النحو عند العرب وهذا هو الذي روى في كتب العرب من زمن ونحن نذهب في هذه المسألة مذهبا وسطا.... وهو أنه أبدع العرب علم النحو في الابتداء وأنه لا يوجد في كتاب سيويوه إلا ما اخترعه هو والذين تقدموه لكن لما تعلم العرب الفلسفة اليونانية من السريان في بلاد العراق تعلموا أيضاً شيئاً من النحو.

وبرهان ذلك أن تقسيم الكلمة مختلف قال سيويوه: فالكلم (اسم وفعل وحرف) جاء لمعنى، وهذا تقسيم أصلي، أما الفلسفة فيها الكلام (اسم وكلمة ورباط) وهذه الكلمات ترجمت من اليوناني إلى السرياني ومن السرياني إلى العربي فسميت هكذا في كتب الفلاسفة لا في كتب النحو أما كلمات اسم وفعل وحرف فإنها اصطلاحات عربية ما ترجمت ولا نقلت⁽²⁾ ولا أعتقد أن الدكتور مصطفى حميدة في كتابه نظام الإرتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية، بعيد عن هذا التقسيم اليوناني والسرياني.

وكنت أفضل تأجيل مناقشة التأثير والتأثر بعد عرض الآراء النحوية، ومن ثم عرض مفصل لأراء المستشرقين، وبعض اللغويين العرب المحدثين، والرد على هؤلاء جميعاً.

¹ - المرجع نفسه - ج/1، ص: 53

² - أحمد طنطاوي - نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة -، ص: 22

البحث اللساني عند العرب

نظر الخليل في كلام العرب بأصوله الثلاث فوجد أنه اسم وفعل وحرف، وراح يتتبع نظام العربية فوجد أنها لا تخرج عن: (اسم + اسم) (اسم + فعل) (فعل + اسم) وهو ما يعرف بمصطلح الكلام لأن مصطلح الجملة لم يرد في الكتاب وقيل إن أول من استعمله الفراء وتبعه النحويون بعد ذلك، وهنا لا بد من التأكيد على أن الكلام يعني الجملة يقول: ابن جني: أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه. وهو الذي يسميه النحويون الجملة، نحو: زيد أخوك، وقام محمد، وضرب سعيد، وفي الدار أبوك، وصه، ومه، ورويد، وحاء وعاء في الأصوات، وحس، ولب، وأف، وأوه، فكل لفظ مستقل بنفسه، وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام⁽¹⁾.

وهذا نموذج واضح لدقة فهم النحاة الأولين للكلام وتحديد ما أسموه المسند والمسند إليه. أما باقي الفضلات فهي غير مستقرة، بعكس الأول:

- أخذ الطالبُ كتاباً من المكتبة.

- كتاباً أخذ الطالبُ من المكتبة

- من المكتبة أخذ الطالبُ كتاباً

- الطالبُ أخذ كتاباً من المكتبة

- الطالبُ من المكتبة أخذ كتاباً

- من المكتبة الطالبُ أخذ كتاباً

هذه التراكيب وإن دلت على معنى واحد في العموم إلا أنها تتفاوت دلالتها لأن تغير البناء ينتج عنه تغير المعنى أما المسند والمسند إليه فحاجة كل واحد إلى الآخر ضرورة قال سيبويه: وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدءاً. فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني

¹ - ابن جني - الخصاص - ج/1، ص: 4

البحث اللساني عند العرب

عليه. وهو قولك عبد الله أخوك، وهذا أخوك⁽¹⁾. وقال المبرد أيضاً: وهما ما لا يستغني كل واحد من صاحبه⁽²⁾.

ومعنى جنيت منه ثمرة الفائدة كشرط من شروطه يقول الحريري البصري حد الكلام ما أفاد المستمع⁽³⁾ يقول سيويه في باب سماه باب علم الكلم من العربية فالكلم: (اسم، وفعل، وحرف) جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، فالاسم: رجل، وفرس، وحائط.

وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع. فأما بناء ما مضى فذهب وسمع ومكث وحمد. وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك أمراً: اذهب واقتل واضرب، ومخبراً: يقتل ويذهب ويضرب ويقتل ويضرب. وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت.

فهذه الأمثلة التي أخذت من لفظ أحداث الأسماء، ولها أبنية كثيرة والأحداث نحو الضرب والحمد والقتل. وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو: ثم، وسوف، وواو القسم ولام الإضافة، ونحوها⁽⁴⁾. هذا الاستنباط والاستقراء من كلام العرب من التمييز بين الأصوات لتحديد الحركات، (الإعراب) ومن ثم الوقوف على الأصناف المختلفة في نظام العربية الاسم والفعل والحرف، وهنا عبقرية الخليل في التمييز بين أشكال ووظائف اللفظ.

- الاسم:

بداية ورد ذكره في القرآن في قوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) البقرة (31) فالتسمية أمر طبيعي لأن

¹ - سيويه - الكتاب - ج/1، ص: 5

² - المبرد - المقتضب - ج/1، ص: 234

³ - الحريري البصري - ملحة الإعراب - ص: 1

⁴ - سيويه - الكتاب - ج/1، ص: 1

البحث اللساني عند العرب

بدونها لا يتواصل الناس وبالتالي لا تقوم الحياة، وسواء كانت اللغة إلهام أم تواضع، المهم أن اللغة أمر ضروري، وحقيقة واقعة أن لكل أمة لغة يعبرون بها عن أغراضهم، والعرب سمّت الأشياء بمسميات باتفاق، وباختلاف الحالات (النوع والعدد والإعراب) وهذا ما وقع عليه الخليل في مشافهة الأعراب، وما اكتشفه في نظام العربية، فوقف على الأسماء باختلافها بين لغات العرب وهي عند الخليل وسيبويه: مادّلت على شيء وذكرًا: رجل، وفرس، وحائط.

لم يجز الخليل تسمية الاسم باسم إلا إذا أخذ موضع الاسمية يقول: ويّبن لك أنها ليست بأسماء أنك لو وضعتها مواضع الأسماء لم يجز ذلك⁽¹⁾ بمعنى أنها تحدد بقابليتها للزوائد فالاسم المفرد له خصائص الاسم بالموضع ثم تعدد الاستعمالات بحسب الغرض، وهو ما أشار إليه الدكتور الحاج الصالح في نظريته في باب الوضع والاستعمال، إذا قال: فالخليل يؤكّد على الموضع حتى يأخذ الاسم كامل الاسمية، بحسب الزوائد، وقد حصر الحاج الصالح الزوائد كما حددها الخليل كالآتي⁽²⁾:

حروف الجر	أداة التعريف	النواة	علامة الإعراب	التنوين أو المضاف إليه	الصفة
2	1	0	1	2	3

ويمكن تطبيق ذلك بنموذج (قلم)

{	النواة = قلم	(0)
	حرف الجر = بقلم	(2)

زيادة قبل النواة

¹ - سيبويه - الكتاب - ج/1، ص: 2

² - عبد الرحمن الحاج صالح - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ج/2، ص: 14 - 15

البحث اللساني عند العرب

- أداة التعريف = القلم (1)
 علامة الإعراب = قلمٌ - (1)
 التنوين أو الإضافة = قلمن، قلم زيد (2) زيادة بعد النواة
 الصفة = قلمٌ جميلٌ (3)

ويضيف الحاج صالح وحتى لا يقع الالتباس بين الاسم ككلمة مفردة (أي مجردة مما يدخل عليها) وبين الاسم مع الزوائد الداخلة عليه أطلقنا على هذا الأخير مصطلحا استعمله الرضي وابن يعيش وهو اللفظة (الاسمية أو الفعلية) (1) وقد تبعت بعض كتب النحو فوجدت أن معظمها يشير إلى هذا المفهوم قال ابن جني: فمتى سمعت اللفظة من هذا عرف معناها، فيما سوى هذا من الأسماء، والأفعال والحروف، ثم لك من بعد ذلك أن تنقل هذه المواضع إلى غيرها (2).

والمعنى نفسه نقله السيوطي في المزهرة ويذهب السكاكي إلى أبعد من ذلك إذ يرى أن اللفظة لا يمكن أن تدل على مسمى دون وضع يقول: أن اللفظة تمتنع أن تدل على مسمى من غير وضع فمتى رأيتها دالة لم تشك في أن لها وضعاً وأن لوضعها صاحباً (3) وإليه يذهب الإمام الزمخشري حين قال: الكلمة هي اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع، وهي جنس تحته ثلاثة أنواع: الاسم والفعل والحرف (4)

¹ - المرجع نفسه - ج/2، ص: 14

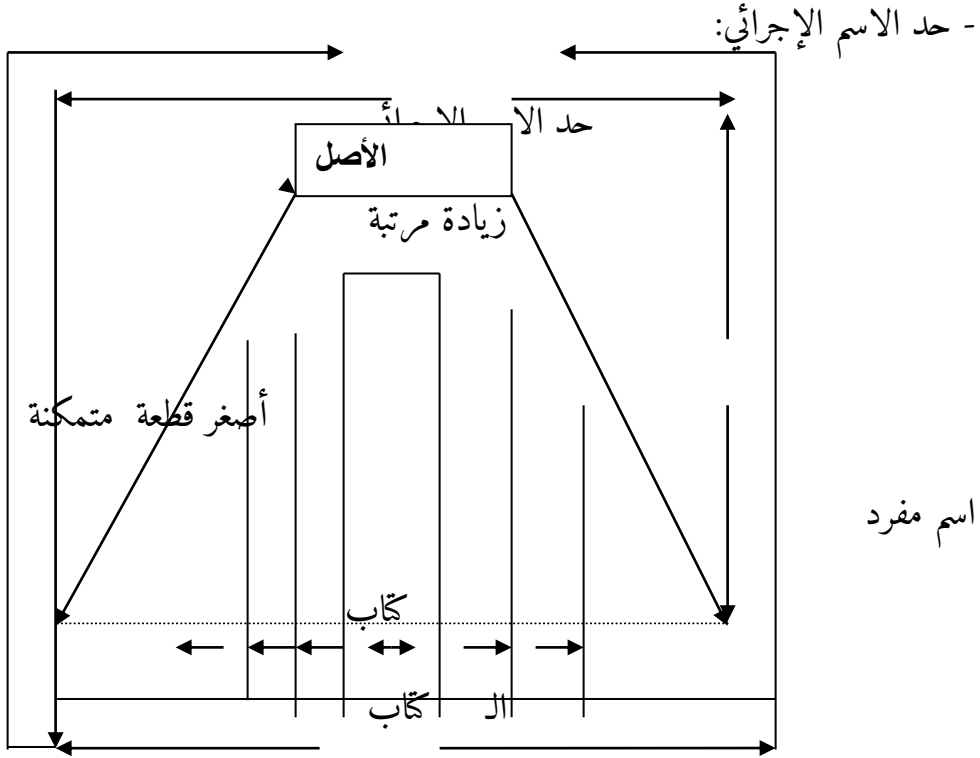
² - ابن جني - الخصائص - ج/1، ص: 1

³ - السكاكي - مفتاح العلوم - ج/1، ص: 159

⁴ - الزمخشري - المفصل في صناعة الإعراب - ج/1، ص: 1

البحث اللساني عند العرب

وهنا تأكد لنا الفرق بين الاسم ككلمة مفردة واللفظة بالوضع بزيادات يفرضها الخطاب. أما حركات الإعراب بالنسبة للاسم فهي كما يقول سيويوه: والنصب في الأسماء: رأيت زيداً، والجر: مررت بزيد، والرفع: هذا زيد. وليس في الأسماء جزم⁽¹⁾ والرسم الآتي يبين المعنى بشكل كبير، باستخدام النواة (كتاب).



فروع

كتاب - ن مفيد
 - كتاب - زيد هذا
 كتاب - زيد المفيد
 ب - ال كتاب - المفيد
 ب - كتاب - زيد الذي هو هنا

¹ - سيويوه - الكتاب - ج/1، ص: 2

اسم واحد

ومن خلال الرسم نجد الزيادة على الأصل، وهي من الجهتين يمينا ويسارا وتبقى المادة الأصلية في الوسط تتغير دلالتها الوظيفية ولا تتغير كمادة أصلية. ومما يدخل من الزوائد من اليمين آلة التعريف *أل* أو حروف الجر*أو**أل* وحروف الجر* أما من جهة اليسار يمكن إضافة الإعراب* أو* المضاف إليه* والتنوين والصفة* حسب طبيعة الزيادة .

هذا الحد بالنسبة للاسم فإذا صار المتعلم قادرا على استيعابه وتمكن منه والتواصل عفويا وتلقائيا، فإنه ينتقل إلى المرحلة الجديدة وهي بناء الأجزاء الأخرى من الكلام، وما قيل عن حد الاسم يقال عن حد الفعل، بخصوص الزيادة وطبيعتها، وهناك أمر آخر ينبغي الإشارة إليه وهو أن للفعل ثلاثة حدود اقتضتها التقسيمات الزمانية (الماضي/حد الفعل الماضي)، (الحاضر/حد الفعل المضارع)، (المستقبل /حد فعل الأمر) .

- الفعل:

وهو ما دلَّ على حدث مقترن بزمن معين، وهو ما أخذ من لفظ أحداث الأسماء قال سيبويه: وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع.

فأما بناء ما مضى: ذهب وسمع ومكث وحمد، وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك أمراً: اذهب واقتل واضرب، ومخبراً: يقتل ويذهب ويضرب ويقتل ويضرب، وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت⁽¹⁾. وهي أقسام الفعل: الماضي، المضارع، الأمر وأما دلالة كل واحد، فقد

¹ - سيبويه - الكتاب - ج/1، ص: 2

البحث اللساني عند العرب

فهي كما نجد في النظرية الخليلية الحديثة في حد الفعل الماضي، والمضارع والأمر باعتبارها الفهم الصحيح للمنهج الخليلي.

ونفس ما قيل عن الاسم يقال عن الفعل، فهو لا ينحصر في ذهب وسمع ومكث وحمد، فهي لا تكون أفعالاً لوحدها وإنما بحسب موضعها يقول الحاج صالح: إن الفعل عند النحاة الأولين لا ينحصر في مثل، كتب وضرب لا تكون أفعالاً هي لوحدها، بل بحسب الموضع.⁽¹⁾

هذه حدود الفعل كما تصورها الخليل: الماضي والمضارع والأمر، وهي تبدو غريبة لأن النحاة المتأخرين ورثوا أفكاراً محدودة مسمومة بالمنهج الفلسفي الذي غزا الفكر العربي في القرن 5هـ، والذي فلق بين تصورين أحدهما أصيل والثاني هجين، ذلك أن كتاب سيبويه ذو جانبين اثنين: جانب علمي وجانب تعليمي-بيدغوجي⁽²⁾ والمتأخرون من النحاة العرب اهتموا بالنحو التعليمي، ولم يتفطنوا للجانب العلمي. يقول أيضاً: وقد سار بعض النحاة العرب المحدثين على درب نفسه الذي سار عليه أسلافهم المتأخرون دون أخذ الجانب العلمي للكتاب بالحسبان⁽³⁾

- حد الفعل الماضي:

تغيرات داخل اللفظة (بالوصل)

تغيرات داخل النواة (بالبناء)

¹ - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج/2، ص: 13

² - مازن الوعر - جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب في ضوء نظرية النحو العالمي تشومسكي ص: 79

³ - مازن الوعر - جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب في ضوء نظرية النحو العالمي تشومسكي ص: 75

البحث اللساني عند العرب

	فعل	
	فعل	لا
	فعل	قد
+ ضمير	فعل	تا
(س)	فعل	أن
متصل		
منصوب	فعل	ما
	فعل	تا
	فعل	← →
1	0	1

وهنا نجد أن الموضع، يشكل العنصر المركزي أو النواة اللفظية الفعلية في زمن منقطع ويشكل مجموع (الفعل الضمير المرفوع) نواة مركبة وهي الأصل، وتحتوي على كلمتين الفعل والفاعل وتكونان بمنزلة اسم واحد فالفعل والفاعل، بمنزلة اسم واحد أي لفظة بني عليها أو تبني على غيره⁽¹⁾ وعليه لا يمكن الفصل بين الفعل والفاعل، وحذف واحد منهما يؤدي إلى زوال البناء، فالمواضع الموجودة في داخل اللفظة الفعلية هي دائماً ثابتة والعناصر التي تشغلها لا يمكن

¹ - ابن جني - سر صناعة الإعراب -، ج/2، ص: 257

البحث اللساني عند العرب

فصلها بواسطة التقديم والتأخير، ولا يمكن فصلها إلا بواسطة الاستبدال مع الصفر، لأنها مخصصات حقيقية تعتبر كجزء من الفعل الذي تدخل عليه⁽¹⁾.

أما الزيادات عن اليمين أي الموضع 1 والموضع 2 هي: (قد) التي تتعاقب مع عدمها و(أن وما).

أما عن اليسار نجد الموضع 1 فقط خاص بالضمائر المتصلة.

- حد الفعل المضارع:

تغيرات داخل اللفظة (بالوصل)

تغيرات داخل النواة (بالبناء)

¹ 190 - 189 .Linguistique Arabe et linguistique générale. HADJ SALAH -

البحث اللساني عند العرب

	ب	ص - فعل		
ن	ي	ت - فعل	قد قد لا	
ن	و	س - فعل	سوف سـ	
ن	و	س - فعل	ما	ما
-	ن	س - فعل		
0	- 0	ص - فعل	لن	
0	ي	ت - فعل	لم	أن
0	ا	س - فعل	لما	أن+لا
0	و	س - فعل	لـ	كي+لا
0	و	س - فعل	لا	لـكي
ن	0	ص - فعل	إذن	
ن	ي (ن)	ت - فعل		
ن	ا	س - فعل		
ن	و	س - فعل		
ن	ن	س - فعل		

← ← ← ↔ → →

3	2	1	0	1	2
---	---	---	---	---	---

نجد أن الموضع 0 يمثل النواة، والأصل فيها (ص-فعل 0) الذي يدل على المتكلم المفرد وتنتفع هذه اللفظة إلى فروع بالزيادة، من اليمين واليسار (زيادات الأدوات) .

من اليمين 1 تظهر فيه الأدوات تحدد قيمة المضارع زمنيا وهي (قد، سـ، سوف، لا، لن لم، لـ) ولكل معنى ووظيفة خاصة.

البحث اللساني عند العرب

أما الموضع 2 فهو خاص بالقرائن التي تدخل على الفعل المضارع وتصبه (أن، ما، كي، إذن) وهذه القرائن تجعل حد الفعل بحكم الاسم ما عدا إذن.

أما من اليسار 1 يمثل علامة إعراب المضارع، والأصل هي الضمة أو ثبوت النون وقد يكون فارغا في حالة اتصال المضارع بنون النسوة أو نون التوكيد.

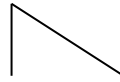
الموضع 2 خاص بنون التوكيد الخفيفة أو الثقيلة.

الموضع 3 خاص بالضمائر المتصلة المنصوبة.

- حد الفعل الأمر: (1)

تغيرات داخل اللفظة (بالوصل)

الأصل



-	-	0	(أ) فعل	
+ ضمير	-	ي	(أ) فعل	
متصل	-	ل	(أ) فعل	
منصوب	-	و	(أ) فعل	
	ن	-	(أ) 0	عوامل

¹ - HADJ SALAH .Linguistique Arabe et linguistique generale. P185

البحث اللساني عند العرب

ن	-	0	(ا)	خارجة
ن	-	ي	(ا) فعل	عن الحد
ن	-	و	(ا) فعل	
ن	-	ل	(ا) فعل	
2 ← 3	←	1←0	←1→	→

نلاحظ في حد فعل الأمر المواضع التالية 0+1 هما الأصل وبالتالي فالموضع 1 مدمج مع النواة، أي أن نواة فعل الأمر تتعاقب مع زوائد نواة المضارع، ويتنثل الأصل فعل + فاعل، والفاعل في الأصل مضمرة. الموضع 1 من اليسار هو علامة الإعراب ولكنه فارغ لأن الأمر غير معرب .

الموضع 2 موضع نون التوكيد.

الموضع 3 ضمائر النصب المتصلة.

الزوائد لا تدخل عليه من اليمين.

- نظرية العامل:

من أهم ما توصل إليه التحليل نظرية العامل، في أسْمى مراحل تطورها التي هي أساس النحو العربي، وهي قائمة على استنباط كلي للغة العرب، والوقوف على وظائف الاسم والفعل والحرف، وإحكام العلاقة بينها إذ أن العناصر اللغوية تحكمها علاقات التأثير والتأثر، فبعد الحدود

البحث اللساني عند العرب

ومجموع الزيادات القبليّة والبعدية، ضبط الخليل، مستوى التراكيب في أبعادها الصوتية والصرفية والدلالية. فتوصل إلى اكتشاف النظام التواصلي الذي تقوم عليه اللغة. ونعني بذلك العامل والمعمولات والعلامة، وهي أسس النظرية، ولكنها ليست كل النظرية، حتى لا يعني تغيير الحركة الإعرابية، بحسب تغيير العوامل فقط، بل بالموضع، والزيادات أيضا في اللفظة.

ونظرية العامل بهذا المنطلق فكرة عقلية مستنبطة من نقل، ويمكن شرح هذا المفهوم بالوقوف على تعريفين قال ابن جني في تعريفه النحو: هو انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية، والجمع، والتحقيق، والتكسير والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة⁽¹⁾. بمعنى إتباع العرب الفصحاء في طريقة كلامها، ثم تطور هذا التعريف ليصبح كالتالي: أنه العلم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتمف منها⁽²⁾. ومن هنا أصبح انتحاء سمت كلام العرب لا بالتلقين^(*)، بل بالقوانين التي اسقراها العلماء من نظام اللغة العربية، ونظرية العامل هي مجموعة القوانين النحوية التي ضبطت ومن خلالها تجنب الناطقون اللحن. وقبل أن أتطرق للعامل، أوجه القارئ الكريم إلى ما ذكره الدكتور مازن الوعر فيما يخص نظرية العامل قال مازن الوعر: والواقع أن اللسانيات الحديثة كشفت أن الخليل وسيبويه كانا قد انطلقا من نظرية تجريدية عاملية علائقية أثبتت صحتها نظرية تشومسكس التقنية، تلك النظرية المسماة ب(منهج العمل والربط الإحالي) government and binding theor ومن يعن النظر في

¹ - ابن جني - الخصائص - ج/1، ص: 8

² - شرح شافية ابن الحاجب، ج/1، ص: 6

* - تحدثت كتب اللغة على أن الإمام علي هو من أشار على أبي الأسود الدؤلي فيما يتعلق، بالرفع والنصب والخفض....

البحث اللساني عند العرب

هذه النظرية فسيكتشف أن ما فعله سيبويه يُعدُّ عملاً عليها دقيقاً استفاد في صياغته من بذور التفكير الرياضي الذي اُسم به أستاذه الخليل بن أحمد الفراهيدي⁽¹⁾

وزَّع سيبويه الأبواب باعتبار العوامل، وبدأ بالفعل المضارع، وذكر في بابه لزومه وتعديه إلى مفعول واحد ومفعولين وثلاثة مفاعيل ثم تحدث عما يعمل عمله من المشتقات كأسماء الفاعل والمفعول والمصدر، وذكر عمله في المجرور عن طريق الجار، ويلاحظ أن حرف الجر الأصلي قد يحذف وينصب المجرور على نزع الخافض، ويعرض لصيغ المبني للجهول إذا كان متعدداً لمفعولين ويقول إن أولهما هو الذي ينوب عن الفاعل، ويقف عند كان وأخواتها ويقول إن المنصوب بعدها ليس مفعولاً بل خبر لها وهي بذلك ناقصة.

قال سيبويه في باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول فعبد الله ارتفع ههنا كما ارتفع في ذهب، وشغلت ضرب به كما شغلت به ذهب، وانتصب زيد لأنه مفعول تعدى إليه فعل الفاعل. فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك: ضرب زيداً عبد الله⁽²⁾.

ويقصد سيبويه من هذا الباب أن الفعل المتعدي يرفع وينصب المفعول كما أن الفعل اللازم يرفع الفاعل، وأجاز تقديم المفعول لأنه التقديم لا يؤثر في حركتها الإعرابية ولا يؤثر في معنى الجملة يقول أيضاً: وصار بمنزلة المفعول الذي تعدى إليه فعل الفاعل بعدما تعدى إلى مفعول قبله، وصار كقولك: ضرب عبد الله زيداً قائماً، فهو مثله في التقدير، وليس مثله في المعنى⁽³⁾.

¹ - مازن الوعر - جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب في ضوء نظرية النحو العالمي تشومسكي - ص: 75/76.

² - سيبويه - الكتاب - ج/1، ص: 6

³ - المصدر نفسه - ج/1، ص: 121

كما أن العامل عنده يعمل ظاهراً ومضمراً، وقد يقول: وإذا أعملت العرب شيئاً مضمراً لم يخرج عن عمله مظهراً في الجر والنصب والرفع؛ تقول: وبلد، تريد: ورب بلد. وتقول: زيدا تريد: عليك زيدا. وتقول: الهلال، تريد: هذا الهلال، فكله يعمل عمله مظهراً⁽¹⁾. وحاكمه في ذلك أن العامل لا يخلو من ظاهر أو مظهر وقد صرح بذلك في قوله: لأنه لا يخلو الفعل من مضمراً أو مظهر مرفوع من الأسماء⁽²⁾.

ويذكر فيما يتعلق بأن وأخواتها بأنها تعمل تشبهاً بالفعل: وكذلك هذه الحروف، منزلتها من الأفعال. وهي أن، ولكن، وليت، ولعل، وكأن. وذلك قولك: إن زيدا منطلقاً، وإن عمراً مسافراً، وإن زيدا أخوك. وكذلك أخواتها.

قال: وزعم الخليل أنها عملت عملين: الرفع والنصب، كما عملت كان الرفع والنصب حين قلت: كان أخاك زيداً. إلا أنه ليس لك أن تقول كأن أخوك عبد الله، تريد كأن عبد الله أخوك، لأنها لا تصرف تصرف الأفعال، ولا يضمرف فيها المرفوع كما يضمرف في كان. فمن ثم فرقوا بينهما كما فرقوا بين ليس وما، فلم يجروها مجراها، ولكن قيل هي بمنزلة الأفعال فيما بعدها وليست بأفعال⁽³⁾. وتلحق أواخر هذه الستة ما وتلحق أواخر هذه الستة ما كافة وملغاة إلا أن الإلغاء مع كأن وليت ولعل أكثر لقوة قربها من معنى الفعل وهو السبب في أنها تعمل في الحال وفي اتصالها بضمير الحكاية تارة قال أنني أننا على الآخر وتارة يقال أني على الآخر ولكن يقل ليتي وأنا على الآخر دون ليت ولعل فإنه لا يقال ليتا ولعلا⁽⁴⁾.

أما باب ظننت، هذا باب الأفعال التي تستعمل وتلغى.

¹ - المصدر السابق، ج/1، ص: 23

² - المصدر السابق، ج/1، ص: 16

³ - المصدر السابق، ج/1، ص: 118

⁴ - السكاكي - مفتاح العلوم - 1/ص: 46

البحث اللساني عند العرب

فهي ظننت، وحسبت، وختت، ورأيت، وزعمت، وما يتصرف من أفعالهن.

فإذا جاءت مستعملة فهي بمنزلة رأيت وضربت وأعطيت في الإعمال والبناء على الأول، في الخبر والاستفهام وفي كل شيء. وذلك قولك: أظن زيداً منطلقاً، وأظن عمراً ذاهباً، وزيداً أظن أخاك، وعمراً زعمت أباك. وتقول: زيد أظنه ذاهباً. ومن قال: عبد الله ضربته نصب " فقال: "عبد الله أظنه ذاهباً، وتقول: أظن عمراً منطلقاً وبكراً أظنه خارجاً، كما قلت: ضربت زيداً وعمراً كله، وإن شئت رفعت على الرفع في هذا. فإن ألغيت قلت: عبد الله أظن ذاهب، وهذا إخال أخوك، وفيها أرى أبوك. وكلما أردت الإلغاء فالتأخير أقوى⁽¹⁾.

يريد بذلك أن الإلغاء مع التأخير في هذه الأفعال أقوى منه حين تتوسط المبتدأ والخبر قال: إلا أنك إذا أردت الإلغاء، فكما أخرت الذي تلغيه كان أحسن. وإذا أردت أن يكون مستقراً تكتفي به فكما قدمته كان أحسن، لأنه إذا كان عاملاً في شيء قدمته كما تقدم أظن وأحسب، وإذا ألغيت أخرته كما تؤخرهما، لأنهما ليسا يعملان شيئاً⁽²⁾.

سبقت الإشارة إلى مفهوم الاسم المفرد واللفظة، ولا أريد العودة إلى شرحهما، وإنما تذكير بسيط حتى يتسنى لنا فهم العامل وأثره على المعمولات، مع غيره من الزيادات القبليّة والبعديّة، لبناء التراكيب التواصلية.

الاسم المفرد هو النواة بدون زيادات، أما اللفظة فهي الاسم المفرد زائد ما يتعلق بالاسم المفرد من حرف الجر أو التعريف أو بهما، فتصبح اللفظة في التركيب أصغر وحدة، يضاف إليها وحدات أخرى بما يناسبها فيؤدي إلى مستوى تركيبى معين، وتفرض الزوائد على يمين اللفظ حركات إعرابية معينة ودليل ذلك من الكتاب قال: في الاسم والاسم لا على ما عمل في الاسم، ولكن الاسم وما عمل فيه في موضع اسم مرفوع أو منصوب. وذلك قولك: ما أتاني من أحدٍ إلا

¹ - سيبويه - الكتاب - ج/1، ص: 25

² - المصدر نفسه - ج/1، ص: 25

زيد، وما رأيت من أحدٍ إلا زيدا. وإنما منعك أن تحمل الكلام على من أنه خلف أن تقول: ما أتاني إلا من زيد، فلها كان كذلك حملة على الموضوع فجعله بدلاً منه كأنه قال: ما أتاني أحدٌ إلا فلان؛ لأن معنى ما أتاني أحد وما أتاني من أحدٍ واحدٌ، ولكن من دخلت هنا توكيداً، كما تدخل الباء في قولك: كفى بالشيب والإسلام، وفي: ما أنت بفاعل، ولست بفاعل. ومثل ذلك: ما أنت بشيءٍ إلا شيءٍ لا يُعبأ به، من قبل أن بشيءٍ في موضع رفع في لغة بني تميم، فلها قُبِحَ أن تحمله على الباء صار كأنه بدل من اسم مرفوع، وبشياءٍ في لغة أهل الحجاز في موضع منصوب، ولكنك إذا قلت: ما أنت بشيءٍ إلا شيءٍ لا يُعبأ به، استوت اللغتان، فصارت ما على أقيس الوجهين؛ لأنك إذا قلت: ما أنت بشيءٍ إلا شيءٍ لا يُعبأ به فكأنك قلت: ما أنت إلا شيءٍ لا يُعبأ به⁽¹⁾.

وما نستنتجه من هذا النص هو أن الحركة الإعرابية ليست وحدها هي من يحدد المعنى في التركيب، وإنما الحركة الإعرابية خاضعة لمجموع الزيادات التي يفرضها الموضوع.

وقد شرح عبد القاهر الجرجاني ذلك في دلائل الإعجاز في تعريفه النظم فقال: واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيءٍ منها وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه⁽²⁾، ففي قولنا: زيدٌ منطلقٌ، والمنطلقُ زيدٌ، لا شك أن الحركة الإعرابية ليست وحدها من يحدد المعنى بل الموضوع، وإن كان المنطلق زيد وزيد المنطلق كلاهما يقتضي انحصار الانطلاق على زيد، فإن المنطلق زيد تعني أكثر من دلالة: للمتوهم في ذهنه أن المنطلق قد يكون شخص آخر وهو طالب لتعيينه. أو الشخص الذي له الانطلاق صاحب اسم زيد أو المنطلق زيد في المقام الخطابي لزم أن لا يكون غير زيد منطلقاً ولذلك ينهى أن يقال زيد المنطلق. قال القزويني في شرحها: وكذا إذا

¹ - المصدر السابق - ج/1، ص: 155

² - الجرجاني - دلائل الإعجاز - ص: 78

البحث اللساني عند العرب

عرف السامع إنساناً يسمى زيداً بعينه واسمه وعرف أنه كان من إنسان انطلاق ولم يعرف أنه كان من زيد أو غيره فأردت أن تعرفه أن زيداً هو ذلك المنطلق فتقول زيد المنطلق وأن أردت أن تعرفه أن ذلك المنطلق هو زيد قلت المنطلق زيد.

وكذا إذا عرف السامع إنساناً يسمى زيداً بعينه واسمه وهو يعرف معنى جنس المنطلق وأردت أن تعرفه أن زيداً متصف به فتقول زيد المنطلق وإن أردت أن تعين عنده جنس المنطلق قلت المنطلق زيد، لا يقال زيد دال على الذات فهو متعين للخبرية تقدم أو تأخر، لأننا نقول المنطلق لا يجعل مبتدأ إلا بمعنى الشخص الذي له الانطلاق وأنه بهذا المعنى لا يجب أن يكون خبراً، وزيد لا يجعل خبراً إلا بمعنى صاحب اسم زيد وأنه بهذا المعنى لا يجب أن يكون مبتدأ⁽¹⁾.

- أنواع العوامل:

إن العامل نوعان لفظي ومعنوي، وإذا أردنا معرفة مفهوم العاملين اللفظي والمعنوي فإنه يتحتم علينا إدراك مفهوم الإعراب أولاً يقول ابن جني: هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيد أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجاً واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه⁽²⁾. فالإعراب هو السبيل لمعرفة المعاني وبدونه لا يتم المعنى، ولا يحصل تواصل، وهذا ما تتميز به اللغة العربية، وبالتالي بنى النحاة الأولون قواعدهم من هذا المفهوم، والحركة الإعرابية إنما يحدتها العامل سواء كان لفظياً أو معنوياً يقول ابن هشام الأنصاري: أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الكلمة⁽³⁾. فالإعراب معنى ولفظ، والنحاة أسسوا قواعدهم على الجمع بينهما، وبناء التراكيب على ضبط علاقات معينة تقوم على مبدأ التوضع.

¹ - جلال الدين القزويني، 1، ص: 32

² - ابن جني - الخصائص - ج/1، ص: 8

³ - ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج/1، ص: 39

1- العوامل اللفظية:

وهي أفعال وحروف وأسماء.

- الأفعال: وهي الأصل في العمل، تعمل الرفع والنصب، وجميع الأفعال تعمل الرفع في واحد إذ أسند إليه. قال سيويوه: ومثل ذلك: يذهب عبد الله، فلا بدّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بدّ من الآخر في الابتداء⁽¹⁾.

أفعال تجرى مجرى الأدوات ولها أحكامها.

كان وأخواتها- كاد وأخواتها قال: وجعلت من عوامل الأفعال نحو كان وأخواتها التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار. أما كاد وهو كاد وأخواتها، منها أحد عشر فعلا، ولا خلاف في أنها أفعال، إلا عسى⁽²⁾

¹ - سيويوه - الكتاب - ج/1، ص: 5

² - ذكر ابن هشام في أكثر كتبه على أن القول بأن " عسى " حرف هو قول الكوفيين، وتبعهم على ذلك ابن السراج، ونص في المغني وشرح الشذور على أن ثعلبا يرى هذا، وثعلب أحد شيوخ الكوفيين، وملخص مذهبه أنهم قالوا: عسى حرف ترج، واستدلوا على ذلك بأنها دلت على معنى لعل، وبأنها لا تنصرف كما أن لعل كذلك لا تنصرف، ولما كانت لعل حرفا بالإجماع وجب أن تكون عسى حرفا مثلها، لقوة التشابه بينهما.

ومن العلماء من ذهب إلى أن " عسى " على ضربين: الضرب الأول ينصب الاسم ويرفع الخبر مثل إن وأخواتها، وهذه حرف ترج، ومن شواهدا قول صخر بن العود الحضرمي: فقلت: عساها نار كأس، وعليها تشكي فآتي نحوها فأعودها والضرب الثاني: يرفع المبتدأ وينصب الخبر - وهو الذي نتحدث عنه في هذا الباب، وهو من أفعال المقاربة - وهذا فعل ماض، بدليل قبوله علامة الأفعال الماضية كفاء الفاعل في نحو قوله تعالى: (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض) وأما جمودها ودلالاتها على معنى يدل عليه حرف فلا يخرجها عن الفعلية، وكم من فعل يدل على معنى يدل عليه حرف، وهو مع ذلك جامد، ولم يخرجها ذلك عن فعلية.

البحث اللساني عند العرب

فعلا المدح والذم: قال الزمخشري: هما نعم وبئس، وضعا للمدح العام والذم العام، وفيهما أربع لغات: فعل بوزن حمد وهو أصلها قال: نعم الساعون في الأمر البر وفعل وفعل بفتح الفاء وكسرهما وسكون العين. وفعل بكسرهما⁽¹⁾ ولعمولهما الفاعل أحكام حددها النحاة.

- المصدر: قال سيبويه: إذا عملت فيه المصدر فجرى مجراه في الفعل⁽²⁾. وشبهه باسم الفاعل في عمله قال الجرجاني: ووضع المصدر مثلاً مواضع اسم الفاعل نحو رجل صوم وضيء. وقال أيضاً: وذلك أنّ المصدر واسم الفاعل ليساً بمجلتين صريحاً ولكن حكم الجملة قائم فيهما، وهو أنك عملتهما عمل الفعل، ألا ترى أنك عدتيهما على حسب ما تعدى الفعل؟ وخصائص هذا النوع من التمثيل أكثر من أن تضبط⁽³⁾.

- الحروف: وهي على أربعة أضرب:

- نوع ينصب: أنّ وأخواتها ويكون منصوبه قبل مرفوعه. ولا نافية للجنس.

- نوع يرفع وذلك في ما ولا. بمعنى ليس.

- نوع ينصب ومنه الواو التي بمعنى مع والاستثناء وحروف النداء عندما تنصب النكرة ونواصب الفعل المضارع.

- ما يجزم فقط وهي الأحرف الخمسة الجازمة وهي: لم- لما- لا الناهية- لام الأمر- إن في الشرط والجزم.

- ما يجز فقط وهي جميع حروف الجر الباء إلى ت حتى حاشا خلا ربّ

1 - الزمخشري لمفصل في صنعة الإعراب - ج/1، ص: 51

2 - سيبويه - الكتاب - ج/1 ص: 33

3 - الجرجاني - أسرار البلاغة - ص: 39/12

البحث اللساني عند العرب

عدا على - عن في - ك - ل لولا - مذ من - منذ - ..

- الأسماء: هناك ضربان:

- ضرب يعمل عمل الفعل إما مجازاً وإما على الحقيقة وذلك في اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة والمصدر واسم الفعل.

- ضرب يعمل عمل اسم الفاعل جراً أو جزماً، فالجريكون على الإضافة.

والجزم بالأسماء التي تتضمن معنى الشرط والجزاء وهي: مَنْ - ما - أي - أينما - متى - حينما - إذما - مهما.

ملاحظة:

هناك أحكام كثيرة تخص الأسماء والحروف، في وجوه الإعراب، وأحياناً مخالفة للمتفق عليه مثل حكم (لا) كونها عاملة عمل إنَّ نافية للجنس، أو عاملة عمل ليس، وحكم معموليها أن يكونا نكرتين، ويختل هذا الشرط كما في قول الشاعر المتنبي:

إذا الجود لم يرزق خلاصاً من

فلا المال مكسوبا ولا الرزق

لكنها مع مخالفتها، تعمل (لا) هنا عمل ليس، فالمال اسمها مبني في محل رفع، مكسوبا خبرها.

* - قيل وهذا البيت من الشاذ في هذه القضية، يحفظ ولا يقاس عليه.

2- العوامل المعنوية:

وهي اثنان.

- العامل في المبتدأ والخبر.

- العامل في الفعل المضارع المرفوع وهو وقوعه موقع الاسم. وتجرده.

وفي ما يتعلق بالعامل في المبتدأ والخبر، فقد صنفته ضمن العوامل المعنوية، وهو مذهب سيبويه، أما الآراء الأخرى، فهناك من يجعل العامل فيهما لفظي، وإليك صورة من الاجتهادات العلمية في القضية: فالعامل في المبتدأ معنوي - وهو كون الاسم مجردا عن العوامل اللفظية غير الزائدة، وما أشبهها - واحترز بغير الزائدة من مثل " بحسبك درهم " فيحسبك: مبتدأ، وهو مجرد عن العوامل اللفظية غير الزائدة، ولم يتجرد عن الزائدة، فإن الباء الداخلة عليه زائدة، واحترز " بشبهها " من مثل " رب رجل قائم " فرجل: مبتدأ، وقائم: خبره، ويدل على ذلك رفع المعطوف عليه، نحو " رب رجل قائم وامرأة ".

والعامل في الخبر لفظي، وهو المبتدأ، وهذا هو مذهب سيبويه رحمه الله!

وذهب قوم إلى أن العامل في المبتدأ والخبر الابتداء، فالعامل فيهما معنوي. وقيل: المبتدأ مرفوع بالابتداء، والخبر مرفوع بالابتداء والمبتدأ. وقيل: ترافعا، ومعناه أن الخبر رفع المبتدأ، وأن المبتدأ رفع الخبر.

وأعدل هذه المذاهب مذهب سيبويه.⁽¹⁾

- أنواع المعمولات:

¹ - شرح ابن عقيل ج/1، ص: 201

البحث اللساني عند العرب

المعمول هو ما يلحقه التغيير في آخره برفع أو نصب أو جزم أو خفض بتأثير العامل (الإعراب) والوضع. قال سيبويه: وهي تجري على ثمانية مجاز: على النصب والجزم والرفع والجزم، والفتح والضمّ والكسر والوقف. وهذه المجازي الثمانية يجمعهنّ في اللفظ أربعة أضرب: فالنصب والفتح في اللفظ ضرب واحد، والجزم والكسر فيه ضرب واحد، وكذلك الرفع والضمّ، والجزم والوقف. وإنما ذكرت لك ثمانية مجاز لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل - وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه - وبين ما يبني عليه الحرف بناءً لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه من العوامل، التي لكلّ منها ضرب من اللفظ في الحرف، وذلك الحرف حرف الإعراب⁽¹⁾.

نلاحظ أن سيبويه يدمج الوقف (السكون) لغاية ذكرها ابن جني في قوله: قال الأخفش (والجزم في الشعر حركة حرف الروي) فتحة وضمته وكسرتة وليس في الروي المقيد مجرى لأنه لا حركة فيه فيسمى مجرى، وإنما سمي بذلك مجرى لأنه موضع جرى حركات الإعراب والبناء (والمجاري أواخر الكلم) وذلك لأن حركات الإعراب والبناء إنما تكون هنالك قال ابن جني سمي بذلك لأن الصوت يبتدئ بالجرّيان في حروف الوصل منه قال: وأما قول سيبويه هذا باب مجاري أواخر الكلم من العربية وهي تجري على ثمانية مجاز فلم يقصر المجاري هنا على الحركات فقط كما قصر العروضيون المجرى في القافية على حركة حرف الروي دون سكونه لكن غرض صاحب الكتاب في قوله مجاري أواخر الكلم أي أواخر الكلم وأحكامها والصور التي تتشكل لها فإذا كانت أحوالاً وأحكاماً فسكون الساكن حال له كما أن حركة المتحرك حال له أيضاً فمن هنا سقط تعقب من تتبعه في هذا الموضوع فقال كيف ذكر السكون والوقف في المجاري وإنما المجاري فيما ظنه الحركات وسبب ذلك خفاء غرض صاحب الكتاب عليه⁽²⁾.

¹ - سيبويه - الكتاب - ج/1، ص: 2

² - الزبيدي - تاج العروس من جواهر القاموس - ج/1، ص: 8327

البحث اللساني عند العرب

أما أنواع المعمولات فهي المرفوعات، والمنصوبات، والمعمول بالتبعية (الصفة والمعطوف والتوكيد والبدل).

- المرفوعات: وهي الفاعل، ونائب فاعل، المبتدأ والخبر، اسم كان وأخواتها، خبر إن وأخواتها، التابع للمرفوع (النعته، العطف، التوكيد، البدل).

- المنصوبات: وهي المفعول به، والمصدر، وظرف المكان والزمان، الحال، التمييز، المستثنى، اسم لا العاملة عمل إنَّ، خبر لا العاملة عمل ليس والمنادى والمفعول معه والمفعول من أجله، خبر كان وأخواتها، اسم إنَّ وأخواتها. والتابع المنصوب النعته، العطف، التوكيد، البدل.

هذه على وجه العموم أنواع العوامل، وأنواع المعمولات، وهي عند النحاة على وجه كبير وواضحة من حيث الاختلاف، من باب الاجتهاد داخل النظرية.

- نماذج من التحليل النحوي:

الأمثلة كثيرة أكتفي ببعضها مثل:

1- حكم الاسم المرفوع بعد إذا الشرطية:

ذهب الكوفيون إلى أن الاسم الواقع بعد إذا الشرطية يعرب فاعل لفعل محذوف يفسره الفعل الواقع بعده من حيث البناء للمعلوم أو المجهول..

ومنه قول الشاعر طرفة بن العبد:

إذا القومُ قالوا من فتى خلت
عنيت فلم أكسل ولم أتبدل

فالقوم فاعل لفعل محذوف، يفسره الفعل بعده وتقديره:

إذا قال القوم قالوا من فتى.

البحث اللساني عند العرب

أما إذا جاء بعدها ضمير أرب توكيد لفظي للضمير في الفعل بعده كقول الشاعر:

إذا أنت أكرمت الكريم وإن أنت أكرمت اللئيم تترد

فالضمير توكيد للضمير الفاعل المتعلق بالفعل (أكرم) تقديره:

إذا أكرمت أنت أكرمت الكريم...

التاء ضمير في محل رفع فاعل، والضمير أنت في محل رفع توكيد

و هذا تفسير لم يقبل به البصريون، بحجة أن الاسم الواقع بعد إذا الشرطية لا يدل دائماً على الفاعلية، فكيف نفسر قولنا: إذا القوم داهمتهم المنايا، فإذا أعربت (القوم) بالرفع بما ذكره الكوفيون، فإنها في هذا المثال بالنصب على المفعولية وليست بالرفع وبالتالي لا يجوز أن تكون فاعلاً. والبصريون يعربونها على الابتداء قال سيبويه نقلاً عن السهيلي: ونقل السهيلي أن سيبويه يجيز الابتداء بعد إذا الشرطية، وأدوات الشرط، إذا كان الخبر فعلاً. وأجاز الأخفش وقوع المبتدأ بعد إذا⁽¹⁾. والغالب أن يأتي بعدها فعل كقوله تعالى: (إذا جاء نصر الله).

2- حكم تقدم الفاعل عن الفعل:

من أبرز قضايا الخلاف العلمي بين البصريين والكوفيين جواز تقدم الفاعل عن عامله عند الكوفيين، وعدم جواز ذلك عند البصريين.

استدل الكوفيون على جواز تقديم الفاعل على رافعه، بوروده عن العرب واحتجوا في نحو قول الزباء:

ما للجمال مشيها وئيدا أجنديلا يحملن أم حديدا

¹ - المرادي - الجني الداني في حروف المعاني - ج/1 ص: 62

البحث اللساني عند العرب

في رواية من روى " مشيها " مرفوعا، قالوا: ما: اسم استفهام مبتدأ، وللجمال: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، مشى: فاعل تقدم على عامله وهو وئيدا الآتي ومشى مضاف والضمير العائد إلى الجمال مضاف إليه، وئيدا: حال من الجمال منصوب بالفتحة الظاهرة، وتقدير الكلام: أي شيء ثابت للجمال حال كونها وئيدا مشيها.

واستدل البصريون على أنه لا يجوز تقديم الفاعل على فعله بوجهين، أحدهما: أن الفعل وفاعله كجزأين لكلمة واحدة متقدم أحدهما على الآخر وضعاً، فكما لا يجوز تقديم عجز الكلمة على صدرها لا يجوز تقديم الفاعل على فعله، وثانيهما: أن تقديم الفاعل يوقع في اللبس بينه وبين المبتدأ، وذلك أنك إذا قلت " زيد قام " وكان تقديم الفاعل جائزاً لم يدر السامع أأردت الابتداء بزيد والإخبار عنه بجملة قام وفاعله المستتر، أم أردت إسناد قام المذكور إلى زيد على أنه فاعل، وقام حينئذ حال من الضمير.⁽¹⁾

لا يجوز تقديم الفاعل على الفعل كذلك لا يجوز تقديم المميز إذ كان هو الفاعل في المعنى على الفعل هذا قول ابن جني⁽²⁾ فكما لا يجوز تقديم الفاعل على الفعل⁽³⁾ فإن الفاعل يجب أن يكون بعد الفعل، فلا يجوز عنده تقديم الفاعل⁽⁴⁾ والحقيقة أن سيبويه أجاز ذلك في الشعر وقال وذلك ضرورة كما في قول الشاعر المرار:

صددت فأطولت الصدود، وصالٌ على طول الصدود

¹ - شرح ابن عقيل - ج/1، ص: 465

² - ابن منظور - لسان العرب - ج/1، ص: 465

³ - ابن جني - الخصائص - ج/1، ص: 214

⁴ - شرح ابن عقيل ج/1، ص: 464

البحث اللساني عند العرب

فقال سيويوه: ضرورة، فليل: وجه الضرورة أن حقها أن يليها الفعل صريحاً والشاعر أولاً فعلاً مقدرأ. ورد ابن سيده ذلك بقوله: بأن البصريين لا يميزون تقديم الفاعل في شعر ولا نثر⁽¹⁾

و البصريون كانوا محقين في عدم جوازهم تقديم الفاعل على معموله لأنه وإن جاز في شكل من أشكال التركيب فإنه، يقع في التغليب في شكل آخر مثل: الطالب يكتب فإذا اعتبرنا الطالب فاعل مقدم عن معموله، والمعمول الفعل المضارع بعده فإن التركيب الآتي: إن الطالب يكتب تصبح الطالب اسم إن ومرفوع المعمول الفاعل ضمير مستتر، ونفسه في اسم كان كان الطالب يكتب لذلك نجد البصريين لا يقدمون على حكم إلا وقد درسوه وقلبوه على وجوه واحتمالات مختلفة، لذلك فضلوا حكم الابتداء بمعنى انعدام التبعية النحوية على أن يكون معمولاً لمتقدم العامل.

وأهم ما ذكره الدكتور الحاج صالح في هذه القضية النحوية التحليل الرياضي التالي:

$$\text{المعادلة الرياضية: } [\text{ع} \quad \text{م} \quad \text{م}] + \text{خ} \leftarrow$$

يقول الحاج صالح: ع = العامل. م₁ = المعمول الأول. م₂ = المعمول الثاني. خ = المخصص = الترتيب الواجب، والقوسان يجمعان الزوج المرتب أما المعقوفتان فلوحدة التركيبية الصغرى⁽²⁾

$$\text{والزوج المرتب: } [\text{ع} \quad \text{م}] \text{ ترتيبهما لا يتغير مطلقاً في الجملة الفعلية.}$$

العامل المعمول

←

¹ - ابن هشام - مغني اللبيب عن كتب الأعراب - ج/1، ص: 115

² - - الحاج صالح عبد الرحمان - النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية -، ص: 82، كراسات المركز،

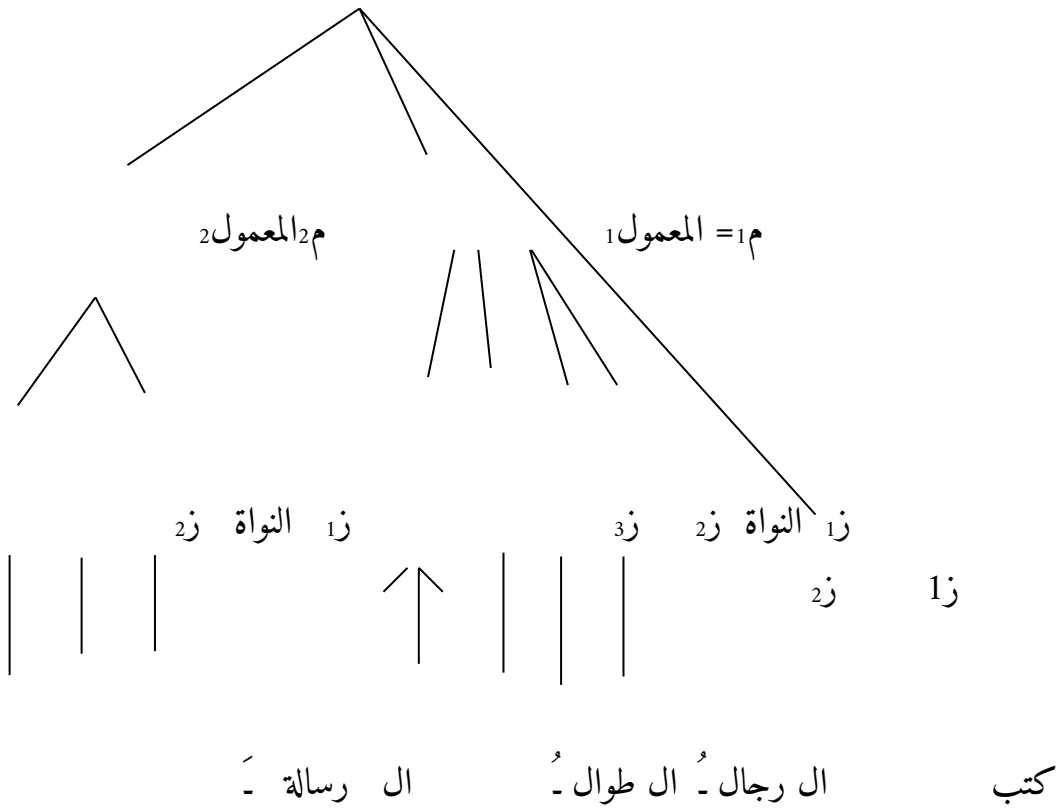
البحث اللساني عند العرب

فإذا كان العامل الفعل، لا يجوز أن يتقدم معموه الأول الفاعل عليه (قضية خلافية بين البصرة والكوفة) . أما لماذا لم يجوز سيويوه تقديم الفاعل عن الفعل:

أحدهما: أن الفعل وفاعله كجزأين لكلمة واحدة متقدم أحدهما على الآخر وضعا، فكما لا يجوز تقديم عجز الكلمة على صدرها لا يجوز تقديم الفاعل على فعله.

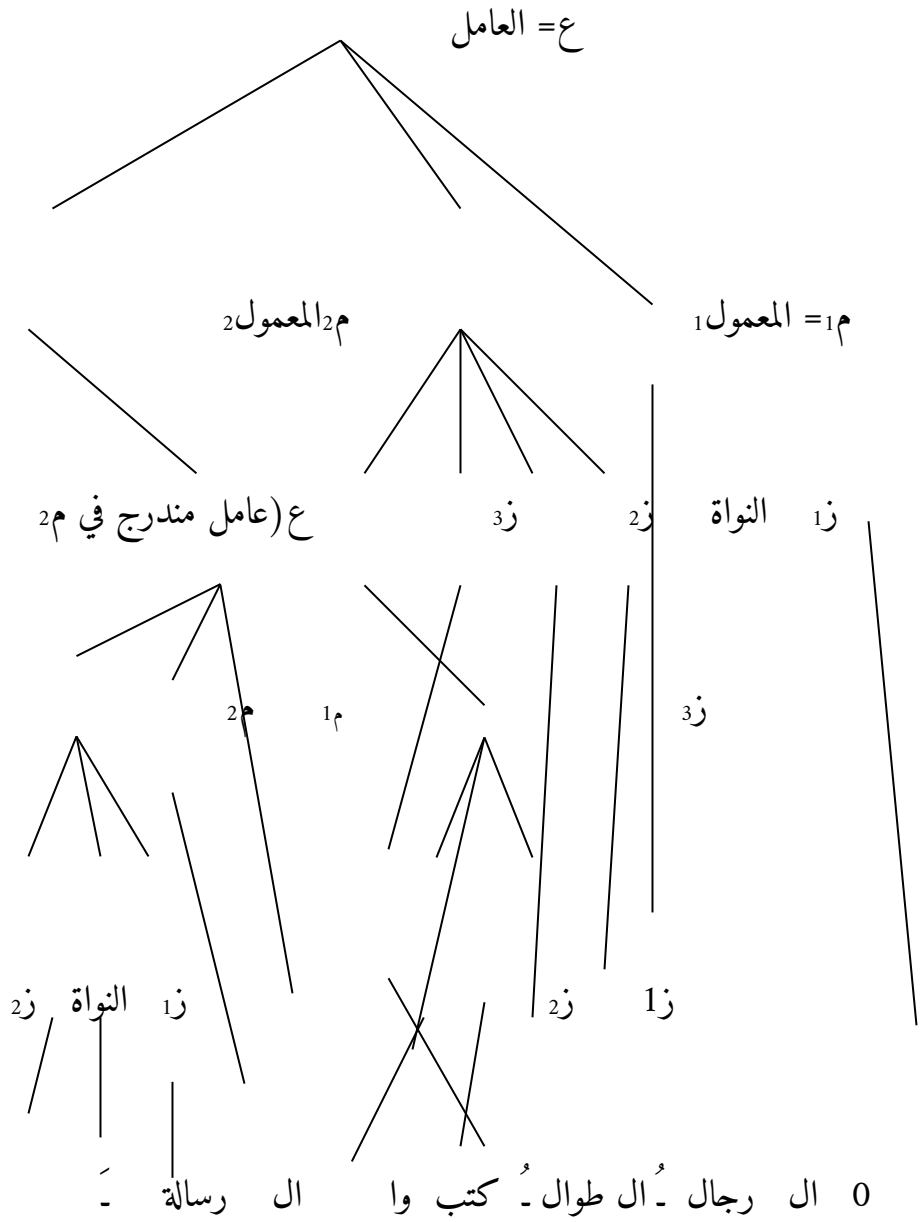
ثانيهما: أن تقديم الفاعل يوقع في اللبس بينه وبين المبتدأ، وذلك أنك إذا قلت " زيد قام " وكان تقديم الفاعل جائزا لم يدر السامع أردت الابتداء بزيد والإخبار عنه بجملة قام وفاعله المستتر، أم أردت إسناد قام المذكور إلى زيد على أنه فاعل.

ع = العامل



وإذا قدمنا المعول الأول يحسب مندرج في العامل [ع (م1 + م2)] + خ ←

البحث اللساني عند العرب



البحث اللساني عند العرب

الرموز بمعنى الزيادة الداخلة...زهذا الرسم الشجري الذي هو من تصورنا وهو يخضع لما تقتضيه العربية قد أدمجنا فيه مزية الترتيب (للموضع) في مزية الاندراج الممثل في في التفرع الشجري... أن المعمول الأول لا يقدم على عامله أبدا⁽¹⁾.

- منهج علم التصريف

- نشأة علم التصريف:

من البحث في أعماق الصحراء، إلى البحث في أعماق اللغة وغيرها من العلوم الأخرى، وقبل الحديث عن علم الصرف، يجدر بنا الحديث عن واضع أسس هذا العلم، مع علمنا مسبقاً أن الخلاف بين في هذا الجانب. لذلك سأكتفي بالرواية الغالبة التي رواها الدكتور نجر الدين قبارة قال: فقد ذكر ابن مالك في التصريح أن العلماء أجمعوا عليه وأيد الإمام السيوطي ذلك في قولين مختلفين:

الأول: واتفقوا على أن معاذا الهراء أول من وضع التصريف.

الثاني: أنه هو الذي تنبه لذلك (يعني السيوطي) ، قال في ترجمة الهراء: هو نحوي مشهور وهو أول من وضع التصريف.

واستدل على ذلك بما رواه الزبيدي أن أبا مسلم كان قد نظر في النحو. فلما أحدث الناس التصريف لم يحسنه وأنكره فهجا أصحاب النحو فقال:

حتى تعاطوا كلام الزنج

كأنه زَجَلُ الغريبان

قد كان أخذهم في

لمل سمعت كلاما،

¹ - الحاج صالح عبد الرحمان - النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية -، ص: 87/86/84، كراسات المركز، العدد الرابع، السنة 2007.

البحث اللساني عند العرب

من التتحم في تلك

تركت نحوهم، والله

فأجابه معاذ الهراء- أستاذ الكسائي- فقال:

شبت، ولم تحسن

عالجتها أمرد، حتى

يصدرها من بعد

سميت من يعرفها

طود، علا القرن من

سهل منها كل

أورد السيوطي هذا النص بتصريف يسير ثم عقب عليه بقوله ومن هنا لمحت أن أول من وضع التصريف هو معاذ هذا⁽¹⁾ (معاذ الهراء ليس معاذ بن جبل) الصحابي المعروف. لأن هناك رواية أخرى تشرح حقيقة واضع علم التصريف والإشكال بين (معاذ الهراء، ومعاذ بن جبل) فهناك من يعتقد أن معاذ المقصود هو معاذ بن جبل يقول نخر الدين قباوة: وقد وقع في شرح القواعد لشيخنا الكافي^ج أول من وضع علم الصرف معاذ بن جبل. وهو خطأ بلا شك. وقد سألته عنه فلم يجيبني⁽²⁾.

ذكر الإمام السيوطي: أن عبد الملك بن مروان كان قد نظر في النحو، ثم لما أحدث الناس التصريف جلس إلى معاذ الهراء- رحمه الله- له فسمعه يقول: لرجل كيف تبني من (تؤزهم أزا) مثل يا فاعل افعل فأنكره أبو مسلم رحمه الله وقال قد كان أخذهم في النحو يعجبني حتى تعاطوا كلام الزنج والروم (أبيات) وأجابه معاذ الهراء- رحمه الله- بأبيات أوردتها في طبقات النحاة، فوضح بهذا أن واضع التصريف معاذ بن مسلم الهراء- رحمه الله- وأنه تخرج على شيخنا معاذ بن جبل- رضي الله عنه-⁽³⁾ وكانت وفاة معاذ هذا سنة سبع وثمانين ببغداد⁽¹⁾.

¹ - نخرالدين قباوة، ابن عصفور والتصريف -، ص: 23

² - المرجع نفسه، ص: 24

³ - السيوطي - سبب وضع العربية - ج 1، ص: 60

البحث اللساني عند العرب

وهنا أقف عند هذا النص الهام، الذي بين واضح علم التصريف لأشير فقط أن المقصود من الوضع هو الأصول والظوابط التي مكّنت من أن يكون علما له وزنه، وشأنه بين علوم العربية الأخرى، أما الاستعمال فقد كان قبل ذلك حيث اعتاد العرب على استعمال بعض أبنية الأسماء والأفعال والاتفاق عليها ولو عفويا، قال سيبويه: هذا باب ما بنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال، غير المعتلة والمعتلة⁽²⁾ صحيح أنهم افتقدوا إلى منهج قويم، ينطلقون منه في تجسيد نظامهم اللغوي الذي كان سليقيا.

وهناك أمر آخر ينبغي الإشارة إليه وهو جهود الإمام علي-كرم الله وجهه- ومن ورائه أبي الأسود الدؤلي، الذي أرسى بعض القواعد بهدف الحفاظ على لغة العرب ولغة القرآن الكريم.

وتحديد نشأة علم الصرف كعلم له أصوله ومنطلقاته وقواعده وفق منهج علمي دقيق، قد كانت في القرن الأول للهجرة وهو القرن الذي شهد حملة تقييد للغة العربية في نحوها وصرفها وكل ما يتعلق بها.

أما علم التصريف فقد ظهر في القرن الأول الهجري، فبعد دراسة عميقة أكدت صحة النص الذي أورده الإمام السيوطي، بمراجعة جميع جوانبه يقول نحر الدين قباوة: فإذا انتهينا إلى هذا، وقررنا أن نشأة الصرف كانت في القرن الأول الهجري⁽³⁾ وهناك تعريف أخر له أهميته لأحد المحدثين قارن فيه بين تعريفات القدامى والمحدثين، فوجد أن القدماء كانوا أكثر دقة وتميزا في الفهم والتحليل.

¹ - المصدر نفسه، ص: 62

² - سيبويه - الكتاب - ج/2، ص: 315

³ - نحر الدين قباوة - ابن عصفور والتصريف - ص: 38

البحث اللساني عند العرب

يقول عبده الراجحي كلاما في تعريف الصرف يعكس الدقة في البحث اللغوي عند القدمى وقصور المحدثين البين في فهم الكثير من القضايا قال: والصرف هو علم دراسة الكلمة من حيث الوحدات الصرفية. [تعريف المحدثين] ويقول أيضا: وهذا تعريف يحتاج إلى الكثير من التفصيل لكن يمكن أن يغني عنه ما يذهب إليه العلماء العرب من الصرف من خلال دراسة بنية الكلمة...

وأيا: فإن الظواهر التي درسها العرب تحت علم الصرف تلتقي مع التعريف الحديث وهذا يعني أن البحث القديم وصل إلى درجة عالية من التطور، إذ لوحظ مراعاة بنية الكلمة وأجزائها، وخدمتها للعبارة مما يؤدي إلى اختلاف المعاني التحوية أو المقاصد التبليغية .

قال ابن هشام: التصريف وهو تغيير في بنية الكلمة لغرض معنوي أو لفظي فالأول كتغيير المفرد إلى التثنية والجمع وتغيير المصدر إلى الفعل والوصف و(غزو) إلى أن قال: (غزا) ولهذين التغييرين أحكام كالصحة والإعلال وتسمى تلك الأحكام علم التصريف⁽¹⁾ وأكثر ما يلاحظ في هذا التعريف القيم قوله: تغير بنية الكلمة مع تحديد غرض هذا التغير معنوي كان أم لفظي بالإضافة، إلى تحديد مجالات الصرف وطبيعة الكلمة التي يطراً عليها.

يقول: ولا يدخل التصريف في الحروف ولا فيما أشبهها وهي الأسماء المتوعدة في البناء والأفعال الجامدة فلذلك لا يدخل فيما كان على حرف أو حرفين إذ لا يكون كذلك إلا الحرف كباء الجر ولامه وقد وبل وما أشبه الحرف كماء (قت) و(نا) من (قنا) وأما ما وضع على أكثر من حرفين ثم حذف بعضه فيدخله التصريف نحو دم في الأسماء ونحو (زيدا) و(قم) و(بع) في الأفعال⁽²⁾ فذكر ما لا يدخله التصريف كالحروف وهي معروفة كحروف الجر،

1 - ابن هشام - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك - ج 4 / ص: 360

2 - المصدر نفسه، ج 4 / ص: 360

البحث اللساني عند العرب

والعطف، وحرفا الاستفهام، وحروف الشرط الجازمة وغيرها والأسماء المبنية غير المعربة، ولا تعرب مهما تغيرت حالاتها، وكذا الأفعال الجامدة كأفعال المدح والذم وغيرها.

- أهم الكتب التي ألفت في علم الصرف:

استطاع علم الصرف بعد هذه النشأة المنطقية، أن يجد أنصارا من العلماء يحرصون على رعايته، والعناية به ومتابعة مسأله، وتحديد دائرته التي يختص بها، وإذا هذا العلم ينحو منحى جديدا تلعب فيه بوادر الاستقلال والتميز، يختص بكتب تكون مقصورة عليه. قال الدكتور نخر الدين قباوة: اعلم أن أول من دون علم الصرف أبو عثمان بكر بن محمد بن حبيب المازني وكان قبل ذلك مندرجا في علم النحو.

وهناك رواية تنفي هذا الرأي وتذكر كتبا في التصريف لعلماء تقدموا المازني وكان أحدهم من شيوخه فالخليل نسب إليه كتاب في الصرف شرحه بعض العلماء، وأبو الحسن الأخفش وهو شيخ المازني عنه أخذ كتاب سيويوه صنف كتابا في التصريف، وأبو الحسن الأحمر علي بن المبارك له كتاب: التصريف ولأبي زكريا الفراء كتاب: في التصريف نقل عنه أبو علي الفارسي. ونسب إلى الإمام أبي حنيفة كتاب: المقصود في الصرف، وهناك من أنكر نسبته إليه⁽¹⁾ والاختلاف هذا وإن كان قد حصل المهم هو الكتب التي ألفت في هذا العلم أكدت اهتمام العلماء العرب به، والاجتهاد في وضع أصوله، واستنباط قواعده.

- أسباب نشأة علم التصريف:

الحديث عن أسباب نشأة الصرف لا تختلف كثيرا عن التي عرفت عن سبب وضع علم النحو بل إن الأسباب والدوافع تكاد تكون نفسها وهي انتشار اللحن يقول نخر الدين قباوة: فإذا رجعنا إلى الروايات التي تبسط دوافع وضع هذا العلم رأيناها تسوق أخبارا كثيرة مختلفة. ولكن

¹ - نخر الدين قباوة، ابن عصفور والتصريف، ص: 44 - 45

البحث اللساني عند العرب

هذه الأخبار - على كثرتها واختلافها تجمع على أن الأسباب الداعية إلى وضع علم العربية إنما هي شيوع اللحن في اللغة والإعراب والصرف⁽¹⁾ فإن كانت في النحو أخطاء في الحركة الإعرابية، برفع ما وجب نصبه أو نصب ما وجب رفعه مثل: ما (أجملُ) السماء بالرفع وهو يريد التعجب، والصواب (أجملَ) أو يقول: ما (أجملَ) السماء، وهو يريد الاستفهام، والصواب (ما أجملُ)؟ أو اللحن حتى في القرآن الكريم: (إن الله برئ من المشركين ورسوله) "بكسر لام رسوله" وغيرها من مظاهر اللحن في النحو، فإن اللحن في مجال التصريف قد كان في الخلط بين الحروف وإسقاط الوزن

وغيره من الآفات الكلامية.

قال: حدثنا علي بن محمد الهاشمي قال: سمعت أبي، قال: كان بدء وضع أبي الأسود الدؤلي النحو أنه مر به سعد وكان رجلاً فارسياً قدم البصرة مع أهله وكان يقود فرسه فقال: مالك يا سعد ألا تركب؟ فقال: فرسي ضالع.. قال أبو الأسود: هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام، ودخلوا فيه، وصاروا لنا إخوة فلو علمناهم الكلام، فوضع باب الفاعل والمفعول. ولا شك أن إبدال سعد من الظاء ضادا، في قوله ضالع بدل ظالع هو من مسائل الصرف⁽²⁾.

وليست هذه الرواية هي الوحيدة التي تجعل اللحن الصرفي سبب وضع العربية فقد قال أبو الطيب اللغوي: أخبرنا محمد بن يحيى قال: أخبرنا محمد بن يزيد عن الجريري عن أبي الحسن الأخفش عن سيبويه عن الخليل قال: لم يزل أبو الأسود ضنينا بما أخذه عن علي رضي الله عنه حتى قال زياد: قد فسدت ألسنة الناس، وذلك أنهما سمعا رجلاً يقول سقطت عصاتي فدافعه أبو الأسود فإذا علمنا أن قولهم عصاتي بدل عصاي هو أول لحن ظهر بالعراق. وأن اللحن اللغوي

¹ - المصدر نفسه - ص: 30

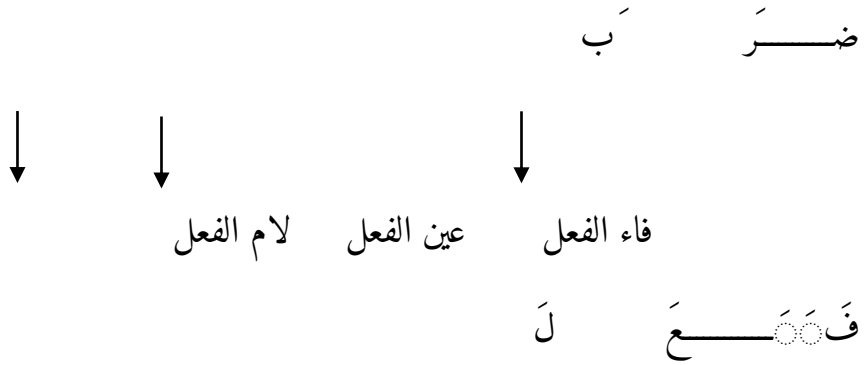
² - المصدر نفسه، ص: 31

البحث اللساني عند العرب

الصرفي ظهر بين أبناء الأمراء والشعراء حتى سمع علي نفسه عبد الله بن زياد يقول: هروري بدل حروري، وقال زياد الأعجم الثلثان وهو يريد "السلطان"⁽¹⁾

- التحليل الصرفي عند العلماء العرب:

1-الأصل والزائد: يقول ابن جني: الأصل عبارة، عند أهل الصناعة، الحروف التي تلزم الكلمة في كل موضع من تصرفها، إلا أن يُحذف شيء من الأصول تخفيفاً أو لعلّة طارئة⁽²⁾ ويحصل ذلك بمقابلة الأصول فنقول:



وقد ورد في فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف: في أحرف الميزان وكيفية الوزن قال:

فصل وقابل الأصول بالفا والعين واللام توافق عرفا⁽³⁾

¹ - المصدر نفسه، ص: 31

² - ابن جني، التصريف الملوكي، تخ: د/ديزيره سقال، ص: 15

³ - عمر بوحفص الزموري، فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف، ص: 120

البحث اللساني عند العرب

احتاط التصريفيون في سمة ذلك بأن قابلوا به في التمثيل من الفعل والموازنة له فاء الفعل وعينه ولامه، وقابلوا بالزائد لفظه بعينه في نفس المثال المصوغ، ولم يقابلوا به فاء الفعل ولا عينه ولا لامه، بل لفظوا به البتة، ومن ذلك قولنا:

قَعَدَ

فعل

مثاله فَعَلَ (القاف + العين + اللام) فالحروف كلها أصول .

فإذا قلت: يقَعُدُ

زدت الياء وصار مثاله:

يفَعُلُ

فالياء زائدة لأنها غير موجودة في (قعد) ، والقاف والعين والذال موجودة أين تصرفت الكلمة نحو: قاعد، متقاعد، مُقْتَعِد (فالألف والميم والتاء زوائد لأنها ليست موجودة في (قعد) " (1)

وقد استطاع العلماء العرب حصر حروف الزيادة في عشرة حروف:

(الألف، والياء، الواو، والهمزة، والميم، والتاء، والنون، والهاء، والسين، واللام) ويجمعها قولك: اليوم تنساه ويقال: سألتونيها.

ويحكى أن ابن العباس سأل أبا عثمان عن حروف الزيادة فأنشده أبو عثمان:

¹ - ابن جني، التصريف الملوكي،، تحقق: د/ ديزيره سقال، ص: 15

البحث اللساني عند العرب

هُوَيْتُ السَّمَانَ فَشَيْبَنِيَّ وما كنت قبلُ هَوَيْتُ

فقال له أبو العباس: الجواب، فقال: قد أجبتك دفعتين، يعني قوله هويت السمان⁽¹⁾

وقال أيضا عن أحرف الزيادة: وإنما سميت حروف الزيادة لأن زيادتها في الكلام هو الباب المعروف وأما الحذف فإنما جاء في بعضها وقليل ما ذلك ألا ترى إلى كثرة زيادة الواو والياء في الكلام⁽²⁾ ويرى أبو سعيد الأنباري أن حروف الزيادة التي هي: (الهمزة والألف والياء والواو والميم والتاء والنون والسين والهاء واللام) والتي يجمعها قولك "اليوم تنساه" و"لا أنسىتموه" و"سألت مونيها"

أما عن خصوصيتها ومجال وظيفتها فيرى: إنما تختص بالأسماء والأفعال فأما الحروف فلا يدخلها شيء من هذه الحروف على سبيل الزيادة بل يحكم على حروفها كلها بأنها أصلية في كل مكان على كل حال ألا ترى أن (الألف لا تكون في الأسماء والأفعال إلا زائدة أو منقلبة) . ولا يجوز أن يحكم عليها في ما ولا ويا بأنها زائدة أو منقلبة بل نحكم عليها بأنها أصلية لأن الحروف لا يدخلها ذلك فدل على أن اللام أصلية⁽³⁾ .

وقال الرماني في حروف الزيادة وكلامه يوافق مع ما ذهب إليه ابن جني: حروف الزيادة عشرة يجمعها في اللفظ (اليوم تنساه) .

- الهمزة: تزداد في نحو: (أحمر وأعصر وأبلم) وتزداد في الفعل نحو: (اذهب وانخرج وأكرم) .

- اللام: تزداد في نحو (الغلام) وتزداد في نحو (عبدل) وهو قليل.

¹ - المصدر نفسه، ص: 14

² - ابن جني - سر صناعة الإعراب - ج/2، ص: 566

³ - ابن الأنباري - الإنصاف في مسائل الخلاف -، ج/1، ص: 219

البحث اللساني عند العرب

- الياء: تزداد في (يشكر) ويذهب ويضرب ونحوه .

- الواو تزداد في (كوثر وجدول) ونحوه.

- الميم: تزداد في اسمي الفاعل والمفعول نحو: (مكرم ومكرمو مستخرج) وتزداد في اسمي المكان والزمان نحو(المضرب) لمكان الضرب و(المنتج) لزمان الإنتاج يقال أتت الناقة على منتجها أي وقت نتاجها وقد قالوا أيضا أتت على (مضربها) أي وقت ضرابها فجعلوا الزمان كالمكان.

- التاء: تزداد في تغلب وتذهب وما أشبه ذلك وتزداد في عنكبوت ونخبوت- وشبهه.

- النون: تزداد في نذهب ونغلب ونحوه ورعشن من الرعشة وضيغن من الضيف

- السين: تزداد في استفعل نحو استقام واستخرج.

- الألف: تزداد في ضارب ومضارب وفي حبل و غضبي وأرطى ومعزى وما أشبه ذلك.

- الهاء: تزداد في الندبة نحو(يا زيده) وفي الوقت نحو (ارمه واقتده وقه) أما الفرق بين

أما وإما فيرى: الفرق بين أما وإما أن أما للاستئناف بتفصيل جملة قد جرى ذكرها نحو قول القائل أخبرني عن أحوال القوم فتقول مجيبا له أما زيد فخارج وأما عمرو فقيم وأما خالد فسرق وكذلك إذا قلت حرف كذا على أربعة أوجه أما الأول فكذا وأما الثاني فكذا⁽¹⁾

¹ - رسالتان في اللغة -ج/1، ص: 55

أ- الهمزة:

موضع زيادة الهمزة أن تقع أولا، وبعدها ثلاثة أحرف أصول، نحو قولك: (أحمر، وأصفر وأخلق) ، وأبلى، فالهمزة زائدة، ومثال: أفعل. وقد لا تكون الهمزة دائما زائدة فقد ترد حرف من الحروف الأصل.

قال ابن جني: اعلم أن موضع زيادة الهمزة أن تقع في أول بنات الثلاثة فمتى رأيت ثلاثة أحرف أصولا وفي أولها همزة فاقض بزيادة الهمزة عرفت الاشتقاق في تلك اللفظة أو جهلته حتى تقوم الدلالة على كون الهمزة أصلا وذلك نحو:

(أحمر، وأصفر، وأخضر، وإجفيل، وإخريط، وأترجة، وأزملة)

فإن حصلت معك أربعة أحرف أصول والهمزة في أولها فاقض بأن الهمزة أصل واجعل اللفظة بها من بنات الخمسة وذلك نحو: (إصطبل وإبريسم وإبراهيم وإسماعيل) فإن رأيت الهمزة وسطا أو آخر فاقض بأنها أصل حتى تقوم الدلالة على كونها زائدة فالأصل نحو قولك: بلأز الرجل وبرائل الديك والسأسم واطمأن وازبأر وتكرفأ السحاب فالهمزة في هذا ونحوه أصل أبدا وما زيدت فيه الهمزة غير أول أحرف محفوظة وهي: (شمال وشأمل ووزنهما فعأل وفأعل لقولهم: شملت الريح بلا همز وقدائم أي قديم وجرائض لقولهم جرواض وامرأة ضهياة وزنها فعلاة)

لقولهم في معناها: (ضهياء) وأجاز أبو إسحاق في هذه الهمزة أن تكون أصلا وتكون الياء هي الزائدة على أن تكون الكلمة فعيلة وزهد في ذلك مذهبا من الاشتقاق حسنا لولا شيء اعترضه وذلك أنه قال: يقال (ضاهيت) زيدا و(ضاهأت) والهمزة قال و(الضهياة) قيل إنها التي لا تحيض وقيل إنها التي لا تدي لها قال وفي هذين معنى المضاهاة لأنها قد ضاهت الرجال بأنها لا تحيض كما ضاهتهم بأنها لا تدي لها قال فيكون (ضهياة فعيلة) من ضاهأت بالهمز وهذا

البحث اللساني عند العرب

الذي ذهب إليه من الاشتقاق معنى حسن وليس يعترض قوله شيء إلا أنه ليس في الكلام فعيل بفتح الفاء إنما هو فعيل بكسرها نحو حذيم وطريم وغيرين⁽¹⁾

ويرى في معرض حديثه عن الزيادة لا من باب الاشتقاق يقول: ومثال الكثرة زيادة الهمزة أفكل فإن الهمزة فيه زائدة لا من طريق الاشتقاق إذ لا يعرف من الفاء والكاف واللام بناء غير هذا ولا من عدم النظير لأن الهمزة لو كانت أصلا لكان وزن الكلمة فعلا ونظائره كثيرة⁽²⁾

وقال أيضا: الأفعال على ضربين ثلاثي ورباعي.

فجاز نقل الثلاثي إلى الرباعي لأنك تنقله من أصل إلى أصل.

ولم يجوز نقل الرباعي إلى الخماسي لأنك تنقله من أصل إلى غير أصل لأن الخماسي ليس بأصل.

والوجه الثاني أن الثلاثي أخف من غيره فلما كان أخف من غيره احتمل زيادة الهمزة وأما ما زاد على الثلاثي فهو ثقيل فلم يحتمل الزيادة فإن قيل فلم كانت الهمزة أولى بالزيادة قيل لأن الأصل في الزيادة حروف المد واللين وهي الواو والياء والألف فأقاموا الهمزة مقام الألف لأنها قريبة من الألف⁽³⁾

ب - الميم:

والحكم فيها لا يختلف عن الهمزة إلا في الحالات القصوى، وحسب طبيعة الكلمة يقول: موضع زيادة الميم أن تقع أولا وبعدها ثلاثة أحرف أصول: مضرب، ومقتل ومكرم، ومجمل

¹ - ابن جني - سر صناعة الإعراب، ج1، ص: 107

² - أبو البقاء العكبري - اللباب في علل والإعراب ج/ 2 ص: 224

³ - أسرار العربية ج/ 1 ص: 120

البحث اللساني عند العرب

حكما في ذلك حكم الهمزة، وكذلك إذا كان بعدها أربعة حروف أصول كانت الميم أصلا، وذلك نحو: (مرزجوش) هي أصل⁽¹⁾ ويقول في كتابه عن زيادة الميم ويقدر فيها أحكاما هامة: والقول فيه إن الميم في (طامه) بدل من النون في (طانه) لم نسمع لطام تصرف في غير هذا الموضع.

وأما زيادة الميم فوضعها أول الكلمة وحال الميم في ذلك حال الهمزة فهي لا تختلف يقول: فمتى اجتمع معك ثلاثة أحرف أصول وفي أولها ميم فاقض بزيادة الميم حتى تقوم الدلالة على كونها أصلا وذلك نحو (مشهد ومضرب ومقياس)، لأن الألف زائدة فإن كانت معك أربعة أحرف أصول وقبلهن ميم فاقض بكونها من الأصل كفعلك بالهمزة وذلك نحو (مرزجوش) ميمه فاء ووزنه (فعلول) بوزن (عضرفوط وقرطبوس) فأما ميم مهدد فأصله ومثاله فعل كجعفر وحبر ويدل على ذلك أنه لو كان مفعلا لوجب أن تدغمه فتقول مهد كما قالوا مسد ومرد⁽²⁾. وهنا ينبغي الإشارة إلى ضرورة التنبيه إلى مواقع الأصل والزيادة....

ج - التاء والنون:

إذا جاءت التاء والنون في موضع يقابلان فيه أحد الأصول حكم بأنهما أصلا إلا أن يدل الاشتقاق على زيادتهما فيحكم بها وإن جاءتا مخالفتين لبناء الأصول (حكم بأنهما زائدتان) مثل قولنا عَنَرَ (التاء والنون جميعا أصلا)، ألا ترى النون تقابل الفاء منه، وكلاهما أصل، فكلاهما، إذا أصل، فأما: (نرجس فالنون زائدة، ومثاله (نَفعِل) لأنه ليس في الكلام مثل جعفر بكسر الفاء وكذلك تَنْضُبُ التاء زائدة لأنه ليس في الكلام مثل جعفر بضم الفاء وقيل له: تَنْضُبُ كما قيل لنظيره شَوْحَطُ، لأن الناصب الشَّاحِطُ وكلاهما للبعد وكذلك: عُنْصَلُ النون زائدة

¹ - ابن جني - التصريف الملوكي -، تح: د/ ديزيره سقال ص: 19

² - ابن جني - سر صناعة الإعراب - ج/1، ص: 426

البحث اللساني عند العرب

لأنه ليس في الكلام مثل جَعْفَرٍ بضم الجيم. فأما النون من (عَنْبَسٍ) فزائدة من قبل الاشتقاق لا من طريق القياس وذلك لأنه من العبوس. ولذلك قيل للأسد عنبس، لعبوسه وكراهة منظره .

قال الأثر النحوي:

بقيت وفري وانحرفت ولقيت أضيافي بوجه

وأما الزيادة فقد زيدت التاء أولا في نحو: تألب وتجفاف وزيدت الثانية في نحو: افتقار وافتقر واقتطاع واقتطع وزيدت أيضا رابعة في سنبطة وهي القطعة من الزمان.

قال الراجز:

رب غلام قد صرى ماء الشباب عند فوان

- الإبدال:

وحروف البدل من غير إدغام أحد عشر حرفا، ومنها من حروف الزيادة ثمانية وهي: (الألف، والواو الياء، والهمزة، والنون، والميم، والتاء والهاء، وثلاثة من غيرها الطاء، والدال، والجيم) .

وقد جعلها ابن عصفور اثني عشر حرفا، جمعها في: أُجْد طويت منها فأضاف اللام، وقال في تفصيل هذا: وأما اللام فأبليت من الضاد في اضطجع.

ويعرفه الأستاذ عباس حسن في النحو الوافي بقوله: حذف حرف ووضع آخر مكانه، بحيث يختفي الأول ويحل محله في موضعه غيره، سواء أكان الحرفان من أحرف العلة.. أم كانا من

¹ - التصريف الملوكي، تخ: ديزره سقال، ص: 21 بتصرف

² - ابن جني - سر صناعة الإعراب - /ج: 1، ص: 158

البحث اللساني عند العرب

صحيحين أم مختلفين⁽¹⁾. ومما جاء عن علمائنا حول الإبدال، وقد أشبعوه دراسة وتحليلاً، وخاضوا في جميع جوانبه، إلى مستوى الحصر والإحصاء، كما ذكر ابن جني في إبدال التاء.

أ- إبدال الياء:

يقول ابن جني عن إبدال الياء: قد أبدلت من حروف كثيرة قد استقصيتها ومقدارها نحو من عشرين حرفاً في كتابي الموسوم بـ "سر صناعة الإعراب".

وإنما نذكر ههنا ما يكثر استعماله، أبدلت من الألف إذا انكسر ما قبلها، نحو: قراطيس، ومفاتيح فالياء فيها بدل من ألف قرطاس ومفتاح...⁽²⁾

	↓	↓	قرطاس	مفتاح
			قراطيس	مفاتيح

أما إبدالها من الألف ففي مسألتين:

- إحداهما: أن ينكسر ما قبلها كقولك في مصباح مصابيح وفي مفتاح مفاتيح وكذلك تصغيرهما.

- الثانية: أن تقع قبلها ياء تصغير كقولك: في غلام غليم⁽³⁾.

ب - إبدال الواو:

¹ - عباس حسن - النحو الوافي - ج/4 ص: 757

² - ابن جني - التصريف الملوكي - تحق: ديزيرة سقال، ص: 30

³ - ابن هشام - أوضح المسال إلى ألفية ابن مالك -، ج/4 ص: 385

البحث اللساني عند العرب

تبدل الواو من الألف في نحو (ضَوِيرَب) ، و(ضَوَارِب) ، ومن الياء إذا سكنت وانضم ما قبلها غير مدغم، وذلك: مُوسِر، ومُوقِن، أصلها مُيسِر، ومُتَقِن، فتقول في التحقير: ميسِر، ومُيَقِن وتبدل من الهمزة إذا سكنت وانضم ما قبلها عند التخفيف والبدل، وذلك قولك في تخفيف جُونة: جُونة، وفي تخفيف مؤمن مومن⁽¹⁾.

قال: اعلم أن الواو حرف مجهور يكون في الكلام على ثلاثة أضرب:

أصلا وبدلا وزائدا، فإذا كان أصلا وقع فاء وعينا ولا ما فالفاء نحو وِرل ووعد والعين نحو: سوط واستروح واللام نحو: دلو وسخو إبدال الواو وإذا كانت بدلا فمن ثلاثة أحرف وهي الهمزة والألف والياء.⁽²⁾

- الحذف:

وباب الحذف واسع في كلام العرب، ومظاهره عميقة دقيقة، يحتاج الباحث فيها إلى دراية واسعة، وصبر في البحث والتنقيب، واستنباط ماورد فيها من آراء قيمة لخيرة علمائنا، الذين أشبعوه بحثا واحصاء، ولأن الموضوع يسعى على تقديم صورة تكفي لإظهار التحليل الصرفي الذي توصل إليه علمائنا فقد اكتفيت بتقديم نماذج مختارة تفي بالغرض يقول ابن جني:

الحذف في كلام العرب على ضربين: أحدهما عن علة، فهو مقيس ما وجدت فيه، والآخر عن استخفاف لا غير ن فلا يسوغ الأول متى كانت الواو فاء الفعل وكان ماضيه على فَعَل ومضارعه يَفْعَل، ففأؤه التي هي واو محذوفة لوقوعها بين ياء وكسرة وذلك قولك:

وعد يعدُّ يوعُدُّ

¹ - ابن جني - التصريف الملوكي - تحق: ديزيرة سقال، ص: 32

² - ابن جني - سر صناعة الإعراب -، 2 ص: 573

- الاشتقاق:

عرفه السيوطي أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة كضارب من ضرب⁽¹⁾ وعرفه الرماني بقوله: الاشتقاق اقتطاع فرع من أصل يدور في تصاريفه الأصل وهذا يحصل منه معنى الاشتقاق⁽²⁾.

إن القدر المشترك بين الألفاظ التي ترجع إلى الأصل الواحد هو في اللغة العربية ثلاثة حروف تسمى مادة الكلمة، وأصلها وهو الأساس الذي اتخذ في ترتيب المعاجم العربية فقد رتب الألفاظ وجمعت بحسب أصولها، فجعلت الكلمات التي ترجع إلى مادة في مكان واحد فجمعت في مادة (ص ر ب) جميع مشتقاتها المتولدة عنها وكذلك في (ق ط ع) و(ع ل م) وغيرها⁽³⁾. فأغلب المشتقات تعود إلى أصولها، وتوظف بحسب مقتضيات الكلام، ومنه فنعتبر الأصوات الثلاثة التي هي المادة الأساسية في تركيب الكلمة العربية، وهي العنصر الثابت فيها وأما الحركات أو المدود القصيرة وحروف العلة فهي عنصر ثانوي وكذلك حروف الزيادة التي تزداد إلى الأصوات الثلاثة في مختلف تصاريف الكلمة، فالحركات وهي في الحقيقة حروف مد قصيرة تبدل في اللفظ الواحد وتبدلها يولد ألفاظاً وتصاريف تفيد ألواناً من المعاني فالحروف (ك ت ب) يمكن أن نقرأ: (كتب) و(كُتِبَ) و(كُتِبَ) ولكل منها معنى خاص ويجمعها معنى عام هو الكتابة ولعل هذا هو السبب في عدم اثباتها في الرسم لكثرة تبدلها وأما حروف العلة أو المد فهي كذلك عرضة للتبدل والحذف فقد تقلب الياء واو والواو ياء والألف واو أو ياء إلى ذلك من التبدلات مثل

¹ - السيوطي، المزهري في علوم اللغة، ص: 160

² - الحدود في النحو، ص: 39

³ - محمد المبارك - فقه اللغة وخصائص العربية -، ص: 73

البحث اللساني عند العرب

قال وقيل وقول ومقال ومقول وقد تقلب على حرف صوتي آخر وذلك دليل على صحة تسمية النحاة لها (حروف علة) فهي من الكلمة موطن الضعف ومحل الاعتلال⁽¹⁾.

هذا بشكل بسيط كما يبدو لأول وهلة الاشتقاق، هناك المادة الأصلية التي تشتق منها جميع الألفاظ التي توظف في مدرج الكلام، بحسب طبيعته ومقتضياته وقد اجتهد ولكن يجب أن نعلم أن الأمر يصعب إلى درجة كبيرة في تحديد أصول الكثير من الكلمات بسبب ضياع أصولها واندراس معالم أنسابها، وأحياناً تعدد وجهات النظر في أصولها، أهي من كذا، أو كذا

وهناك أمر آخر وهو اعتماد العرب على القياس الذي هو عنصر أساسي في الدرس اللغوي عندهم، وقد يتوافق مع الاشتقاق في تحديد أصول الكلمات يقول ابن جني في دراسة لفظة جعفر وقعضب: الفاء من جعفر، والضاد من قعضب فأما التاء في الترتيب فزائدة، لأنه ليس في الأصول مثل جعفر وكذلك تدرأ أيضاً لا فرق بينهما هذا من طريق القياس وقد شهد به أيضاً الاشتقاق لأن ترتب من الشيء الراتب وتدرأ من درأت أي دفعت وكذلك نون نرجس زائدة لأنه ليس في الأصول مثل جعفر بكسر الفاء وأما تولب فتأوه أصل والواو زائدة لأن فوعلا في الكلام أكثر من تفعل وأما نون نهشل وتاء ترخم فأصلان لأنهما بإزاء سين سلهب وأما تألب فتأوه زائدة يدل على ذلك الاشتقاق، ومن ذلك أيضاً أنهم لا يلحقون الكلمة من أولها إلا أن يكون مع الحرف الأول غيره، ألا ترى أن مفعلاً لما كانت زيادته في أوله لم يكن ملحقاً بها، نحو: مَضْرَب، ومَقْتَل، وكذلك مِفْعَل نحو: مِقْطَع، ومِنْسَج، وإن كان مَفْعَل بوزن جعفر، ومِفْعَل بوزن هَجْر، يدل على أنهما ليسا ملحقين بهما ما نشاهده من ادغامهما⁽²⁾

وهنا يقف الدارس والمتتبع لقضايا اللغة أمام هذه الاستنباطات، والحقيقة أنه يعسر علينا نطق بعض الكلمات فكيف بنا أن أحدد أصولها مثل:

1 - المرجع نفسه، ص: 74

2 - ابن جني - الخصاص - ج/1، ص: 86

البحث اللساني عند العرب

(سلنطح وبلندح وجرنبذ وجرنفس) .

وفي قضية العامل والمعمول بالنسبة للفعل والمصدر واختلاف المدرستين البصرية والكوفية. فقد احتج بعضهم بتوظيف الاشتقاق يقول: احتج الكوفيون بأن الفعل يعمل في المصدر والعامل قبل المعمول وهذا لا يصلح دليلا على ما ذهبوا إليه من وجهين:

- أحدهما: أن الاشتقاق يوجد من جهة المعاني والتصريف لا من باب العامل والمعمول.

- الثاني: أن الحرف يعمل في الاسم وليس الحرف مشتقا من الاسم وكذلك الفعل يعمل

في الأعلام والأجناس التي ليست مصادر ولا يقال هي مشتقة منه.⁽¹⁾

وهناك أمر في غاية الأهمية لم يغفله علماءنا على كل حال وإنما تطلب الحذر وهو تحديد الأصول في الكلمات دون التمييز بين الزائد أو ما يبدو أنه زائد فهذا يفضي إلى الخطأ لا محالة لأنه لا يدخل في الاشتقاق في شيء، بل أحيانا الزيادة لا تدخل في الاشتقاق بل لها حكم آخر مثل: نهبل قال: فالنون زائدة لا من طريق الاشتقاق بل من جهة أنها لو جعلت أصلا لكان وزن الكلمة فعلا ولا نظيره في الأصول فيقضى عند ذلك بزيادة النون ومثال الكثرة زيادة الهمزة أفكل فإن الهمزة فيه زائدة لا من طريق الاشتقاق إذ لا يعرف من الفاء والكاف واللام بناء غير هذا ولا من عدم النظير لأن الهمزة لو كانت أصلا لكان وزن الكلمة فعلا ونظائره كثيرة وقد يجتمع في الكلمة دليلان من هذه الثلاثة يقضيان بزيادة الحرف مثل أحمر فإن الاشتقاق والكثرة يدلان على زيادة الهمزة وتنضب يدل الاشتقاق وعدم النظير على أن التاء زائدة واجتماع الثلاثة قليل، وإذا اعتبرت الكلمة قابلت الأصول بالفاء والعين واللام وأتيت بالزائد بعينه⁽²⁾.

¹ - أبو البقاء العكبري - اللباب في علل البناء والإعراب، ج/1 ص: 261

² - أبو البقاء العكبري - اللباب في علل البناء والإعراب -، ج/2 ص: 224

البحث اللساني عند العرب

- منهج التحليل في علم العروض:

من أبرز مظاهر الإبداع، والقدرة على الاكتشاف والاستنباط ما وضعه التحليل من أسس وقواعد لعلم العروض. وتظهر البراعة في جانبين:

1- براعة الشعراء الجاهليين الذين نظموا وفق قواعد لم يعرفوها، وإنما كان سبيلهم الذوق، فمن العجيب أن نجد قصيدة تجاوزت الثمانين بيتاً، وكلها قائمة على وزن واحد، والأعجب من ذلك أن نجد قصيدة أخرى لشاعر آخر بنفس عدد الأبيات، وعلى نفس الوزن.

قال امرؤ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب بسقط اللوى بين الدخول

0//0// /0//0/0/ 0//0/0// 0//0// 0/0//0 /0/ 0//0/0//

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

قال طرفة بن العبد:

إذا القوم قالوا من فتى خلت عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

0//0///0// 0/0/ 0// 0/0/ 0//0/ /0/0//0/ 0/0/ /0/0//

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن⁽¹⁾

يجمع العروضيون على أن العرب منحوا موهبة لا مثيل لها ولا نظير في القدرة على إحداث هذا النظم الفني بتلك الدقة والسبك الجميل، ومن حقهم أن يفتخروا بأشعارهم، ويرفعوها إلى

¹ - البيتان من شعر المعلقات وكلها تتجاوز الثمانين بيتاً، ولا تخرج عن هذا الوزن

البحث اللساني عند العرب

مستوى التقديس، لأنه ليس حشو كلام بل هو بناء متكامل دقيق، ضمت تجارب حياة ومشاعر خاصة، وصراع مع الطبيعة والقدر. قال ابن خلدون: واعلم أن فن الشعر من بين الكلام كان شريفاً عند العرب، ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم، وأصلاً يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم. وكانت ملكته مستحكمة فيهم شأن ملكاتهم كلها. والملكات اللسانية كلها إنما تكتسب بالصناعة والارتياض في كلامهم، حتى يحصل شبه في تلك الملكة⁽¹⁾.

2- أما الجانب الثاني فهو قدرة اكتشاف الخليل لهذا البناء المتكامل، وتشخيصه في أسس وقواعد يهتدي بها الناس إلى كشف المزيد من الأسرار في الشعر العربي القديم، ويهتدي بهديها المبتدئون.

لقد اعتمد الخليل على ذوقه العربي وحسه في ترتيب القصائد وتصنيفها بحسب النغمات فاجتمع له من ذلك خمس عشرة نغمة دعاها البحور الشعرية، وتشتمل كل نغمة منها على مجموعة من التفعيلات تختلف من بحر إلى آخر.

أما كيف توصل الخليل إلى التفعيلات؟ فهناك رواية تقول بأنه اهتدى إليها عندما مرّ بسوق الصفارين⁽²⁾ (النحاسين) وسمع وقع مطارقهم وما تحدثه من حركات وسككات. وقيل إنه قاسها وفق اللفظة التي توزن بها الكلمات عادة وهي لفظة (فعل) ومشتقاتها. ومما يذكر أنه كان يستغرق في التفكير في العلم الذي يبحث فيه حتى يسلخه ذلك من واقعه كلياً مما يعني حديثاً التركيز. ذلك أن الرجل أبدع علماً لم يسبق إليه، ولم يقلد فيه من سبقه بشهادة من عاصره ومن جاء بعده⁽³⁾ وقال حمزة الأصفهاني في كتاب التنبيه على حدوث التصحيف: وبعد فإن دولة

¹ - ابن خلدون - المقدمة - ص: 367

² - ابن عباد - المحيط في اللغة -، ج/2 ص: 373

³ - باستثناء المحققين الذين شككوا في إبداع الخليل وقدرته، فقالوا بأنه نقله عن الهنود أو السريان أو

اليونان... سيأتي تفصيل ذلك

الإسلام لم تخرج أبدع للعلوم التي لم تكن لها أصول عند علماء العرب من الخليل، وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض الذي لا عن حكيم أخذه، ولا على مثال تقدّمه احتذاه، وإنما اخترعه من ممر له بالصفارين من وقع مطرقة على طست. ليس فيهما حجة ولا بيان يؤديان إلى غير حليتهما، أو يفسدان عين جوهرهما. فلو كانت أيامه قديمة ورسومه بعيدة ليشكّ فيه بعض الأمم لصنعتة ما لم يضعه أحد منذ خلق الله الدنيا من اختراعه العلم الذي قدمت ذكره⁽¹⁾. ويشهد جميعهم أن الخليل امتلك قدرة التمييز بين الإيقاعات والنغمات المختلفة، مكنته من إبداع علم العروض قال ابن خلكان: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الأزدي، قيل: كان يعرف علم الإيقاع والنغم، ففتح له ذلك علم العروض⁽²⁾. ولكن المهم من ذلك كله ما روته كتب التراجم خاصة أن الخليل دعا الله أن يرزقه علماً لم يسبق إليه فكان له علم العروض قيل: إنه دعا بمكة أن يرزقه الله علماً لم يسبق إليه. فرجع إلى البصرة وقد فتح عليه بالعروض فوضعه، فهو أول من وضعه وصنّف كتاب العين في اللغة.

وقد ذكره أبو حاتم بن حيّان في كتاب الثقات فقال: يروي المقاطيع⁽³⁾. وقال: حدث عن: أيوب السخيتاني، وعاصم الأحول، والعوام بن حوشب، وغالب القطان. أخذ عنه سيبيويه النحوي، والنضر بن شميل، وهارون بن موسى النحوي، ووهب بن جرير، والأصمعي، وآخرون. وكان رأساً في لسان العرب، ديناً، ورعاً، قانعاً، متواضعاً، كبير الشأن، يقال: إنه دعا الله أن يرزقه علماً لا يسبق إليه، ففتح له بالعروض، وله كتاب: العين، في اللغة⁽⁴⁾. والخليل كان من الزهد والورع فكان مستجاب الدعاء وقالوا عن ورعه وكان رأساً في لسان العرب، ديناً، ورعاً، قانعاً، متواضعاً، كبير الشأن، وقال: وكان الخليل رجلاً صالحاً عاقلاً حليماً وقوراً، ومن كلامه لا يعلم الإنسان خطأ معلمه

¹ - الصفدي - الوافي بالوفيات - 382/4

² - الذهبي - سير أعلام النبلاء - 429/7

³ - الصفدي الوافي بالوفيات 382/4

⁴ - الذهبي - سير أعلام النبلاء 429/7

البحث اللساني عند العرب

حتى يجالس غيره. وقد وضع ابن درستويه كتاباً وصف فيه ما وقع لهم من الخلل فأفاده. وقد كان الخليل رجلاً صالحاً عاقلاً وقوراً كاملاً، وكان متقللاً من الدنيا جداً، صبوراً على خشونة العيش وضيقة، وكان يقول: لا يجاوز همي ما وراء بابي، وكان ظريفاً حسن الخلق⁽¹⁾.

عاش الرجل فقيراً لا يملك فلساً واحداً وكان بمقدوره أن يكون صاحب تجارة أو انتفع في دنياه بعلمه مالا وفيراً وهو الذي جنى من علمه تلامذته أموالاً لا تحصى قال تلميذه النضر بن شميل: أقام الخليل في خص من أخصاص البصرة لا يقدر على فلسين، وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال، ولقد سمعته يوماً يقول: إني لأغلق علي بابي فما يجاوزه همي. وكان يقول: أكل ما يكون الإنسان عقلاً وذهناً إذا بلغ أربعين سنة، وهي السن التي بعث الله تعالى فيها محمداً صلى الله عليه وسلم، ثم يتغير وينقص إذا بلغ ثلاثاً وستين سنة، وهي السن التي قبض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصفي ما يكون ذهن الإنسان في وقت السحر⁽²⁾. وعلى فقره وحاجته فقد كرم النفس لا يقبل المهانة على احتياجه وفقره قيل إن سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي وكان والي فارس والأهواز أجرى له راتباً فكتب إليه يستدعيه، فكتب الخليل جوابه:

أبلغ سليمان أني عنه في	وفي غنى غير أني لست ذا
شحاً بنفسي أني لا أرى	يموت هزلاً ولا يبقى على
الرزق عن قدر لا	ولا يزيدك فيه حول
والفقر في النفس لا في	ومثل ذاك الغنى في

فقطع عنه سليمان الراتب فقال الخليل:

إن الذي شق في ضامن للرزق حتى يتوفاني

¹ - ابن كثير - البداية والنهاية 172/10

² - المصدر نفسه 172/10

البحث اللساني عند العرب

حرمتمني خيراً قليلاً فما زادك في مالك حرمانني

فبلغت سليمان فأقامته وأعدته، وكتب إلى الخليل يعتذر إليه، وأضعف راتبه، فقال الخليل:

وزلة يكثر الشيطان إن ذكرت

منها التعجب جاءت من سليمانا

لا تعجبن لخير زل عن يده

فالكوكب النحس يسقي الأرض

هذا هو الخليل العالم التقي النقي، فكيف لا يصطفيه الله بجلال العلم والمعرفة قال الإمام الشافعي - رحمه الله:-

فأرشدني إلى ترك

شكوت إلى وكيع سوء

ونور الله لا يؤتى

وقال: اعلم بأن العلم نورٌ

يجمع الدارسون قديماً وحديثاً أن الخليل وضع خمس عشرة بحراً، وزعها على خمس دوائر فحصر بذلك جميع أوزان الشعر، وضم كل شيء منه إلى حيزه، وألحقه بشكله، وأقام ذلك عن دوائر أعجزت الأذهان، وبهرت الفطن، وغمرت الأبواب قال: استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحراً، ثم زاد فيه الأخصش بحراً آخر وسماه الخلب⁽³⁾.

¹ - ابن خلكان - وفيات الأعيان - ج/2، ص: 246

² - البيت روي بشكل آخر: وعالله بأن العلم فضل وفضل الله لا يحويه عاصي

³ - الذهبي - سير أعلام النبلاء 429/7

- التفعيلات وجوازاتها:

توصل الخليل إلى تحديد التفعيلات التي تتألف منها الأوزان الشعرية وحصرها في ثماني تفعيلات: فَعُولُنْ، فَاعِلُنْ، فَاعِلَاتُنْ، مُسْتَفْعَلُنْ، مُتَّفَاعِلُنْ، مَفَاعِلُنْ، مَفَاعِلَاتُنْ، مَفْعُولَاتُنْ. قال الواطواط: ابتدع الخليل بن أحمد علم العروض واستخرج غرائبه واستنبط عجائبه وجعله ميزاناً للشعر يعرف به التام من الناقص وصاغ له من التفاعيل ثمانية أجزاء لا يخرج شعر موزون عنها صيرها له كالمثاقيل وهي فعولن فاعلن مفاعيلن مستفعلن فاعلاتن مفاعلتن متفاعلتن مفعولات (1).

- جوازات التفعيلات:

بالنسبة للتفعيلة الأولى:

1- فَعُولُنْ: تأتي على: فعول: /0/

2- فَاعِلُنْ: فَعْلُنْ 0/// * فَعْلُ 0// * فَاعِلُ //0/ * فَعْلُنْ 0/0/ *

3- فَاعِلَاتُنْ: فَعَلَاتُنْ 0/0/// * فَعَلَاتُ 0//0/ * فَعَلَاتُ 0//0/ * فَعَلَاتُ 0//0/ * فَعَلَاتُ 0//0/0/ *

4- مُسْتَفْعَلُنْ: مُتَّفَعْلُنْ 0//0// * مُسْتَفْعَلُنْ 0///0/ * مُسْتَفْعَلُنْ 0/0/0/ * مُسْتَفْعَلَانُ 0//0/0/0/ *

* مُتَعْلُنْ 0////

5- مُتَّفَاعِلُنْ: مُتَّفَاعِلُنْ 0//0/0/ * مُتَّفَاعِلُ 0/0/// * مُتَّفَاعِلُنْ 0//0// * مُتَّفَعْلُنْ 0///0/ *

6- مَفَاعِلُنْ: مَفَاعِلُنْ 0//0// * مَفَاعِلُ 0/0// * مَفَاعِلُ 0/0//

7- مَفَاعِلَاتُنْ: مَفَاعِلَاتُنْ 0/0/0// * مَفَاعِلَاتُنْ 0//0// * مَفَاعِلَاتُنْ 0//0// * مَفَاعِلَاتُنْ 0//0/0/0/ *

¹ - الوطواط - غرر الخصائص الواضحة - 1/ص: 104

8- مَفْعُولَاتٌ: مَفَالَتٌ/0/0/ * مَعُولَاتٌ/0/0/ * مَعُولَا//0/0/ *

- تقسيم التفعيلات:

وما يورد عن علم العروض وتطبيقاتها، والاستعانة بما ذكره علماء هذا العلم من المتقدمين، ما هو إلا ما ابتدعه الخليل، ولم يزيدوا عليه شيئاً قال: اعلم أن النوع الباحث عن هذا القبيل يسمى علم العروض، وما أهم السلف فيه إلا تتبع الأوزان التي عليها أشعار العرب، فلا يظن أحد الفضول عندهم في الباب من ضم زيادة على ما حصروه ليست في كلام العرب فضلاً على الإمام الخليل بن أحمد، ذلك البحر الزاخر مخترع هذا النوع، وعلى أئمة المعترفين منه من العلماء المتقدمين به في ذلك رضوان الله عليهم أجمعين، وإلا فن أنبأ لهم لم يكونوا يرون الزيادة على التي حصروها من حيث الوزن مستقيمة والزيادة عليها تنادى بأرفع صوت:

لقد وجدت مكان القول ذا فإن وجدت لسانا قائلاً فقل⁽¹⁾

قسم البيت الشعري، إلى مصرعين، وشده بأسباب وأوتاد، وهكذا قسمت التفعيلة إلى أسباب وأوتاد وفواصل. قال الحميري: واعلم أن الشعر كله: جيده وردئية، وحسنه وقبيحة، ومستعمله ومهمله، مؤلف من ثمانية أجزاء، هي أصولها وعليها مداره؛ ستة أجزاء منها سباعية، وهي: فاعلاتن، مستفعلن، مفاعيلن، مُتفاعِلن، مفاعِلتن، مفعولات. وجزآن نحاسيان وهما: فعولن، فاعلن. هذه أجزاء الشعر التي يتألف منها ويصدر عنها.

وهذه الأجزاء مؤلفة من ثلاثة أشياء. أسباب وأوتاد وفواصل. فالأسباب سببان: خفيف وثقيل. فالخفيف متحرك بعده ساكن، والثقيل متحركان. والأوتاد وتدان: مجموع ومفروق، فالمجموع متحركان بعدهما ساكن، والمفروق متحركان بينهما ساكن. والفواصل فاصلتان: صغيرة

¹ - الحموي - حور العين - ص: 16

البحث اللساني عند العرب

وكبيرة. فالصغيرة ثلاثة متحركة بعدها ساكن، والكبيرة أربعة متحركة بعدها ساكن⁽¹⁾. وهذه الأوزان لا تقصد في النظم، وإنما تتفق والوزن عفويا قال السكاكي: أو أن يقصد المعنى ويتكلم بحكم العادة على مجرى كلام الأوساط فيتفق أن يأتي موزونا⁽²⁾ كما كان الجاهليون في نظمهم.

فالسبب: هو اجتماع حرفين، وينقسم إلى قسمين:

أ- سبب خفيف: ويتألف من متحرك وساكن (0/) مثل عَن، لَمَ.....

ب- سبب ثقيل: ويتألف من متحركين، (//) مثل: هي، لَمَ.....

والوئد: ما تألف من ثلاثة حروف وينقسم إلى قسمين:

أ- وتد مجموع: ما تألف من متحركين فساكن (0//) مثل عَلَى، إِلَى....

ب- وتد مفروق: ما تألف من متحركين بينهما ساكن (//0) مثل: ظَهْرٌ، يَدٌ....

والفاصلة: تنقسم إلى قسمين:

أ- صغيرة: تتألف من أربعة أحرف آخرها ساكن (0///) مثل: كَتَبْتُ، شَكَرْتُ..

ب- كبرى: تتألف من خمسة أحرف آخرها ساكن (0////) مثل: كَتَبْتَا، قَرَأْتَا..

فرق العروضيون بين القصيدة والقطعة فقالوا: القصيدة ما تألفت من سبع أو أكثر أما القطعة ما كانت دون السبعة من الأبيات. وتحدثوا عن أنواع من النظم:

1- النتفة: نظم البيتين فقط.

¹ - الحموي، - حور العين - ص: 14

² - السكاكي - مفتاح العلوم - ص: 225

البحث اللساني عند العرب

- 2- البتيم: هو البيت المفرد الذي لم يتبعه أبيات أخرى.
- 3- الصدر: هو النصف الأول من البيت
- 4- العجز: هو النصف الثاني من البيت.
- 5- العروض: هي التفعيلة الأخيرة من الصدر.
- 6- الضرب: هي التفعيلة الأخيرة من البيت.
- 7- الحشو: ما عدا العروض والضرب.
- 8- المدور: ما فيه اتصال بين العروض والتفعيلة الأولى من العجز.
- 9- التام أو الوافي: وهو ما استوفى جميع أجزائه كاملة.
- 10- المجزوء: ما حذف منه جزء من كل شطر عروضه وضربه أي ثلث تفعيلاته.
- 11- المشطور: ما حذف شطره.
- 12- المنهوك: ما حذف منه ثلثاه.
- 13- المقفى: ما اتفقت تفعيلتا عروضه وضربه وزن أو قافية.
- 14- المصرع: ما اختلفت عروضه وضربه أو النقص في أحد أبيات القصيدة.
- 15- المصمت: ما اختلفت فيه العروض عن الضرب في القافية.^(*)

* لم اعتمد على النصوص المطولة التي أوردها العروضيون عن الخليل، وإنما اكتفيت بتنظيمها وتوزيعها وشرحها بشكل واضح ويسير، حتى يتسنى فهمها جيدا.

البحث اللساني عند العرب

- الدوائر العروضية الخليلية:

استنبط الخليل الدوائر العروضية، وهي حقيقة عمل جبار وعظيم، يعجز اللسان عن وصفها قال السكاكي: الإمام الخليل بن أحمد قدس الله روحه في هذا النوع إلا ذو طبع سليم، وهو ماهر في استخراج علم الصرف، ولتلك الدوائر الخمس أسام وترتيب في الإيراد، فدائرة تسمى مختلفة لاختلاف ما فيها من الضابط نحاسيا وسباعيا ويفتح بذكرها وهي هذه: الميم علامة المتحرك والألف علامة الساكن يتم أصل البيت بدورها أربع مرات وأنها تتضمن من البحور المستقراة ثلاثة أساميا: طويل مديد بسيط ويصدر فيها بالطويل ويتلوه الباقيان على ترتيب الدائرة:

ومبدأ الطويل منها حيث ينظم للضبط فعولن مفاعيلن.

ومبدأ المديد من حيث ينظم للضبط فاعلاتن فاعلن.

ومبدأ البسيط من حيث ينظم مستفعلن فاعلن.

شرح الدائرة الأولى: وتسمى: مختلفة لاختلاف

وهي تبدأ بالطويل والمديد والبسيط:

الطويل: طويل: فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

0/0/0// 0/0// 0/0/0// 0/0//

وس وس وس وس وس وس

التقليب الأول: س وس وس س وس وس

التقليب الثاني: س س وس وس س وس وس مهمل

البحث اللساني عند العرب

0//0/0//0/0/ 0// 0/ 0//0/0/

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن البحر البسيط

التقليب الثالث: وس س وس وس وس س وس

0/0//0/0/0//0/0//0/0/0//

التقليب الرابع: س وس س وس وس س وس و

0//0/0/0//0/0//0/0/ 0// 0/

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن غاعلن البحر المديد

التقليب الخامس: وس وس س وس وس س وس

0/ 0/ 0// 0/ 0// 0/ 0/ 0// 0/ 0//

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن بحر الطويل

وهكذا تمت الدائرة الأولى انطلاقاً من الطويل إلى مهمل إلى البسيط يليه المديد يليه الأصل الطويل.

شرح الدائرة العروضية الثانية: وهذه الدائرة تسمى مؤتلفة.

البحث اللساني عند العرب

ويثنى بها وهي هذه: تتم أصل البيت بدورها ست مرات وأنه تتضمن بحرين: يسمى أحدها الوافر ويفتح به فيها وضابطه مفاعلتن ويتلوه الثاني ويسمى الكامل وضابطه متفاعلتن وسميت مؤتلفة لعدم الاختلاف في ضابطي البحرين⁽¹⁾.

البحر الوافر: مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

0///0//0///0//0///0//

وسَّ سَّ وسَّ سَّ وسَّ سَّ

التقليب الأول: سَّ وسَّ سَّ وسَّ سَّ وسَّ

//0//0///0//0///0//0/

التقليب الثاني: سَّ سَّ وسَّ سَّ وسَّ سَّ و

0//0///0//0///0//0///

متفاعلتن متفاعلتن متفاعلتن البحر الكامل.

التقليب الثالث: يعطينا الأصل: وسَّ سَّ وسَّ سَّ وسَّ سَّ بحر الوافر

شرح الدائرة العروضية الثالثة: هذه الدائرة تسمى مجتلبة. ويثلاث بها وهي هذه: تتم أصل البيت بست دورات وأنها تتضمن ثلاثة أبحر أساميا: هزج، رجز، رمل، ويبدأ بالهزج فيها من حيث ينظم مفاعلتن ويثنى بالرجز من حيث ينظم مستفعلن ويثلاث بالرمل من حيث ينظم فاعلاتن على مقتضى ترتيب الدائرة وسميت مجتلبة لاجتلابها الأجزاء من الدائرة الأولى.

¹ - الحموي، حور العين - ص: 14

البحث اللساني عند العرب

بحر الهزج:

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن

0/0/0//0/0/0// 0/0/0//

وس س وس س وس س وس س

س وس س وس س وس س وس

ت: 1

بحر الرمل

0/0//0/0/0//0/0/0//0/

س س وس س وس س وس س و

ن: 2

بحر الهزج

0//0/0/ 0//0/0/ 0//0/0/

شرح الدائرة العروضية الرابعة: ودائرة تسمى مشتبهة

ومساق الحديث يطلعك على معنى اشتباهها تذكر رابعة، وهي هذه: تتم أصل البيت بدورتين وأنها تتضمن ستة أبحر هي: سريع منسرح خفيف مضارع مقتضب^(*) ويقدم السريع فيها ويتلوه البواقي على الترتيب ومبدأ السريع منها من حيث ينظم:

مستفعلن مستفعلن مفعولات

ومبدأ المنسرح من حيث ينظم مستفعلن مفعولات مستفعلن

ومبدأ الخفيف من حيث ينظم فاعلاتن مس تفع لن فاعلاتن بقطع تفع عن طرفيها وأن اشتبه بمستفعلن المتصل لفظاً.

* - هذا الوزن أنكره الأخفش والذي لم يعثر له في شعر القدماء على أمثلة صحيحة النسبة.

البحث اللساني عند العرب

ومبدأ المضارع من حيث ينظم مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن بقطع فاع عما بعدها وإن
اشتبه بفاعلاتن المتصل لفظاً.

ومبدأ المقتضب من حيث ينظم مفعولات مستفعلن.

ومبدأ المجث من حيث ينظم مس تفع لن فاعلاتن فاعلاتن بقطع تفع عن الطرفين.

البحر السريع:

شرح الدائرة العروضية الخامسة: ودائرة فحتم بها تسمى منفردة فيها بحر واحد يسمى
المتقارب تم أصل البيت بثمانى دورات.

سريع

مستفعلن مستفعلن مفعولات

/0/0/0/ 0//0/0/ 0//0/0/

س س وس س وس س و

منسرح

مستفعلن مفعولات مستفعلن

0//0/0/ /0/0/0/ 0//0/0/

س س و س س وس س و

خفيف

فاعلاتن مس تفع لن فاعلاتن

0/0//0/ 0/ /0/ 0/ 0/0//0/

س و س س وس س وس

البحث اللساني عند العرب

مضارع

مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن

0/0/0// 0/0//0/ 0/0/0//

وس س وس س وس س وس س

مقتضب

مفعولات مستفعلن

0//0/0/ /0/0/0/

س س وس س و

مجتث

مس تفع لن فاعلاتن فاعلاتن

0/0//0/ 0/0//0/ 0/ /0/ 0/

س وس س وس س وس

هذا إذا أخذنا بالترتيب الذي ذكره العروضيون، سريع فمُسرح... ويحصل بالتقليب من اليمين إلى اليسار، أما إذا كان التقليب من اليسار إلى اليمين، فإن الترتيب يتغير: سريع مجتث مقتضب... وهذا ترتيب على التقليبين:

الترتيب من اليسار إلى اليمين:

سريع

س س وس س وس س و

س وس س وس س وس

وس س وس س وس س

البحث اللساني عند العرب

منسرح	س س وس س وس س و
خفيف	س وس س وس س وس
مضارع	و س س وس س وس س
مقتضب	س س وس س وس س و
مجث	س وس س وس س وس
مهمل	و س س وس س وس س
سريع	س س وس س وس س و
	الترتيب من اليمين إلى اليسار:
سريع	س س وس س وس س و
مهمل	و س س وس س وس س
مجث	س وس س وس س وس
مقتضب	س س وس س وس س و
مضارع	و س س وس س وس س
خفيف	س وس س وس س وس
منسرح	س س وس س وس س و
مهمل	و س س وس س وس س

البحث اللساني عند العرب

س وس س وس س وس مهمل

س وس س وس س وس سريع

ملاحظة: ينبغي الانتباه جيدا عند التقطيع إلى السبب الثقيل (س) والوتد المفروق، (و) لأن تعيين البحر متوقف عليهما.

- الدائرة العروضية الخامسة:

تسمى منفردة فيها بحر واحد يسمى المتقارب تم أصل البيت بثمانى دورات.

البحر المتقارب: فعولن فعولن فعولن فعولن

0/0// 0/0// 0/0// 0/0//

ت: 1 وس وس وس وس وس

س وس وس وس وس وس (*)

0// 0/ 0// 0/ 0//0/ 0//0/

فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن البحر المتدارك (الخبب)

وهذا البحر السادس عشر وضعه أبو الحسن الأخفش الأوسط - سعيد بن مسعدة - تلميذ سيبويه قال الزركلي: وزاد في العروض بحر (الخبب) وكان الخليل قد جعل البحور خمسة عشر فأصبحت ستة عشر⁽¹⁾ ، ولا أريد أن أكل ما ذكر من علل وزحافات تلحق التفعيلات سواء

* - التقلب من اليمين أو اليسار يؤدي إلى نفس النتيجة.

¹ - الزركلي - الأعلام - جد/1 ص: 33

البحث اللساني عند العرب

بالزيادة أو النقصان، وما اكتفيت به كاف لأن يرفع الخليل إلى أعلى عليين. إنه أوحّد زمانه، ولا عرف قديماً وحديثاً عدليه، والحمد لله أن منظمة اليونسكو، كرّمت سنة 2006 هذا العالم المنظر الجليل، واعتبرته من الشخصيات العالمية، بفضل ما قدمه لعلوم القرآن والعربية عموماً.

- موقف المستشرقين والباحثين العرب المحدثين:

لا خير يرجى من بعض المستشرقين، ولا عدل ينتظر. فهم قد نهبوا تراثنا وفعلوا به ما فعلوا من تصحيف وتحريف، بدعوى الدراسة والتمحيص والتحقيق، لكنهم لم يقدموا الحقائق كما هي، ولم يتوقفوا عند التراث بل تجاوزوه إلى تضليل العقول بآراء مشبوهة، ومناهج مذمومة فكما فعلوا بخريج الأزهر طه حسين الذي وصل إليهم بعقل سليم بنور القرآن الكريم، فرجع بعقل سقيم مضلل بالشك والطغيان، فراح يخطط يخطط عشواء، وينفي أزهى فترة فنية من تاريخ العرب (العصر الجاهلي) .

وهكذا ما فعل بإحسان عباس الذي شكك في نسبة العروض للخليل بما زوّده به من أفكار متحللة مشبوهة أنظر ماذا يقول إحسان عباس في مقدمة كتابه (ملاح يونانية في الأدب العربي) : يدين هذا البحث بالفضل للجامعة الأمريكية في بيروت التي منحتني فرصة التفرغ للبحث العلمي (1975 - 1976) ثم لجامعة برنستون التي استضافتني سنة أخرى (1976 - 1977) لأتمكن من إنجاز دراساتي، وفي مقدمتها هذه الدراسة، وأنا إذ أشكر للجامعتين فضلها الكبير؟ على المستوى العام أحب أن أنوه بالمساعدات القيمة التي تلقيتها من أصدقائي الأساتذة في دائرة دراسات الشرق الأدنى؟ على المستوى الخاص فلهم جميعاً أوفى الشكر والتقدير؛ وما كان البحث أن ينجز على هذا النحو، لولا المكتبة الغنية بجامعة برنستون، ولولا العون الذي تلقيته من الصديق رودلف ماخ الذي يسر لي الاطلاع على كل ما احتاجه من مخطوطات، وكان اطلاعه الغزير نعم العون لي في كثير من المواقف⁽¹⁾ .

¹ - إحسان عباس - ملاح يونانية في الأدب العربي - المقدمة

البحث اللساني عند العرب

إن المساعدات التي تلقاها الباحث من الجامعات الثلاث، ومساعدات السيد الصديق!!! رودلف ماخ هي كالتالي: أن الخليل بن أحمد كان موفقا في الاقتضابات، مما قد سمعه عما لدى الهند. وأيضا قوله: ملك اليونانية كتب إلى الخليل بن أحمد كتابا باليونانية!!!

إن ما ووقف عليه الباحث مجموعة من الآراء المنتحلة التي لا تمت للحقيقة بصلة، فكم كنا نأمل أن يزيدنا معرفة بالخليل الباحث المنظر، ويبرهننا بأعماله الجليلة، ويزودنا بعلمه المتدفق، إلا أننا فوجئنا بأفكار غريبة، تزيد من انحطاط البحث العلمي عندنا، وتبعدنا عن تراثنا أكثر...

قال الدكتور إحسان عباس في كتابه الذي أشرفت عليه ثلاث جامعات استشرافية إستراتيجية: والبيت الشعري عند الهنود يتكون كما في العربية من شطرين، يسمى كل واحد منهما رجلا وهكذا يسميها اليونانيون أرجلا، ويثني البيروني من ثم على الخليل بن أحمد لأنه كان موفقا في الاقتضابات، ولكنه لا يستبعد أن يكون الخليل قد سمع عما لدى الهند من موازين شعرية، كما ظن به بعض الناس. وصلة الخليل بالثقافات الأجنبية؟ سواء أكانت هندية أو يونانية موضوع تحوم حول الظنون، ولم يكن البيروني منفردا في الإشارة إليه. ولعل الأسطورة التي رواها الزبيدي إنما هي تعبير غير مباشر عن الظن في أنه كان يعرف اليونانية، فقد قال الزبيدي: ويروى أن ملك اليونانية كتب إلى الخليل بن أحمد كتابا باليونانية، فخلا بالكتاب شهرا حتى فهمه، فقليل له في ذلك، فقال: قلت إنه لا بد من أن يفتح الكتاب بيسم الله أو ما أشبهه، فبنيت أول حروفه على ذلك، فاقتباس لي. ولما تحدث شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري أستاذ الصفدي عن عروض الشعر اليوناني، قدر أن الخليل ربما وصل إلى علمه شيء من عروض يونان. وبعد البيروني وابن بطلان قل أن نجد رغبة أصيلة في الكشف عن منابع جديدة في أدب يونان، فإذا التقينا دارسا مخلصا للمعرفة كالشهرستاني (1153/548) وجدناه يتكئ على مصادر القرنين السابقين، وليس الحديث عن الشعر اليوناني عنده إلا مكملًا للصورة العامة التي يريد رسمها للفكر اليوناني، وقد أصاب الشهرستاني حين ذكر أن وجود الشعر في أمة يونان كان قبل الفلسفة.

تعليق:

ذكر الدكتور إحسان عباس المساعدات التي تلقاها من الجامعات الثلاث، ولو لم تكن لها غاية وهدف لما وقفت وإياه، وسهلت له كل صعب، وأزالت كل عائق. أما قوله ولكنه لا يستبعد أن يكون الخليل قد سمع عما لدى الهند من موازين شعرية، فكيف يعقل هذا والخليل كان يقول: لا يجاوز همي ما وراء بابي، ثم ما يضحك قوله: فقد قال الزبيدي: ويروى أن ملك اليونانية كتب إلى الخليل بن أحمد كتاباً باليونانية، نخلاً بالكتاب شهراً حتى فهمه. الخليل الفقير المتواضع كان شعث الرأس، شاحب اللون، قشف الهيئة، متمزق الثياب، متقطع القدمين، مغموراً في الناس لا يعرف. قال النضر بن شميل: ما رأى الرأون مثل الخليل ولا رأى الخليل مثل نفسه⁽¹⁾ الذي كان ينشد كثيراً هذا البيت، وهو للأخطل:

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم ذخرأ يكون كصالح الأعمال

يرسل له ملك اليونانية كتاباً!!! ليقراها ومن هنا اطلع الخليل على عروض اليونان أو الهند والنحو ومنهج المعجم وغير ذلك... وهذا كلام غريب، كان لا يستحق الرد أو أن يذكر أصلاً، وإنما فعلت بعد تردد لكي يحذر طلبتنا من هؤلاء المنتحلين المشعوذين في العلم والمعارف، والتحقق علمياً مما يقدموه من آراء علمية.

هذا النص دليل كما يلاحظ على كثرة الأغلط والمفاهيم الخاطئة والمنتحلة على علمائنا السابقين-رحمهم الله جميعاً- وأدرك الآن لماذا الحاج صالح يلح على ضرورة إعادة قراءة التراث وفهمه من جديد.

ولأبين مدى استخفافنا بتراثنا اليوم نجد واقعنا يرثي له وصل بنا الأمر لدرجة أننا ننسب كل إبداع جميل، وكل علم جليل إلى غيرنا، وكأن هذه الأمة لم يكتب لها أن تنتج وتبدع، فما من بدعة

¹ - الزركلي - الأعلام - ج/2، ص: 314

البحث اللساني عند العرب

يبتدعها المستشرقون المغرضون إلا وصدقها العرب المستغربون وما أكثرهم، فمن تأثر بالنحو السرياني إلى تأثر الخليل بالعروض اليوناني، ولو زود إحسان عباس من قبلهم (المستشرقين) بأن امرأ القيس أو النابغة أو طرفة أو الأعشى أو زهير...

أو جميعهم، كانوا يونانا وسريانا لأثبت ذلك بكل ابتهاج وافتتان.

ولتثبيت مثل هذه الأفكار المنتحلة، شقَّ لها من الدلائل الواهية كأن جعل الاتصال بين الحضارات (الاتصال العلمي) كان في زمن الدولة الأموية (عبد الملك بن مروان وولديه) وليس في عهد العباسيين (المأمون) قال: وهناك حقيقتان لا بد من الإشارة إليهما لاتصالهما اتصالاً مباشراً بالتيار العام في هذه الدراسة؛ أولهما أن عهد الترجمة لم ينتظر مجيء المأمون، ولا كان وليد رغبته الجارفة في الثقافة الهيلينية، وإنما كان قد بدأ قبل ذلك بكثير، في فترة ما في الدولة الأموية (بين سنتي 105 - 132)، وهو يعلم تمام العلم أن الدولة الأموية لم تكن تملك عوامل الاتصال الخارجي، بسبب الفتن والخلافات بينهم وبين آل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنصارهم ومن تبعهم بعد ذلك. ثم إن عقلية العربي لم تكن مهياً لمثل هذه التبادل والاحتكاك العلمي، ثم إن طبيعة الأموي لم تكن تميل إلى الأعجمي وهو مسلم وله حق الأخوة الدينية فما بالك بعلوم اليونان والسريان والهند، فابن المقفع إنما ذاع صيته في أحضان الدولة العباسية حتى أصبح الكاتب الخاص لعيسى بن عمر عم المنصور، وبشار بن برد وأبو نواس وغيرهم إنما عرفوا أيام الدولة العباسية.

وقد تبتعت إمارة كل الذين تعاقبوا على الحكم في الدولة الأموية من معاوية بن أبي سفيان إلى آخر ملوكهم وهو مروان بن محمد، فلم أجد من كان مهتماً بذلك. أنظر إلى هذه التعاريف.

وأما معاوية- رضي الله عنه- فكان عاقلاً في دنياه لبيباً عالماً حليماً ملكاً قوياً جيد السياسة حسن التدبير لأمر الدنيا عاقلاً حكيماً فصيحاً بليغاً يحلم في موضع الحلم ويشتد في موضع الشدة إلا أن الحلم كان أغلب عليه. وكان كريماً باذلاً للمال محباً للرياسة مشغولاً بها، كان يفضل على

البحث اللساني عند العرب

أشرف رعيته كثيراً ثم أوصى بالخلافة إلى ابنه يزيد من بعده وقيل إنه جمع خصومه عبد الله بن زبير وعبد الله بن عمر والحسن بن علي - كرم الله وجهه - وغيرهم ووضع السيف على رقابهم وأمرهم بالبيعة ليزيد وكان له ذلك.

- يزيد بن معاوية كان موفر الرغبة في اللهو والقنص والخمر والنساء والشعر. وكان فصيحاً كريماً شاعراً.

- معاوية بن يزيد بن معاوية كان صبيهاً ضعيفاً، ملك أربعين يوماً، وقيل ثلاثة أشهر.

- مروان بن الحكم كانت ولاية مروان تسعة أشهر وبعض شهر.

- عبد الملك بن مروان (*) لبيباً عاقلاً عالماً ملكاً جباراً، قوي الهيبة شديد السياسة حسن التدبير للدنيا، وهو أول من نهى الرعية عن كثرة الحديث بحضرة الخلفاء ومراجعتهم، وكانوا يتجرون عليهم، وهو الذي سلط الحجاج بن يوسف على الناس وغزا الكعبة وقتل عبد الله بن الزبير وأخاه مصعباً من قبله.

- عمر بن عبد العزيز من خيار الخلفاء عالماً زاهداً عابداً تقياً ورعاً، سار سيرة مرضية ومضى حميداً. هو الذي قطع السب عن أمير المؤمنين، صلوات الله عليه وسلامه، وكان بنو أمية يسبون على المنابر.

* - ومن طريف ما وقع في ذلك أن عبد الملك لما أرسل يزيد بن معاوية الجيش لقتال أهل المدينة وغزو الكعبة امتعض عبد الملك من ذلك غاية الامتعاض، وقال: ليت السماء انطبقت على الأرض. فلما صار خليفةً فعل ذلك وأشد منه، فإنه أرسل الحجاج لحصار ابن الزبير وغزو مكة، وكان عبد الملك قبل الخلافة أحد فقهاء المدينة، وكان يسمى حمامة المسجد لمدامته تلاوة القرآن. فلما مات أبوه وبشر بالخلافة أطبق المصحف، وقال: هذا فراق بيني وبينك، وتصدى لأموال الدنيا. وقيل إنه قال يوماً لسعيد بن المسيب: يا سعيد قد صرت أفعل الخير فلا أسر به وأصنع الشر فلا أساء به، فقال له سعيد بن المسيب: الآن تكامل فيك موت القلب. في أيامه قتل عبد الله بن الزبير وأخوه مصعب أمير العراق.

البحث اللساني عند العرب

- الوليد بن يزيد: كان من فتيان بني أمية وظرفائهم وشجعانهم وأجودهم وأشدائهم، منهمكاً في اللهو والشرب وسماع الغناء، وكان شاعراً محسناً له أشعار حسنة في العتاب والغزل ووصف الخمر. روي عنه (*)

- يزيد بن الوليد: كان يظهر التنسك الأيام، وفي زمنه شرع حبل بني أمية يضطرب، وشرعت الدولة العباسية تنبع، وانبعثت الدعاة في الأمصار.

- إبراهيم بن الوليد: كانت تلك الأيام أيام فتن وكان حبل بني أمية قد اضطرب، فلها مات يزيد بن الوليد بن عبد الملك بويج أخوه إبراهيم بيعةً لم تكن بطائل. فكان ناس يسلمون عليه بالخلافة، وناس بالإمارة، وناس لربما لا يسلمون عليه بواحدة منهما، واضطرب أمره فكث سبعين يوماً، وسار إلى مروان بن محمد بن مروان نخلعه وبويج له بالخلافة وجلس على سرير المملكة، وذلك بعد حروب وفتن ووقائع يشيب منها الطفل.

- مروان بن محمد بن مروان: هو آخر خلفاء بني أمية، وعنه انتقلت الدولة إلى بني العباس، ويقال له الجعدي، وإنما لقب بذلك، قالوا لصبره في الحرب، وكان شجاعاً صاحب دهاءٍ ومكر،

* - روي أنه كان يأخذ المصحف الشريف كل صباح وينظر حظه في أول آية تقع عليها عيناه، فقليل إنه حدث وأن وقعت عيناه على آية فيها توعده للجبايرة قوله تعالى (ألقيا في جهنم كل جبار عنيد) سورة ق 24 فمزق المصحف الشريف وراح ينشد:

أتوعد كل جبار عنيد وها أنا ذاك جبار عنيد

إذا جئت ربك يوم حشر فقل يارب مرقني الوليد

فلها مات قيل إن الكلاب أخرجت جثته من قبرها ونكلت بها.

البحث اللساني عند العرب

وكانت أيامه أيام فتن وهرج ومرج، ولم تطل أيامه حتى هزمته الجيوش العباسية وتبعته إلى بلاد مصر، فقتل بقرية اسمها بوصير من قرى الصعيد، وذلك سنة اثنتين وثلاثين ومائة⁽¹⁾.

لقد عمرت هذه الدولة تسعين سنة، ومن التعسف أن نقول أنها كانت دولة بكل دلالة اللفظ، فقد غلبت عليها روح البداوة، فكانوا بدويين في جميع نواحي حياتهم حتى السياسية منها. وإن سكنوا القصور، فمعاوية كان مجلسه يضم كل من - عمرو بن العاص وسعيد بن العاص والوليد وغيرهم من بني أمية...- وأكبر همهم هو النيل من الحسن بن علي، وكيفية تلفيق التهمة بأن أباه علي - كرم الله وجهه - قد قتل عثمان، وما كان يلاقي معاوية من سخط واحتقار من أنصار الإمام، ومواجهة هؤلاء وهم أكثر. ثم من جاء بعده، من الملوك فهم إما أصحاب لهو ومجون... أو قتلة لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.. كما فعل عبد الملك لما ولي الحجاج بن يوسف على العراق، والتاريخ بين وواضح في هذه القضايا⁽²⁾. ثم إن إقليم العراق لم يشهد منذ أن قامت الدولة الأموية الاستقرار، فالفتنة ظلت قائمة منذ مقتل الإمام، وبالتالي الحديث الاحتكاك أمر صعب إن لم نقل مستحيل في ظل هذه الظروف.

وعليه فإننا مطالبون بضرورة جمع التراث خاصتنا، وإزالة ما ركبه من تصحيف وتزوير، وقراءته وفق آليات التراث، بمنطلق علمي، لأن التراث لا يُفسر إلا بالتراث، ما إمكانية الاستفادة من المناهج الحديثة المهمة، التي يمكن أن تخدم العربية، وهنا لا نتجاوز مبدأ الاستفادة إلى الذوبان في هذه المناهج فقط لأنها غربية.

¹ - ابن الطقطقي - الفخري في الآداب السلطانية - ص: 39 إلى 49

² - جمهرة خطب العرب - بالتصرف

الفصل الثاني : مرحلة المنهج الهجين

يجمع التراثيون أن هذه المرحلة تبدأ بالقرن الرابع، ونعني بالهجين أن البحث لم يعد بتصور منهجي عربي خالص، وإنما تأثر فيه العقل العربي بالفلسفة الإسلامية والمنطق اليونانيين، وهذا لم يكن في البحث اللغوي فحسب وإنما شمل كل العلوم الأخرى بما فيها الفقه والأصول والعقيدة الإسلامية وغيرها، حتى غدا المسلمون فلاسفة أكثر من اليونان أنفسهم. ويناقدش عبد الرحمان الحاج صالح هذا القضية باعتقاده أن المسلمين عرفوا نوعين من الفلسفة، ففي القرنين الثالث والرابع تأثر النحاة بالفلسفة الإسلامية، ثم عرفوا وتأثروا بالفلسفة اليونانية يقول: فقد تأثر النحاة في القرن الثالث والقرن الرابع أولاً بنوعين من الفلسفة:

- الأولى: هي علم الكلام وهي فلسفة إسلامية محضة.

- الثانية: هي الفلسفة اليونانية وخاصة المنطق الأرسطي⁽¹⁾.

ولذلك ارتأيت أن أتحدث عن الفلسفة الإسلامية قليلا حتى نصل إلى جلية الأمر. ما وجدته في تعريف علم الكلام قول أبي حامد الغزالي: ثم إني ابتدأت بعلم الكلام فخصّته وعقلته، وطالعت كتب المحققين منهم، وصنفت فيه ما أردت أن أصنف فصادفته علماً وافياً بمقصوده، غير واف بمقصودي، وإنما مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة، وحراستها عن تشويش أهل البدعة، فقد ألقى الله تعالى، إلى عباده على لسان رسوله عقيدة هي الحق. على ما فيه صلاح دينهم وديناهم، كما نطق بمعرفته القرآن والأخبار. ثم ألقى الشيطان في وساوس المبتدعة أموراً مخالفة للسنة، فلهجوا بها وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها.⁽²⁾

¹ - الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية - ص: 6

² - أبو حامد الغزالي - المنقذ من الضلال - ص: 4

البحث اللساني عند العرب

- الفلسفة الإسلامية (علم الكلام) (1) :

ويسمى علم الكلام وأيضاً: المتكلمين، والمراد بالكلام أصول الدين، وبالمتكلمين أصحاب هذا العلم قال السمعاني في الأنساب في ترجمة المتكلم: إنما قيل لهذا النوع من العلم الكلام لأن أول خلاف وقع في كلام الله تعالى أم مخلوق هو أم لا؟ فتكلم الناس فيه، فسمي هذا العلم علم الكلام، وإن كان جميع العلوم نشرها بالكلام⁽²⁾. وبالتالي نفهم أن موضوعه يتعلق بالغيبيات وما يتجاوز حدود معرفة الإنسان.

قال ابن خلدون: وتشابه موضوع علم الكلام بموضوع الإلهيات ومسائله بمسائلها، فصارت فنا واحداً. ثم غيروا ترتيب الحكماء في مسائل الطبيعيات والإلهيات وخلطوها فناً واحداً قدموا فيه الكلام في الأمور العامة، ثم أتبعوه بالجسمانيات وتوابعها ثم بالروحانيات وتوابعها، إلى آخر العلم⁽³⁾، وبالتالي طغى هذا الفن على العقل العربي، وكان تأثيره على النحو العربي، والتفكير النحوي واضحاً من خلال الانتقال من المنهج الرياضي العلمي مع التحليل وأتباعه، إلى منهج اختلط بعلم الكلام الذي يبحث في الغيبيات وما وراء الطبيعة، وتأثيره على التفكير النحوي بل توجيه النحو إلى مسائل كلامية، وإنه من غريب الحديث أن يقال عن التحليل أنه من المتكلمين قال محمد سالم صالح: وقد عدل التحليل عن السنة إلى مذهب التشيع وظهرت آثار التشيع في تفكيره، لأن الشيعة كالمعتزلة نواة المتكلمين، إذ كان جعفر بن محمد الصادق زعيم الشيعة من أصحاب الكلام، وقد توسع التحليل في القياس، واستخرج الأصول العامة والقواعد العقلية في اللغة والنحو واستغل نظرية التباديل والتوافق في وضع علم العروض ومعجم العين⁽⁴⁾

¹ - كلمة فلسفة هنا لا علاقة لها بالفلسفة اليونانية، بل هي إسلامية محضة في شكلها ومضمونها.

² - النووي - تهذيب الأسماء - ج/4، ص: 185

³ - مقدمة ابن خلدون، ص: 302

⁴ - محمد سالم صالح - أصول النحو دراسة في فكر ابن الأنباري ص: 114

البحث اللساني عند العرب

هذا الكلام الذي لا يمت للحقيقة بصلة، بأن الخليل انتقل من السنية إلى التشيع (جعفر بن محمد الصادق) واستغل نظرية التباديل والتوافق، ولم يذكر لنا أصل هذه النظرية من أين؟! ويذهب إلى أبعد من ذلك بأن سيبويه ورث منه هذا قال: وقد ورث سيبويه هذا التأثير عن أستاذه، فكثرت عنده التعليقات والأقيسة والخطرات الفلسفية، وكانت هذه الآثار الفلسفية عندهما-الخليل وسيبويه- عربية النشأة فلم تكن متأثرة بفلسفة أجنبية⁽¹⁾.

وهنا تناقض فظيع في كلامه فمرة يقول طبق نظرية التباديل والتوافق، ثم تحدث عن الفلسفة، قائلاً أنها فلسفة ليست أجنبية وهو يعني لا محالة علم الكلام، ويبدو أن هذا ظلم كبير في حق الخليل، عندما نتهمه بأنه ترك السنية للتشيع، والخليل كان إباضياً، والإباضية مذهب سني ولا شك في ذلك. ثم إن نظرية الخليل لم تسم بنظرية التوافق والتباديل التي يراد بها أنها مجرد مجموعة من العمليات التبديلية والتقليبية البسيطة قام بها الخليل، بل هي نظرية علمية رياضية تمتاز بالعمق والدقة ما رفع بالخليل إلى درجة العبقرية وإلى يومنا هذا مازال الدارسون عاجزين عن فهم مقاصدها.

أما عن مذهبه فقد ذكر المرزباني عن مولد الخليل: فقد ولد في عُمان وذلك ما تذهب إليه المصادر العمانية من أنه من أهل ودام من الباطنة، وخرج من البصرة صغيراً مع والديه فأقام بها، ونسب إليها وهو عربي وهو إباضي⁽²⁾.

بدا أن العلماء فرقوا بين العلوم كما ذكر الألويسي قال: وقد حدد العلماء المسلمون مواقع كل علم بما فيها علم الكلام قال الألويسي⁽³⁾ في تفسيره: إذا أراد أن يبحث عن الباء من حيث إنها حرف جربل عن سائر كلماتها من حيث الإعراب والبناء احتاج إلى علم النحو وإذا أراد أن

¹ - المرجع نفسه ص: 114

² - المرزباني - نور القبس - ص: 20

³ - الألويسي أبو الثناء شهاب الدين (1217 - 1270هـ، 1802 - 1854م).

البحث اللساني عند العرب

يجث عن أصول كلماتها كيف كانت وكيف آلت احتاج إلى علمي الصرف والاشتقاق وإن أراد أن يجث عن نحو القصر بأقسامه وهل يوجد فيها شيء منه احتاج إلى علم المعاني وإن أراد أن يجث عما فيها من الحقيقة والمجاز احتاج إلى علم البيان وإن أراد أن يجث عما بين كلماتها من المحسنات اللفظية احتاج إلى علم البديع وإن أراد أن يجث عنها من حيث إنها شعر أو نثر موزون أو غير موزون مثلاً احتاج إلى علمي العروض والقوافي وإن أراد أن يعرف مدلولات الألفاظ لغة احتاج إلى مراجعة اللغة وإن أراد أن يعرف من أي الأقسام وضع تلك الألفاظ احتاج إلى علم الوضع وإن أراد معرفة ما في رسمها احتاج إلى علم الخط وإن أراد البحث عن كونها قضية ومن أي قسم من أقسامها أو غير قضية احتاج إلى علم المنطق وإن أراد أن يعرف أن كنه ما فيها من الأسماء هل يعلم أولاً احتاج إلى علم الكلام وإن أراد معرفة حكم الابتداء بها وهل يختلف باختلاف المبدوء به احتاج إلى علم الفقه وإن أراد معرفة أن ما فيها ظاهر أو نص مثلاً احتاج إلى علم الأصول وإن أراد معرفة تواترها احتاج إلى علم المصطلح وإن أراد معرفة أنها من أي مقولة من الأعراض احتاج إلى علم الحكمة وإن أراد معرفة طبائع حروفها احتاج إلى علم الحرف وإن أراد معرفة أنواع الرحمة المشار إليها بها احتاج إلى علم الأفلاك وعلم تشريح الأعضاء وخواص الأشياء وعلم المساحة وغير ذلك وإن أراد معرفة ما يمكن التخلق به مما تدل عليه الأسماء احتاج إلى علم الأخلاق⁽¹⁾. وهذا النص يبرز لنا عدة جوانب هامة أساسية:

- الأولى: لكل علم وفن منهجه المناسب، وتوجيه الباحث الوجهة الصحيحة التي تمكنه من الوصول إلى غايته، فلا يمكن أن يجث عن حروف الجر في علم العروض مثلاً. وهذا فضل كبير، ودقة تُذهب ما قيل أن العرب لم يعرفوا التخصص، لذا جاءت مؤلفاتهم متداخلة العلوم لا يحكمها منهج واضح. والباحثون الأوائل عندما درسوا الظواهر فإنهم لم يهملوا جزئية واحدة، فهذا سيبيويه عندما ألف كتابه ظن النقاد المتحاذقون أنه خلط بين القضايا النحوية والصرفية والصوتية.... وفي الحقيقة الجمع بينهم كما فعل سيبيويه هو الصواب إذ لا يمكن أن تقوم الدراسة بالفصل

¹ - الألويسي - روح المعاني - ج/1، ص: 35

البحث اللساني عند العرب

بينها لأنها مستويات أساسية يظهر النص التبليغي من خلالها. مثل (أكرم، مكرم، مكرم) الفعل واسم الفاعل واسم المفعول، فنقول الوزن الاشتقائي هو كسر ما قبل الآخر بالنسبة للاسم الفاعل، وفتح ما قبل الآخر بالنسبة للثاني، فنلاحظ أننا نتحدث عن صرف ونحو وإعراب.. فاللغة مستويات مترابطة ومتماسكة لا يمكن الفصل بينها وجعلها ظواهر منفصلة. والغاية العلمية لا تظهر إلا باجتماعها لأنها في النهاية قضية صوتية.

- الثانية: وهي الأهم أن هناك فرقا كبيرا بين علم الكلام الإسلامي وعلم المنطق (اليوناني)، بل هناك فرق بين كلام العرب وعلم الكلام، وعيب أن نأخذ كلام المازني عن الأخفش عندما قال: كان أعلم الناس بالكلام وأحذقهم في الجدل، قال الدكتور محمد سالم صالح: وهو من النحاة المتكلمين، فقد أخبر المبرد عن المازني⁽¹⁾ أما علم المنطق فليس بينهما علاقة تأثير وتأثر، ولا يمكن أن يكون بينهما شيء من ذلك، فعلم الكلام مستنبط من فكر المسلمين، من فلسفة خاصة استمدوها من أصول دينهم وعقيدتهم، فهم يمتلكون النص الإلهي الذي يدعوهم إلى التأمل والتدبر والتفكير في كتاب الله وآيات خلقه، لأن الإنسان كلما تدبر في خلق الله ازداد خشية وإيمانا، وفيه من المشكلات التي لا تحل إلا بعلم الكلام كقوله: وهذه مسألة مشكلة يبحث فيها في علم الكلام⁽²⁾

فعلم الكلام هو اجتهاد عقلي غايته تفسير الظواهر القرآنية، ولذلك شاع إطلاق النظر في علم الكلام على الفكر المؤدي إلى علم. واختلف العلماء في تفسير بعض الظواهر من أشهرها: خلق القرآن، صفات الله، رؤية الله، الجبر والاختيار، وظيفة الملائكة في بدر مرتكب الجائر وهكذا من القضايا فمثلا في مناقشة حكم من استوت حسناته مع سيئاته قال: إنما توجب دخول النار إذا زاد عقابها على ثواب الطاعات فإن أربت الطاعات على السيئات درأت السيئات، وليس النظر

¹ - محمد سالم صالح - أول النحو دراسة في فكر ابن الأنباري - ص: 114

² - أبو حيان - البحر المحيط - ج/1، ص: 234

البحث اللساني عند العرب

إلى أعداد الطاعات ولا الزلات، وإنما النظر إلى مقدار الأجر والأوزار فرب كبيرة واحدة يغلب وزرها طاعات كثيرة العدد، ومن أبرز الاجتهاد العقلي مصير من استوت سيئاته مع حسناته قال: فإن استوت الحسنات والسيئات فقد اضطربوا في ذلك فهذا محل المنزلة بين المنزلتين.

ونقل ابن حزم في من استوت حسناته وسيئاته فهو من أهل الأعراف ولهم وقفة لا يدخلون النار مدة ثم يدخلون الجنة، ومن رحمت سيئاته فهو مجازى بقدر ما ربح له من الذنوب فمن لفحة واحدة إلى بقاء خمسين ألف سنة في النار ثم يخرجون منها بالشفاعة وهذا يقتضي أن هؤلاء لا يرون الخلود.

وقد نقل البعض عن المعتزلة: أن المنزلة بين المنزلتين لا جنة ولا نار إلا أن التفتراني في «المقاصد» غلط هذا البعض وكذلك قال في «شرح الكشاف». وقد قرر صاحب «الكشاف» حقيقة المنزلة بين المنزلتين بكلام مجمل فقال في تفسير قوله تعالى: وما يضل به إلا الفاسقين البقرة 26 والفاسق في الشريعة الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين أي بين منزلي المؤمن والكافر. وقالوا إن أول من حد له هذا الحد أبو حذيفة واصل بن عطاء وكونه بين بين أن حكمه حكم المؤمن في أنه ينكح ويورث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وأن لا تقبل له شهادة⁽¹⁾.... والبحث في هذه القضايا يستلزم من المعرفة ما يستلزم من دراية ودربة بآليات علم التفسير والتأويل وهي الأثر وعلم القراءات والمعرفة بعلم النسخ والمنسوخ وأسباب النزول بالإضافة إلى علوم العربية. قال الزركشي في البرهان في تعريفه لعلم التفسير: التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله

1- الطاهر بن عاشور - التحرير والتنوير - ج/1 ص: 107

البحث اللساني عند العرب

عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ⁽¹⁾.

إن البحث التفصيلي في كيفيات هذه الأفعال كلها ليس من الجدد الذي هو طابع هذه العقيدة . وطابع الحركة الواقعية بهذه العقيدة ولكن هذه المباحث صارت من باحث الفرق الإسلامية ومباحث علم الكلام في العصور المتأخرة. والحقيقة أن علم الكلام لقي من العنت ما لقي، خاصة ممن يدعون مذهب السلف بدعو أن الدين لا يقبل الاجتهاد فالنبي - صلى الله عليه وسلم بلغ الرسالة كاملة، ولنا في أصحابه القدوة وانتهى الأمر قال أبو حامد الغزالي في كتابه إجماع العوام عن علم الكلام: اعلم أن الحق الصريح الذي لا مرء فيه عند أهل البصائر، هو مذهب السلف أعني الصحابة والتابعين، ثم قال: إن البرهان الكلي على أن الحق في مذهب السلف وحده ينكشف بتسليم أربعة أصول مسلمة عند كل عاقل⁽²⁾ .

والأمر لا يؤخذ بهذه السهولة بأن نكتفي بظواهر العبادات عند الصحابة - رضوان الله تعالى عنهم - بل إنهم تساءلوا في أمور عقلية وسألوا النبي - صلى الله عليه وسلم - عنها وكل الخلفاء الراشدين اجتهدوا في أخرى.

¹ - الزركشي - البرهان - ج/1، ص: 13

² - الأول من تلك الأصول المذكورة أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أعراف الخلق بصلاح أحوال العباد في دينهم وديانهم .

- الأصل الثاني: أنه بلغ كلها أوحى إليه من صلاح العباد في معادهم ومعاشهم، ولم يكتم منه شيئاً .

- الأصل الثالث: أن أعراف الناس بمعاني كلام الله وأحرامهم بالوقوف على أسرارهم هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لازموا وحضروا التنزيل وعرفوا التأويل .

- والأصل الرابع: أن الصحابة رضي الله عنهم في طول عصرهم إلى آخر أعمارهم ما دعوا الخلق إلى التأويل، ولو كان التأويل من الدين أو علم الدين لأقبلوا عليه ليلاً ونهاراً ودعوا إليه أولادهم وأهلهم .

البحث اللساني عند العرب

والحقيقة أن الإمام الغزالي لا ينفي علم الكلام نفيا مطلقا وإنما كرهه على العوام لصعوبته وتشعبه، وأبو حامد وابن رشد الحفيد وأمثالهما يوجد في كلامهم المعنى الأول. وأبو حامد إنما ذم التأويل في آخر عمره وصنف إجماع العوام عن علم الكلام محافظة على هذا الأصل لأنه رأى مصلحة الجمهور لا تقوم إلا بإبقاء الظواهر على ما هي عليه وإن كان هو يرى ما ذكره في كتبه المضمون بها⁽¹⁾.

ومن أبلغ وأروع ما ذكر عن الغزالي ما قاله شيخ الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغى: إذا ذكر ابن سينا أو الفارابي خطر بالبال فيلسوفان عظيمان، وإذا ذكر ابن العربي خطر بالبال رجل صوفي له في التصوف آراء لها خطورتها، وإذا ذكر البخاري ومسلم وأحمد خطر بالبال رجال لهم أقدارهم في الحفظ والصدق والأمانة والدقة ومعرفة الرجال، أما إذا ذكر الغزالي فقد تشعبت النواحي ولم يخطر بالبال رجل واحد، بل خطر بالبال رجال متعددون، لكل واحد قدره وقيمته، يخطر بالبال الغزالي الأصولي الماهر، والغزالي الفقيه الحر، والغزالي المتكلم إمام أهل السنة وحامي حماها، والغزالي الاجتماعي الخبير بأحوال العالم وخفيات الضمائر ومكونات القلوب، والغزالي الفيلسوف، أو الذي ناهض الفلسفة وكشف عما فيها من زخرف وزيف، والغزالي الصوفي الزاهد وإن شئت فقل: إنه يخطر بالبال رجل هو دائرة معارف عصره⁽²⁾ إن علم الكلام مباح بل ضروري وواجب في بعض الظروف، وهو حرام إذا ركب الإنسان فيه هواه وغلبه العناد. ولكنه ليس مطلبا عاما، بل يخص فئة معينة تسعى لتفسير وتأويل القرآن لذلك قيل المناظرة بين أهل العلم، والمذاكرة بين الفقهاء، بل ذهب ابن العربي أنه يكفي أن يكون متكلمها واحدا في البلد قال: علم الكلام مع شرفه لا يحتاج إليه أكثر الناس بل رجل واحد يكفي منه في البلد بخلاف العلماء بفروع الدين فإن الناس يحتاجون إلى الكثرة من علماء الشريعة ولو مات الإنسان وهو لا يعلم

¹ - ابن تيمية - الفتاوى الكبرى، ج/4 ص: 12

² - المضمون به على غير أهله، مقال: مجلة الأزهر - المجلد 11: ص 398، 476

البحث اللساني عند العرب

اصطلاح القائلين بعلم النظر كالجوهر والعرض والجسم والجسماني والروح والروحاني لم يسأله الله عن ذلك وإنما يسأل الناس عما وجب عليهم من التكليف بالفروع ونحوها⁽¹⁾.

- النحو وعلم الكلام:

الكثير من القضايا فُسرت من منطلقات نحوية بل أحيانا كان الحكم النحوي شاهداً وحجة، والحقيقة أن القضايا الفقهية لم تنفصل عن التوجيه النحوية ولن تنفصل، والناس في زمانهم أدركوا ذلك وعرفوه قال ابن الأنباري في مقدمة كتاب الإنصاف: فإن جماعة من الفقهاء المتأدبين والأدباء المتفهمين المشتغلين علي بعلم العربية بالمدرسة النظامية... سألوني أن أخلص لهم كتاباً لطيفاً يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحوي البصرة والكوفة على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة ليكون أول كتاب صنف في علم العربية على هذا الترتيب وألف على هذا الأسلوب⁽²⁾ أن التأويل العقلي لم يكن كافياً وحده لتفسير الكثير من القضايا، ذلك أن اللغة العربية فلسفتها الذاتية، واحتمالاتها الدقيقة المتساوية شكلت دافعاً قوياً لضرورة الاستعانة بالنحو وهذا مثال حيّ ففي قوله تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) ومنه الراسخون قالوا: مبتدأ، وخبره قوله تعالى: (يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ) إذا وقع الوقف على لفظ الجلالة (الله) لأن الوقف يعني انتهاء التبعية النحوية، وبداية معنى آخر جديد. قال الإمام الطبري (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) إنكم تصلون هذه الآية، وإنها مقطوعة (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) فانتهي علمهم إلى قولهم الذي قالوا⁽³⁾.

والقطع يكون بالوقف لدلالة معنى جديد لا علاقة له بالمعنى السابق من حيث التبعية النحوية.

¹ - المرجع نفسه.

² - ابن الأنباري - كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف ص: 1 مقدمة

³ - تفسير الطبري، ص: 202/6

البحث اللساني عند العرب

واختلف العلماء في إعراب هذه الآية فقال قوم: الواو في قوله والراسخون واو العطف يعني: أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم (يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ) وهذا قول مجاهد والربيع، وعلى هذا يكون قوله (يقولون) حالا معناه (والراسخون في العلم قائلين آمنا به) هذا كقوله تعالى: (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى) 7-الحشر ثم قال: " (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم) 8-الحشر إلى أن قال: (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم) 9-الحشر ثم قال (والذين جاءوا من بعدهم) 10-الحشر وهذا عطف على ما سبق، ثم قال: (يقولون ربنا اغفر لنا) 10-الحشر يعني هم مع استحقاقهم الفيء يقولون ربنا اغفر لنا، أي قائلين على الحال .

وهنا نجد أن العلم بتأويله يعلمه الله والراسخون في العلم، فمن آمن بهذه الفكرة، وشهد عليها، فإن الواو في الآية الكريمة: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) للعطف والراسخون معطوف على الرفع للفظ الجلالة الله.وجملة (قالوا) على الحال.

أما من رأى استحالة معرفة تأويله من غير الله عز وجل ففسروا الآية نحويا بالفصل بين التركيبين الواو للاستئناف والراسخون مبتدأ خبره الجملة الفعلية (قالوا) . فالحكم مبني على الاعتقاد.

كان كل النحاة في هذه الفترة من المتكلمين، وكان نشاطهم كبيرا جدا في علم الكلام. بل إن علم الكلام أصبح شرط من شروط طلب العلم، ومن شخصية العالم العلمية بل إنهم نبهوا على شرف علم الكلام وفضل أهله، وهذا حكم أخذ من نصوص القرآن أنظر مثلا في تفسير قوله تعالى: وَمَكْرُوهًا مَّكْرًا بُكَارًا (22) قال الإمام نخر الدين الرازي: وَمَكْرُوهًا مَعَطُوفٌ عَلَى مَنْ لَمْ يَزِدْهُ نوح: 21 لأن المتبوعين هم الذين مكروا وقالوا للأتباع: لَا تَدْرُنَّ وجمع الضمير وهو راجع إلى مَنْ، لأنه في معنى الجمع .

البحث اللساني عند العرب

قريٌّ كُبَّاراً وَكُبَّاراً بالتخفيف والتثقيل، وهو مبالغة في الكبير، فأول المراتب الكبير، والأوسط الكبار بالتخفيف، والنهية الكبار بالتثقيل، ونظيره: جميل وجمال وجمال، وعظيم وعظام وعظام، وطويل وطوال وطوال.

المكر الكبار هو أنهم قالوا لأتباعهم: لَا تَدْرُنَّ وُدًّا فهم منعوا القوم عن التوحيد، وأمرهم بالشرك، ولما كان التوحيد أعظم المراتب، لا جرم كان المنع منه أعظم الجائر فلهذا وصفه الله تعالى بأنه كبار، واستدل بهذا من فضل علم الكلام على سائر العلوم فقال: الأمر بالشرك كبار في القبح والخزي، فالأمر بالتوحيد والإرشاد وجب أن يكون كباراً في الخير والدين⁽¹⁾. وقوله تعالى: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا قال البيضاوي في تفسيره: في الآية تنبيه على شرف علم الكلام وأهله، وحث على البحث والنظر فيه⁽²⁾.

قال الإمام النسفي أيضاً في تفسير قوله تعالى: معنى قوله أنا أحبي وأميت أن الذي ينسب إليه الإحياء والإماتة أنا لا غيري، والآية تدل على إباحة التكلم في علم الكلام والمناظرة فيه لأنه قال: ألم ترى إلى الذي حاج إبراهيم في ربه. والمحاجة تكون بين اثنين فدل على أن إبراهيم حاجه أيضاً، ولو لم يكن مباحاً لما باشرها إبراهيم عليه السلام لكون الأنبياء عليهم السلام معصومين عن ارتكاب الحرام، ولأننا أمرنا بدعاء الكفرة إلى الإيمان بالله وتوحيده وإذا دعوناهم إلى ذلك لا بد أن يطلبوا منا الدليل على ذلك، وإذا لا يكون إلا بعد المناظرة كذا في شرح التأويلات. أو كالذي مرَّ معناه أو رأيت مثل الذي فحذف لدلالة لم تر عليه لأن كليهما كلمة تعجب، أو هو محمول على المعنى دون اللفظ تقديره: رأيت كالذي حاج إبراهيم أو كالذي مر.

¹ - تفسير الرازي، ج/16، ص: 61

² - عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - ج/1، ص: 200

البحث اللساني عند العرب

وقال صاحب الكشاف: فيه الكاف زائدة والذي عطف على قوله: إلى الذي حاج عن الحسن أن المار كان كافراً بالبعث لانتظامه مع نمرد في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي أنى يحيى والأكثر أنه عزيز أراد أن يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه إبراهيم عليه السلام وأنى يحيى اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الحياة واستعظام لقدرة المحيي على قرية هي بيت المقدس حين نحره بختنصر وهي التي نخرج منها الألوف وهي خاوية على عروشها ساقطة مع سقوفها، أو سقطت السقوف ثم سقطت عليها الحيطان وكل مرتفع عرش قال أنى يحيى أي: كيف هذه أي أهل هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه أي أحياه قال له ملك كرم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يومٍ بناء على الظن، وفيه دليل جواز الاجتهاد روي أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيوبة الشمس فقال قبل النظر إلى الشمس يوماً، ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك روي أن طعامه كان تيناً وعنباً وشرابه عصيراً ولبناً فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه لم يتغير والهاء أصلية أو هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين، لأن لامها هاء لأن الأصل سنهة والفعل سانته⁽¹⁾

وهنا نقف موقفاً جلياً من جلال علم الكلام الذي تشرف العلماء بمعرفته وإدراكه بما فيهم علماء النحو، بل إنهم ذهبوا في استقراء كلام العرب أبعد مما ذهب إليه النحاة الأولون حسب رأيهم طبعاً قال أبو حيان في المحيط: إن الأصوليين دققوا النظر في فهم أشياء من كلام العرب لم يصل إليها النحاة ولا اللغويون، فإن كلام العرب متسع، والنظر فيه متشعب فكتب اللغة تضبط الألفاظ ومعانيها الظاهرة دون المعاني الدقيقة التي تحتاج إلى نظر الأصولي باستقراء زائد على استقراء اللغوي⁽²⁾.

¹ - أبو البركات النسفي - مدارك التنزيل وحقائق التأويل - ج/1، ص: 131

² - أبو حيان - البحر المحيط - ج/1، ص: 10

البحث اللساني عند العرب

مثاله: دلالة صيغة افعل على الوجوب، ولا تفعل على التحريم، وكون كل وأخواتها للعموم، ونحوه مما نص هذا السؤال على كونه من اللغة لو فتشت لم تجد فيها شيئاً من ذلك غالباً وكذلك في كتب النحاة في الاستثناء من أن الإخراج قبل الحكم أو بعده، وغير ذلك من الدقائق التي تعرض لها الأصوليون وأخذوها من كلام العرب باستقراء خاص، وأدلة خاصة لا تقتضيها صناعة النحو. فأحكامهم مستمدة مما توجه الآية في مضمونها فقي قوله تعالى (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ) فوقف المفسرون على الدلالات من خلال الترتيب النحوي ما يأتيهم من ذكر أي: من طائفة نازلة من القرآن، تذكر ذلك الحساب، وتنبههم عن الغفلة عنه، كائن أو نازل من ربهم، أو ذاكر ومذكر من ناحية ربهم. وفي إضافته إليه سبحانه دلالة على شرفه، وكال شناعة ما فعلوه من الإعراض عنه وفي التعبير بعنوان الربوبية تشييع لكمال عتوهم، ومن صفة ذلك الذكر مُحَدَّث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة، بمعنى أنه نزل شيئاً فشيئاً، أو قريب عهد بالنزول، فعاني القرآن قديمة، وإظهاره بهذه الحروف والأصوات حادث. وقال ابن راهويه: قديم من رب العزة، محدث إلى أهل الأرض فما ينزل عليهم شيء من القرآن يذكرهم ويعظهم إلا استمعوه وهم يلعبون لا يتعظون به، ولا يتدبرون في معانيه، لاهية قلوبهم ساهية، معرضة عن التفكير والتدبر في معانيه، والذكر: القرآن (1).

وقيل: ما قاله النبي - صلى الله عليه وسلم - من السنن والمواعظ غير ما في القرآن وإنما قال: من ربهم لأنه صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا حقاً موافقاً للقرآن، فكأنه من الله بل قال الله تعالى: وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى قيل: لما نزلت: اقترب للناس الخ قال بعضهم: زعم صاحبكم أن الساعة قربت فانتهاوا قليلاً عما يتم، ثم عادوا. ولما نزل: أتى أمر الله . قالوا كذلك، لو قال غير ذلك البعض، ثم رجعوا ونزل: ولئن أخرنا عنهم العذاب.

1 - ابن عجيبة - البحر المديد - ج 4/59

البحث اللساني عند العرب

ومن ربهم متعلق بيأتي، أو بمحذوف صفة لذكر، أو حال منه، لتقدم النفي ولو صفة لمحدث، أو متعلق بمحدث، أو بمحذوف حال من ضميره .

وذكر فاعل مجرور بمن الزائدة للتأكيد، مقدر الرفع كما يدل له قراءة ابن أبي عبيدة فهو للتقدير. وجملة وهم يلعبون حال من الواو، وكذا قوله: لَاهِيَةً فهما حالان مترادفان، أي جامعين بين اللعب واللهو، أو لاهية حال من ضمير لمفعول، فهما حالان متداخلان .

والقول: إن اللعب واللهو بمعنى واحد فالحال الثانية مؤكدة للأولى وقد وقت بينهما في غير هذا الموضع .

قلوبهم فاعل لاهية، وقرئ برفع لاهية، فالظاهر أنه خبر، وقلوب مبتدأ، والجملة حال كذلك قال: ويجوز كونه خبراً لمحذوف، أي هم لاهية . والجملة حال .

و(قلوب) فاعل ويجوز كونه خبراً آخر لقوله: (هم) والأول (يلعبون)، وقلوب فاعل فسمعهم من حيث قرنه باللعب واللهو كلا استماع. فهذا جمع بين المعنى والتوزيع النحوي، فإن اختلف المعنى اختلف التصور النحوي فالمعتزلة يخالفون بقولهم: محدث وهي مسألة يبحث فيها في علم الكلام. وقرأ الجمهور محدث بالجر صفة لذكر على اللفظ، وابن أبي عبيدة بالرفع صفة لذكر على الموضع، وزيد بن علي بالنصب على الحال من ذكر إذ قد وصف بقوله من ربهم ويجوز أن يتعلق من ربهم بيأتيهم. واستمعوه جملة حالية وذو الحال المفعول في ما يأتيهم وهم يلعبون جملة حالية من ضمير استمعوه و(لاهية) حال من ضمير (يلعبون) أو من ضمير استمعوه فيكون حالاً بعد حال، واللاهية من قول العرب لهي عنه إذا ذهل وغفل يلهي لهياً ولهياناً، أي وإن فطنوا لا يجدي ذلك لاستيلاء الغفلة والذهول وعدم التبصر بقلوبهم. وقرأ ابن أبي عبيدة وعيسى (لاهية) بالرفع على أنه خبر بعد خبر لقوله: (وهم) ⁽¹⁾ .

¹ - أبو حيان - البحر المحيط، ج/8، ص139

البحث اللساني عند العرب

لا يمكن إهمال دور النحو لأن الكثير من القضايا الشرعية ما أمكن حلها إلا بالنحو، ولذا لجأ النحاة إلى التخريج الفقهي موضحين دور النحو والإعراب خاصة، ولنا في اللقاءات التي كانت بين الفقهاء والنحاة فقد ناظر الكسائي أبا يوسف الفقيه الحنفي المشهور صاحب أبي حنيفة النعمان إمام المذهب منها ما يلزم الشاعر في قوله:

فإن ترفقي يا هند فالرفق وإن تخزقي يا هند فالخرق
فأنت طلاق والطلاق ثلاث ومن يخرق أعق

قيل: إن الرشيد كتب إلى أبي يوسف ما قول القاضي الإمام فيمن قال لامرأته:

فأنت طلاق والطلاق عزيمة ثلاث ومن يخرق أعق وأظلم

فقال ماذا يلزمه إذا رفع الثلاث وإذا نصبها قال أبو يوسف: هذه مسألة نحوية فقهية، ولا آمن من الغلط فيها. فأتى إلى الكسائي فسأله فأجاب عنها: إن رفع ثلاثا طلقت واحدة، لأنه قال أنت طلاق ثم أخبر أن الطلاق التام ثلاث وإن نصبها طلقت ثلاثا، لأن معناه أنت طالق ثلاثا، وما بينهما جملة معترضة، فكتبت بذلك إلى الرشيد، فأرسل إلي بجوائز، فوجهت بها إلى الكسائي.⁽¹⁾

وقال ابن هشام: وأقول: إن الصواب أن كلا من الرفع والنصب محتمل لوقوع الثلاث ولوقوع الواحدة، أما الرفع فلأن أُل في الطلاق إما لمجاز الجنس كما تقول زيد الرجل أي هو الرجل المعتد به، وإما للعهد الذكري مثلها في (فعصى فرعون الرسول) أي وهذا الطلاق المذكور عزيمة ثلاث ولا تكون للجنس الحقيقي، لئلا يلزم الإخبار عن العام بالخاص كما يقال الحيوان إنسان وذلك باطل، إذ ليس كل حيوان إنسانا، ولا كل طلاق عزيمة ولا ثلاثا، فعلى العهدية يقع الثلاث، وعلى الجنسية يقع واحدة كما قال الكسائي، وأما النصب فلأنه محتمل لأن يكون

¹ - الرضي على - شرح الكافية - ج/2 - 4 ص: 89

البحث اللساني عند العرب

على المفعول المطلق، وحينئذ يقتضي وقوع الطلاق الثلاث، إذ المعنى فأنت طالق ثلاثا، ثم اعترض بينهما بقوله: والطلاق عزيمة، ولأن يكون حالا من الضمير المستتر في عزيمة، وحينئذ لا يلزم وقوع الثلاث، لأن المعنى والطلاق عزيمة إذا كان ثلاثا، فإنما يقع ما نواه، هذا ما يقتضيه معنى هذا اللفظ مع قطع النظر عن شيء آخر، وأما الذي أراده هذا الشاعر المعين فهو الثلاث⁽¹⁾

قال الرضي:

فأنت طلاق، والطلاق عزيمة ثلاثا ومن يخرق أعق وأظلم

إذ هي مع ما بعدها بتقدير جملة مستقلة إذ هي مع ما بعدها بتقدير جملة مستقلة، كالجمل الاعتراضية، كما في البيت.⁽²⁾

ومما تناظروا فيه واختلفوا (إن) و(أن) في الطلاق في قول من قال لزوجته (أنت طالق إن دخلت الدار) فلو قال: أنت طالق ثم قال: إن دخلت الدار بعد ما سكت، لم يوجب ذلك تعلق الطلاق بالدخول، ولو جاز هذا لجاز أن يقول لامرأته: أنت طالق ثلاثا، ثم يقول بعد سنة: إن شاء الله فيبطل الطلاق ولا تحتاج إلى زوج ثان في إباحتها للأول، وفي تحريم الله تعالى إياها عليه بالطلاق الثلاث إلا بعد زوج دلالة على بطلان الاستثناء بعد السكوت، ولما صح ذلك في الإيقاع في أنه لا يصح الاستثناء إلا موصولا بالكلام كان كذلك حكم اليمين⁽³⁾.

أما ابن العربي فيربطها بالمشيئة مشيئة الله سبحانه وإنما تعلم بوقوع الفعل، لأنه لا يكون إلا ما يشاء، فإذا قال أنت طالق إن شاء الله، أو أنت طالق إن دخلت الدار إن شاء الله، فقد كان

¹ - ابن هشام - مغني اللبيب عن كتب الأعراب - ج/1 ص: 53

² - الرضي على - شرح الكافية - ج/2 - 4 ص: 136 - 202

³ - الجصاص - أحكام القرآن - ج/7، ص: 376

البحث اللساني عند العرب

الطلاق بوجود المشيئة، لأن وجود الفعل علامة عليها، وهذا أصل من أصول السنة⁽¹⁾ أما ابن هشام في المغني فيقول: وهذه الحروف إذا تقدم جزاؤها عليها، لم تحتج إلى حرف في الجزاء، كقوله: أنت طالق إن دخلت الدار، وإن تأخر جزاؤها احتاجت في الجزاء إلى حرف الفاء إذا كان جملة من مبتدأ وخبر، كقوله: إن دخلت الدار فأنت طالق .

وإنما اختصت بالفاء لأنها للتعقيب، فتربط بين الجزاء وشرطه، وتدل على تعقيبه به فإن قال: إن دخلت الدار أنت طالق. لم تطلق حتى تدخل .

وقال محمد بن الحسن: تطلق في الحال، لأنه لم يعلقه بدخول الدار، لأنه إنما يعلق بالفاء، وهذه لا فاء فيها، فيكون كلاما مستأنفا غير معلق بشرط، فيثبت حكمه في الحال. أنه أتى بحرف الشرط، فيدل ذلك على أنه أراد التعليق به وإنما حذف الفاء وهي مرادة، كما يحذف المبتدأ تارة، ويحذف الخبر أخرى لدلالة باقي الكلام على المحذوف، ويجوز أن يكون حذف الفاء على التقديم والتأخير، فكأنه أراد: أنت طالق إن دخلت الدار فقدم الشرط، ومراده التأخير ومهما أمكن حمل كلام العاقل على فائدة وتصحيحه عن الفساد وجب وفيما ذكرنا تصحيحه، وفيما ذكره إلغاؤه وإن قال: أردت الإيقاع في الحال .

وقع لأنه يقر على نفسه بما هو أغلظ وإن قال: أنت طالق وإن دخلت الدار وقع الطلاق في الحال، لأن معناه أنت طالق في كل حال، ولا يمنع من ذلك دخولك الدار، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق⁽²⁾ .

¹ - ابن العربي - أحكام القرآن - ج/5، ص: 308

² - ابن هشام - مغني اللبيب عن كتب الأعراب - ص: 389

البحث اللساني عند العرب

- النحو العربي والمنطق الأرسطي:

يعد ابن السراج بداية مرحلة جديدة من مراحل تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي ويؤكد الدكتور الحاج صالح ذلك بقوله: لقد تأثر النحو العربي بالمنطق اليوناني في عهد ازدهار الفلسفة في بغداد ويترى ذلك بوضوح في كثرة استعمال ابن السراج للتحديد بالجنس والفصل (genus et specificam per) الذي وضعه أرسطو⁽¹⁾ وقد أكد معظم الدارسين المحدثين على ذلك من خلال الرجوع إلى كتابه الأصول، الذي اعتقد جلهم في بداية العهد أنه في أصول العربية، ثم اتضح خلاف ذلك، إنما هو كتاب رتب في شكله على ضوابط المنطق الأرسطي، وبعض مصطلحاته وفي مضمونه على ما ذكره سيبويه يقول القفطي: حيث وضع كتابه الأصول على ألفاظ المنطقيين وتقاسيم الفلاسفة⁽²⁾.

ولم يخرج القرن الرابع حتى كان النحو العربي قد اختلط كلياً بالمنطق، وأصبح جلّ النحاة منطقة ابن كيسان والزجاجي وغيرهم يقول الزجاجي في باب (اختلاف النحويين في تحديد الاسم والفعل والحرف): أفلا تراهم كيف قد اختلفوا هذا الاختلاف، وليس فيه تناقض لأن كل واحد منهم قصد على طريق ما فحده منه، وإنما ذكرنا هذه الألفاظ في تحديد الفلسفة هاهنا وليس من أوضاع النحو لأن هذه المسألة نجيب عنها من يتعاطى المنطق وينظر فيه، فلم نجد بدّاً من مخاطبتهم من حيث يعقلون وتفهمهم من يفهمون⁽³⁾.

أما الرماني وهو أحد المشاهير له ثقافته ومهارته الفائقة في علوم العربية، إذ شارك في سائر العلوم، إلا أنه كان يميل للنحو والمنطق حتى قال عنه أبو علي الفارسي: إن كان النحو ما يقوله

¹ - عبد الرحمن الحاج صالح - النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيمها الأساسية - ص: 67

² - القفطي - إنباه الرواة - ص: 32/2

³ - الزجاجي - الإيضاح في علل النحو -، ص: 47

البحث اللساني عند العرب

الرماني فليس معنا شيء، وإن كان النحو ما نقوله فليس معه منه شيء⁽¹⁾ ويظهر أثر المنطق في العامل، والقياس، والعلة.

1- العامل في ضوء الفلسفة والمنطق:

تعرضنا لنظرية العامل عند الخليل، وهي نظرية مستوحاة من استقراء لغة العرب، لكن النحاة المنطقيين فهموها بشكل ملازم لفكرة الوجود (الواجد والموجود) قال الزجاجي في حديثه عن الحدود: إن السواد عرض من الأسود والجسم أقدم من العرض بالطبع والاستحالة والعرض قد يتوهم منفصلا عن الجسم والجسم باق فنقول: إن الجسم الأسود قبل السواد ونحن لم نر الجسم الأسود خاليا من السواد الذي فيه⁽²⁾ ويربط ذلك بالعامل والمعمول فيقول: قد أجمعتم على أن العامل قبل المعمول فيه كما أن الفاعل قبل فعله، وكما أن المحدث سابق لحديثه.....وهذه مغالطة ليس يشبه هذا الحدث والمحدث، ولا العلة والمعلول، وذلك أنا نقول: إن الفاعل في جسم فعلا ما من حركة وغيرها، سابق لفعله ذلك فيه لا الجسم فنقول إن الضارب قبل ضربه الذي أوقعه بالمضروب لا يجب من ذلك أن يكون سابقا للمضروب موجودا قبله بل يجب أن يكون سابقا لضربه الذي أوقعه به فكذلك مثال هذه الحروف العوامل في الأسماء والأفعال وإن لم تكن أجساما⁽³⁾.

أما حقيقة العامل فقد حددها النحاة الأولون الخليل وسيبويه، لكن النحاة المتأخرين من أمثال: ابن جني وابن الأنباري وابن مضاء يرون أن العامل ليس الأفعال، ولا المشتقات التي تعمل عملها، ولا الحروف وإنما المتكلم نفسه هو الذي يحدث الحركة الإعرابية المناسبة قال ابن جني في الخصائص: ومحصول الحديث، فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم

1 - مصطفى أحمد عبد العليم - أثر العقيدة وعلم الكلام في النحو العربي - ص: 68

2 - الزجاجي - الإيضاح في علل النحو، ص: 47

3 - الزجاجي - الإيضاح في علل النحو، ص: 68

البحث اللساني عند العرب

نفسه، لا لشيء غيره وإنما قالوا: لفظي ومعنوي لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامة اللفظ للفظ، أو باشمال المعنى على اللفظ. وهذا واضح⁽¹⁾.

هذا لا يعني أن ابن جني لم يتكلم عن العوامل التي حدده سيبويه بل تكلم عنها، وجعل العوامل لفظية ومعنوية، وإنما رأيه أن المتكلم هو الذي يحدث الحركة الإعرابية انطلاقاً من الإشارات والأمارات والدلالات التي تنبّه إلى الحركة الإعرابية الصحيحة، وهذا ما ذكره ابن الأنباري في الإنصاف فيقول: قلنا إن العامل هو التعري من العوامل اللفظية لأن العوامل في هذه الصناعة ليست مؤثرة حسية كالإحراق للنار والإغراق للماء والقطع لل سيف وإنما هي أمارات ودلالات وإذا كانت العوامل في محل الإجماع إنما هي أمارات ودلالات فالأمانة والدلالة تكون بعدم شيء كما تكون بوجود شيء ألا ترى أنه لو كان معك ثوبان وأردت أن تميز أحدهما في الآخر فصبغت أحدهما وتركت صبغ الآخر لكان ترك صبغ أحدهما في التمييز بمنزلة صبغ الآخر فكذلك هاهنا⁽²⁾ ونفسه ما يفسره ابن هشام في المغني في باب المخاطب قال: ولا بد للمتكلم على الاسم أن يذكر ما يقتضي وجه إعرابه كقولك: مبتدأ، خبر، فاعل، مضاف إليه⁽³⁾.

- موقف ابن مضاء القرطبي:

أما ابن مضاء الأندلسي فيجعل العامل صراحة المتكلم، فهو لم يبلغ مفهوم العوامل، كما توهم الكثير من النحاة المحدثين، خاصة تمام حسان الذي اتخذ حجة لتبرير ما ذهب إليه من تبديل وتغيير في قواعد نحوية أساسية. بل رفض أن تكون هذه العوامل اللفظية والمعنوية هي العوامل، فالتكلم وحده من يحدثها، وهذا يُحسب ضمن الاجتهاد داخل نظرية العامل لا خارجها، فكما جاز للنحاة أن يختلفوا في عامل المبتدأ والخبر فقال: الكوفيون العامل في المبتدأ

¹ - ابن جني - الخصائص - ج/1، ص: 37

² - ابن الأنباري - الإنصاف في مسائل الخلاف - ج/1، ص: 46

³ - ابن هشام - المغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج/1، ص: 253

البحث اللساني عند العرب

الخبر، والبصريون يرون أن العامل فيه هو الابتداء عامل معنوي، فابن مضاء اجتهد داخل النظرية ورأى أن العامل هو للمتكلم لا غير. فإذا كان النحاة قد حملوا أصول النحو على أصول الفقه، فإن ابن مضاء قد حمل أصول النحو على أصول الفقه عند الظاهرية⁽¹⁾. والموقف نفسه عند الرضي الاستربادي قال: قال ابن الحاجب: (والعامل ما به يتقوم المعنى المقتضى) إنما بين العامل، لاحتياج قوله قبل ويختلف آخره لاختلاف العامل، إلى بيانه، ويعني بالتقوم نحو من قيام العرض بالجوهر، فان معنى الفاعلية والمفعولية والإضافة: كون الكلمة عمدة أو فضلة أو مضافا إليها، وهي كالإعراض القائمة بالعمدة والفضلة والمضاف إليه، بسبب توسط العامل.

فالموجد كما ذكرنا لهذه المعاني هو المتكلم، والآلة: العامل، ومحملها: الاسم، وكذا الموجد لعلامات هذه المعاني هو المتكلم، لكن النحاة جعلوا الآلة كأنها هي الموجدة للمعاني وعلاماتها، كما تقدم، فلهذا سميت الآلات عوامل.

فالباء في قوله: (به يتقوم) للاستعانة، نظرا إلى أن المسمى عاملا في الحقيقة: آلة، والمقوم هو المتكلم، وليس الباء كما في قولك قام هذا العرض بهذا المحل، ولا شك أن في لفظ المصنف إيهاما، لان الظاهر في نحو: قام به: وتقوم به: هذا المعنى الأخير⁽²⁾

2- القياس:

عرفه النحاة بأنه تقدير الفرع على الأصل، أو حمل الفرع على الأصل بعلّة أو إلحاق الفرع بالأصل بجامع، أما عند علماء الأصول فهو بيان حكم غير منصوص على حكمه بإلحاقه بأمر معلوم حكمه بالنص في الكتاب أو السنة وهناك من يعرفه أيضا بأنه إلحاق أمر غير منصوص على حكمه

¹ - محمد سالم صالح - أصول النحو دراسة في فكر ابن الأنباري ص: 111

² - الرضي الاستربادي على الكافية، ج/1، ص: 54

البحث اللساني عند العرب

بأمر منصوص على حكمه للاشتراك بينهما في علة الحكم⁽¹⁾ أما أركان القياس فهي أربعة اتفق عليها النحاة والفقهاء وهي: المقيس والمقيس عليه والحكم والعلة.

أما القياس الأرسطي فهو الاستدلال الذي إذا سلمنا فيه بمقدمات معينة، لزم عنها بالضرورة شيء آخر غير تلك المقدمات وطريقة فهو الانتقال من العام إلى ما هو خاص فهو قضية عامة تستلزم قضية خاصة مثل:

كل إنسان فان - سقراط إنسان - سقراط فان -.

لقد كان الفقهاء أسبق في تطبيق القياس الأرسطي في تخريجاتهم ومثال ذلك: - كل مسكر حرام - الخمر مسكر - الخمر حرام - وتبعهم النحاة في مثل ذلك وطبقوه في دراستهم النحوية بأركانها الأربع:

عند علماء الأصول:

<u>كل مسكر حرام</u>	<u>الخمر مسكر</u>	<u>الخمر حرام</u>	<u>السكر</u>
الأصل	الفرع	الحكم	العلة

عند النحاة رفع نائب الفاعل قياساً على الفاعل:

<u>الفاعل</u>	<u>نائب الفاعل</u>	<u>الرفع</u>	<u>الإسناد</u>
الأصل	الفرع	الحكم	العلة

¹ - محمد عيد - أصول النحو العربي، ص: 75

البحث اللساني عند العرب

ومنه نستنتج أن القياس الأصيل كان يربط الفروع بأصولها بحكم واحد، إذ هو انتحاء سمت كلام العرب، وفق القوانين التي استنبطت من كلام العرب (المدونة) يقول الحاج صالح: هو تكافؤ إجرائي في المجرى أو البنية بين العناصر لأكثر من مجموعة⁽¹⁾ أما القياس الأرسطي فهو مقدمات تُوصَل إلى نتائج، أو كما يعرف باندراج شيء في شيء، يندرج فيه الحد الأوسط في الحد الأول وتندرج فيه النتيجة⁽²⁾.

3- العلة:

ظهرت العلة بمعناها الدقيق مع الخليل، وكان يرى: إنَّ العرب نطقت عن سجيّتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقامت في عقولها علله، وإن لم يُنقل ذلك عنها واعتلت أنا بما عندي أنّه علة لما علّته منه، فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمس وإن تكن هناك علة غير ما ذكرت فالذي ذكرته محتمل أن يكون علة له ومثلي في ذلك مثل الحكيم دخل دارا محكمة البناء، عجبية النظم والأقسام، وقد صحت عنده حكمة بانيتها بانخير الصادق، والبراهين الواضحة فكلمها وقف هذا الرجل الداخل الدار على شيء منها.

قال: إنّما فعل هذا هكذا لعلّة هي كذا لعلّة سنحت له وخطرت فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلّة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة. إلا أنّ ما ذكره الرجل محتمل أن يكون علة: ثمّ قال: فإن صحّت لغيري علة لما علّته من النحو هي أليق بما ذكرته لمعلول فليأت بها⁽³⁾ وتبعه في قضايا العلة تلميذه سيبويه وابن جني الذي

¹ - عبد الرحمن الحاج صالح - النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية - ص: 6

² - عبد الرحمن الحاج صالح - النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية - ص: 6

³ - التواتي بن التواتي - محاضرات في أصول النحو، ص: 333

البحث اللساني عند العرب

خاض في العلة وعلّة العلة فن العلة قوله: رفع الفاعل. قال: فإذا سئلنا عن علّة رفعه قلنا: ارتفع بفعله، فإذا قيل: ولم صار الفاعل مرفوعاً؟ فهذا سؤال عن علّة العلة.⁽¹⁾

والعلّة تجمع بين طرفي القياس (المقيس، والمقيس عليه) ، والمتأخرون من النحاة خاضوا في العلل بنفس المنهج الذي ساروا عليه في القياس، فقد تأثروا بالفلسفة الإسلامية والمنطق الأرسطي بعد ذلك فكثرت تعليلاتهم مثلما كثرت أقيستهم، وجدلهم النحوي، وهذا كله لا علاقة له بالتقيد والتنظير التحليلي الذي كان مبنياً على منهج علمي رياضياً وإنما هو جدل فلسفي أفسد المنهج الأصيل، وما يُتهم به البحث اللغوي عند النحاة الأولين التحليل وسيبويه، إنما هو بسبب أخطاء المتأخرين من النحاة.

علّ المتأخرون الكثير من القضايا، بل ألفوا كتباً قائمة (الإيضاح في علل النحو) في العلل لأبي القاسم الزجاجي... مما جعلهم يختلفون في العلة ذاتها فهي أشبه بالعلل العقلية أم شرعية أم الكلامية أم الفقهية؟ وناقش ابن جني المسألة، وقارن بين العلل النحوية والعلل الكلامية والفقهية فقال: اعلم أن علل النحويين وأعني بذلك حذاقهم المتقنين، لا ألفافهم المستضعفين أقرب إلى علل المتكلمين، منها إلى علل المتفقيين⁽²⁾ والفارق كبير بينهما وقد أدرك ذلك بقوله: واعلم أنا مع ما شرحنا وعيننا به فأوضحناه من ترجيح علل النحو على علل الفقه، وإلحاقها بعلل الكلام - لا ندعي أنها تبلغ قدر علل المتكلمين، ولا عليها براهين المهندسين، غير أنا نقول: إن علل النحويين على ضربين: أحدهما واجب لا بد منه، لأن النفس لا تطيق في معناه غيره. والآخر ما يمكن تحمله، إلا أنه على تجشم واستكراه له⁽³⁾.

¹ - ابن جني - الخصاص - ص: 56

² - ابن جني - الخصاص - 48/1

³ المصدر نفسه - 144/1

الفصل الثالث: مناهج البحث اللغوي في العصر الحديث

- التراثيون السلبيون - المستغربون السلبيون - التراثيون المجددون

قبل الشروع في تحليل وتفصيل هذه العناصر أود أن أشير إلى أن هناك أفكارا وآراء، لم أتعرض إليها لقلّة شأنها، مثل آراء أنيس فريجة الذي اعتبر الفصاحة نوع من البداوة، وأيضا صاحب كتاب إحياء النحو إبراهيم مصطفى والعراقي عبد الستار الجوّاري وتلميذهما مهدي مخزومي، لأن آراء هؤلاء جميعا في دعواهم إلى تيسير النحو هي دعوة متسرّعة، لا تُلزم أحدا، ما دام أنها انطباعية وتقطع كل صلة بالتراث العربي كما قال الدكتور سعيد الأفغاني: أن في تعديل المصطلحات التي نادى بها هؤلاء الميسرون كثيرا من دواعي الفوضى والخلل في القواعد النحوية وقطع الصلة بالتراث، هذا إلى جانب إهدار بعض اللغة⁽¹⁾ أما نهاد الموسى فيرى أن اختصار النحو في تحرير النحو وحتى في التيسير الذي أقره مجمع اللغة العربية قام على تقديرات انطباعية⁽²⁾.

ومن هنا فقد ركزت على تمام حسان باعتباره أكثر الباحثين اهتماما باللغة العربية، وأنه حاول خدمتها وإن لم يصب فله الأجر الواحد، ولم أذكر بالنسبة للسانين المستغربين أحدا ولا أضمر أحدا، وإنما هي ظاهرة عامة أشرت إليها وكفى.

ركزت على النظرية الخليلية باعتبارها نظرية موازية لنظرية تشومسكي اللغوية من حيث العالمية، ومكانة الرجلين في المحافل الدولية سواء على مستوى المجمع اللغوية والأكاديميات العلمية.

¹ - سعيد الأفغاني - من حاضر اللغة العربية - ص: 205

² - نهاد الموسى - مقدمة في علم تعليم اللغة العربية - ص: 33

البحث اللساني عند العرب

- مدرسة إحياء التراث:

مثلا كان محمود سامي البارودي رائد مدرسة إحياء الشعر العربي الذي شهد انحطاطا وضعفا، فأعاد ربطه بجسور روائع الشعر العباسي والجاهلي، وسمي حينها بالشاعر المقلد، فإن البحث اللغوي أيضا شهد إحياء من خلال الرجوع إلى التراث والاهتمام بما تركه علماءنا من مخطوطات علمية، وتبعها سواء في المكتبات العربية أو المكتبات في تركيا وأوروبا، وساعد ظهور الطباعة كثيرا في نجاح هذه الخطوة نحو التألق.

والحقيقة أن إحياء التراث كان متوافقا مع الحركة القومية التحررية التي عظمت في تلك الفترة بوعي سياسي كبير فكانت عنصرا جوهريا منها والهدف كما يرى الدكتور عبد المجيد دياب في كتابه تحقيق التراث: وفي كل مجال كلن الاهتمام البالغ باستقراء ماضي تاريخنا، لا قصدا إلى الرجوع إليه والوقوف عنده، وإنما كان القصد إلى الانطلاق بالأمة من حيث انتهت..⁽¹⁾

وهنا يمكن أن نتحدث باختصار شديد عن مقومات الإحياء التي تمثلت في عنصرين أساسيين هما: ظهور الطباعة، التحقيق العلمي.

1- ظهور الطباعة في العالم العربي:

أول ما عرفت الطباعة في العالم الإسلامي في تركيا، وعمدت هذه المطبعة إلى طبع الكتب الدينية واللغوية والتاريخية وغيرها. ولنجاح الأمر دفع بتعدد المطابع فظهرت مطبعة الجوائب لأحمد فارس الشدياق. ثم تلت مطبعة سوريا ولبنان مطبعة دير قزحيا 1019هـ-1610م وكانت سرمانية عربية واهتمت بالكتب الدينية خاصة ومطبعة الشوير التي أسسها عبد الله زانخر 1140هـ-1733م والروم الأرثوذكس مطبعة القديس جارجيوس في بيروت سنة 1167هـ-

¹ - عبد الحميد دياب - تحقيق التراث العربي منهجه تطوره - ص: 108

البحث اللساني عند العرب

1753م⁽¹⁾. أما في مصر فإن أقدم مطبعة ظهرت فيها هي مطبعة الحملة الفرنسية والتي سميت بالمطبعة الأهلية ومن أبرز أعمالها طبع كتاب في الهجاء باللغات العربية والتركية والفارسية، ثم في سنة 1821م نقلت إلى بلاق فعرفت بمطبعة بولاق، وكان محرروها من الأزهرين الذين دربوا لذلك تدريبا خاصا استغرق نحو ست سنوات.⁽²⁾

وتعتبر هذه المطبعة أكثر المطابع في نشر الثقافة العربية، ثم تعددت دور الطباعة، وانتشرت في الوطن العربي والإسلامي.

2- تحقيق التراث:

وهذا كان من أخطر الأعمال وأجلها لأنه تضمن جوهر الهدف، ويعتبر أحمد زكي أول من سعى إلى ضرورة جمع التراث المبعثر في الشرق والغرب، بمكوناته ونفائسه المحجوبة عن طلاب العلم ولذلك عمد إلى وضع خطة مشروع كبير تكفل بجمع التراث وحمايته وتحقيقه والاستفادة منه. وقد نجح في طبع موسوعتين هما:

- نهاية الأرب للنويري.

- مسلك الأبصار لابن الفضل العمري.⁽³⁾

وكان الرجل يركز على التدقيق العلمي والمحافظة على المخطوطات والتشجيع على الفهرسة والتأكد من منها، وقد أثار في مؤتمر المستشرقين في أثينا سنة 1919 مسألة هامة في تحقيق التراث وهي أمانة النقل عن السلاف وهل يجوز لطابع كتبهم القديمة أن يتصرف في نقله

¹ - عبد الحميد دياب - تحقيق التراث العربي منهجه تطوره - ص: 132

² - المرجع نفسه - ص: 135

³ - المرجع نفسه - ص: 118

البحث اللساني عند العرب

بالحذف والإصلاح والتهديب، أو يبقى الأصل كما ورد. واستقر الرأي على ضرورة بقاء كتب التراث على حالها الأصلي⁽¹⁾ وهو أول من أشاع إدخال علامات الترقيم الحديثة في المطبوعات العربية يقول: رأينا تقدم العصر في الكتابة، والفكر يوجب إتخاف أبناء أمتنا العربية بالإرشادات المستعملة في أغلب اللغات الأوروبية لإرشاد القارئ على مواقع الوقوف القليل والمستطيل، ومواقع التعجب والحيرة والاستفهام ونحو ذلك خير مرشد في حسن التلاوة وعدم خلط الجمل مع بعضها كما هو حاصل في أغلب المطبوعات العربية⁽²⁾.

وتركب عملية التحقيق العلمي على نقاط أساسية:

أ- هل نسبة النص إلى مؤلفه صحيحة؟ وإذا لم تكن صحيحة فهل النص منسوب خطأ إلى غير صاحبه، أو أنه نص منتحل بأكمله؟

ب- هل النص نقي كامل خال من التغيير أو التشويه أو النقص أو الزيادة؟

ج- تحقيق عنوان الكتاب.

د- تحقيق اسم المؤلف.

هـ- تحقيق متن الكتاب حتى يظهر بقدر الإمكان مقاربا لنص مؤلفه.⁽³⁾

والمحقق وجب عليه أن يكونا متمكنا مما يحققه، فمن كان يحقق كتابا في اللغة وجب عليه أن مقتدرا في النحو والصرف وفقه اللغة وعلم الخط كالرقعة والكوفي والفارسي والمغربي والأندلسي والسوداني والغيار..... وهكذا ومع هذا الجهد الجهد والعمل الجبار الفريد فقد شهدت بعض

¹ - عبد الحميد دياب - تحقيق التراث العربي منهجه تطوره - ص: 123

² - المرجع نفسه - ص: 125

³ - المرجع نفسه - ص: 153

البحث اللساني عند العرب

الهفوات سواء في نسبة بعض الكتب لغير أصحابها يقول الدكتور رمضان عبد التواب: وقد فحصت هذه المجموعة فوجدت أنها تضم أربعة كتب هي:

1- درة الغواص للحريري البصري.

2- تكملة درة الغواص للجواليقي.

3- تقويم اللسان لابن الجزري.⁽¹⁾

وفي سنة 1900م تكونت هيئة علمية برئاسة الشيخ محمد عبده لإحياء الكتب القديمة فأخرجت كتابي عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، ونشرت كتاب المخصص لابن سيده في سبعة عشر مجلدا وقد قام بتصحيح هذه الكتب والتعليق عليها الإمام الشنقيطي، ونظر فيها الشيخ محمد عبده وقد شارك الشيخ محمد عبد والشنقيطي في كثير من التحقيقات ومنذ ذلك الوقت دأبت دور النشر على إحياء الكتب القديمة.⁽²⁾

1- التيار التراثي التقليدي:

هذه مجرد لمحة تبين الانتفاضة التاريخية العلمية التي كان لها دوران أحدهما سلبيا والآخر

إيجابيا!!

أ- الدور الايجابي:

أما الإيجابي فهو إحياء التراث، باعتباره انطلاقة ضرورية نحو مشوار كبير وطويل، لفهم الحقائق العلمية التي توصل إليها علماءنا فهما عميقا كما تصوّروه، والوقوف على الحقائق كم أثبتوها،

¹ - عبد الحميد دياب - تحقيق التراث العربي منهجه تطوره - ص: 161

² - المرجع نفسه - ص: 111

البحث اللساني عند العرب

بنية الاستمرار وإضافة جديد، مع الاستفادة من كل معين يتماشى ويتلاقى مع جوهر هذه الأبحاث العلمية.

ب- الدور السليبي:

أما السليبي ويجب فهم المقصود من ذلك، إذ بعد الانتفاضة العلمية التي أعادت التراث الزاخر بطبعه وتحقيقه في شتى العلوم والفنون، ثبتت بعض المراكز العلمية والهيئات مثل الأزهر والزيوتونة وغيرها من المعاهد العلمية دورها وحصرته في التراث حتى في جانب التكوين، إذ شجعت طلاب العلم على استلهاه واستظهاره فحسب، فكان طلبة العلم يستظهرون شتى المتون كألفية ابن مالك، وملحة الإعراب الحريري البصري، ومنظومة ابن الجزري في علم الأصوات، ومنظومة الإمام الشاطبي.. وغيرها بل هناك من كان يستظهر كتباً بأكملها كالكشاف والمحصول والبيان والتبيين.. واعتبرت التفوق العلمي يقف عند الحد، فتنافس المتنافسون وبلغوا من الحفظ ما بلغوا!!.

وهذا التيار يجزع ويخاف من الثقافات الوافدة خاصة الأوروبية الحديثة منها ويعدها ثقافة دخيلة تستهدف القضاء على شخصيته وهويته الحضارية، فهو كما يقول الدكتور حلبي خليل: يلوذ بالتراث العربي الخالص، يحتمي به من شر هذا الغزو الفكري ولا يرضى بغيره بديلاً حتى أن الكاتب منهم يكتب ويفكر كأننا ما زلنا نعيش في القرن الثاني أو الثالث بعد الهجرة⁽¹⁾، ويزداد الواقع خطورة إذا يحمي تراثاً مشوهاً بشروحات خاطئة، ومفاهيم فاسدة، ومصطلحات فارغة من محتواها الأصلي، فهي بحاجة إلى مراجعة دقيقة وتحقيق علمي كبير.

يقول الدكتور الحاج صالح: وقد انتهت إلى ذلك وأنا طالب علم ولا سيما تلك الفوارق القائمة بين النحاة الأولين وبين المتأخرين منهم وهي عميقة على الرغم من اتحاد المصطلحات في الغالب، فالمنحى ووجهة النظر ومناهج التحليل كل هذا تغير تغيراً عميقاً، فالنظرة صارت تعليمية

¹ - جون ليونر - نظرية تشومسكي اللغوية - ترجمة حلبي خليل، مقدمة المترجم ص: 7

البحث اللساني عند العرب

غالبًا، وأما ما أتوا به من تفاسير فكانت إما منقولة من القدماء ومشوهة غالبًا وإما جدالية وسكولاستكية أو غير دقيقة⁽¹⁾.

وهنا يجب أن نعترف أن شحن أذهان طلاب العلم بمعارف لا حد لها دون دراية ومعرفة معانيها ولمقاصدها لا يخدم البحث العلمي ولا يطوره أبدًا، ولا يمكن أن نسمي من كان يحفظ التراث بالباحث المتمكن حتى ولو حفظه في شتى علومه وفنونه، لأن هذا لا يقدم وللأسف يؤخر.

من الجيد أن نقف على التراث، ونحلله علمياً، ونفهمه جيداً، بهدف تطويره وإضافة بناءات جديدة عليه تمكن من الاستمرارية العلمية، بمنهج وآليات حديثة لا أعتقد أنها ستخذلنا باكتشاف جديد. وقد حصل ذلك بالفعل.

2- التيار الحدائثي المجدد:

ويمكن تقسيمه إلى اتجاهين مختلفين:

- الأول: فهو متطلع إلى الثقافة الوافدة، ينهل منها ما استطاع نهله من النظريات المتتالية، دون قيد أو مراجعة أو تقييد، وهذا النوع من التيار معادي تماماً للتراث، وينظر إليه على أنه نوع من التخلف والبداعة، ووقع سخطهم على ظاهرة الإعراب واعتبروها مصدر إزعاج، يقف عائقاً أمام المتكلمين يقول أنيس فريجة: الإعراب لا يتلاءم مع الحضارة، وأن تركه دلالة على مواكبة تطور الحياة⁽²⁾ بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك إذ يعتقد أن العربية في وضع ازدواجي مع اللهجات، وأنها ذات قواعد معقدة، وعليه فإنها ليست جدية لأن تكون لغة العلم، وأن السبيل

¹ - الحاج صالح - النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية - ص: 7

² - أنيس فريجة - نحو عربية ميسرة - ص: 124

البحث اللساني عند العرب

للتخلص من هذا الواقع أن يستبدل بها لهجة عامية دون إعراب⁽¹⁾ وبين هذا وذاك حصر المجددون وظيفتهم في تقديم اللسانيات الأوروبية بلسان عربي فحسب، بما يشبه الترجمة، وأهملوا الآراء العلمية الصائبة والمهمة للكثير من العلماء العرب.

يقول الدكتور عبده الراجحي في كتابه فقه اللغة والكتب العربية وهو باحث قدير في مجال اللغويات بشتى مجالاتها: إننا نعلم الناشئة اللسانيات الأوروبية بلسان عربي فحسب، وفي ذلك ظلم كبير لهم⁽²⁾. وهذا رأي صريح صحيح لا يحتاج إلى برهنة، فما يتلقاه الطلبة اليوم من دروس اللسانيات الأوروبية الممثلة في الجانب التاريخي المقارن، ثم البيئوية الممثلة في دي سوسور ومجموع الثنائيات (الذال والمدلول) (التزامنية والزمانية) (الاستبدال والتركيب) ... ثم يعرج الطلبة على أهم المدارس الوظيفية فالتوزيعية (الاستغرافية)⁽³⁾ فنظرية تشومسكي اللغوية التحويل والتوليد... ونحشو أذهانهم بكم هائل من المصطلحات العلمية، ويزداد عمق الفجوة حين يختلف المدرسون فيها فهذا يصطلح على كذا وذاك على كذا!! وأبسط مثال: التداولية البرغماتية ونجد النفعية وهكذا... وكل واحد مخير، وعليه أن يختار والاختلاف رحمة!!!

وعليه غدا مقياس علم اللسان شبها يخيف الجميع، ولا أعتقد أن هناك من استطاع أن يقترب من هذه المفاهيم العميقة، ويستفيد منها. وأحيانا حتى مدرسي هذه النظريات اللسانية الأوروبية، يجدون أنفسهم بعيدين كل البعد عن حقيقتها، ليس لأنهم قاصرون، بل عرض هذه النظريات باللغة العربية أصبح يشكل عائقا كبيرا أمامهم، فيما يتعلق بالترجمة، ونأخذ مثال عن ذلك ترجمة كتاب محاضرات في اللسانيات العامة لفرد ينان دي سوسور، فهناك مجموعة من الترجمات في طبعات مختلفة: سورية، مغربية، جزائرية (عن دار الشهاب) ويلاحظ الفوارق

¹ - أنيس فريجة - نحو عربية ميسرة - ص: 124

² - عبده الراجحي - فقه اللغة في الكتب العربية ص: 35

³ - يسميها الحاج صالح بالاستغرافية، وينفي مطلقا التوزيع لانعدامه في التحليل

البحث اللساني عند العرب

الرهيبة في المضمون مما يجعل الوصول إلى حقيقة ما قصده الرجل أمرا صعبا، وبالتالي تصل الأفكار إلى الطلبة مشوّهة، والترجمة علم.

يقول الدكتور بريهمات عيسى في مقال له: الترجمة نشاط معقد متعدد المشارب، بل قراءة عميقة خصبة لنص أجنبي ينسل نصا أو نسخة أخرى بلغة مختلفة هي اللغة المستقبلية هذا النص نسل غريب معروف الخصائص لأنه مولود تحت رقابة النص الأجنبي الذي لا ينفك من ميسه وملاحمه فهو لا يطابقه كل المطابقة ولا يختلف عنه كل الاختلاف وبهذا يبقى نصا إشكاليا لا يشبه النص الأصلي بصورة كاملة ولا يتمتع بالظروف التي يتخلق فيها النص الأصلي الذي يكتب بطريقة مباشرة بدون وصاية وسلطة النص الأصلي⁽¹⁾ وهناك مثال رائد يعتقد الكثير من الباحثين أن تعريف علم اللسان هو دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها، وهذا مفهوم واسع الانتشار ومنسوب لدي سوسور، مع أن دي سوسور لم يثبت علميا أنه ذكر ذلك، وإنما هي ترجمة خاطئة، ومن الباحثين الأوروبيين أنفسهم من ينكر ذلك مثل Simon Bouquet⁽²⁾ يقول:

Qu'apportent aujourd'hui les manuscrits saussuriens—cet héritage retardé—a la réflexion en sciences du langage et plus généralement en sciences humaines ?IL confirment que,sur des points essentiels, le Cours de linguistique générale distord,occulte,voire contredit la pensée de Saussure. Ce qui relève d'une distorsion concerne des concepts-cles comme (arbitraire du signe) et (valeur linguistique) ,quasiment incompréhensibles si l'on s'en

¹ - بريهمات عيسى - الترجمة والتأويل - مجلة المترجم، جامعة وهران ص: 89 العدد 01 جوان 2001

² - Simon Bouquet sommaire: Ferdinand desaussure fondateur de la linguistique moderne

البحث اللساني عند العرب

tient au texte de Bally et Sechehaye⁷. Or ces concepts sont fondamentaux dans la réflexion épistémologique sur les sciences du langage. Ce qui relève d'un contresens est plus grave, car c'est la définition même de la discipline qui est en cause. On a cru, à la suite de la dernière phrase, parfaitement apocryphe, du Cours que Saussure voyait la linguistique comme (la sciences du langage envisagée en elle-même et pour elle-même) autrement dit comme une grammaire désincarnée (ou implémentée tout comme) -alors que c'est exactement le contraire: tout le côté social et intersubjectif⁵ c'est-à-dire le champ du (discours) terme essentiel pour Saussure et censuré par ses soi-disant éditeurs) est, selon lui, indissociable d'une (linguistique de le langage

وهو مقال مشهور يمكن الاطلاع عليه والاستفادة منه. وهناك أيضا باحثون آخرون يقفون نفس الموقف من الخلط والتشويه الذي لحق مفاهيم سوسور

أمر آخر وهو طبيعة الاختلاف الجوهرية بين العربية واللغات الأخرى الفرنسية والانجليزية، من جهة التمثيل ولا أعني المقارنة، لأن المقارنة ممكنة بين جميع اللغات، أما التمثيل فلا يمكن أن أُوصل معلومات، أو أبسط مفاهيم نظرية ما، كالنظرية الوظيفية عند مارتني مثلا: باستخدام أمثلة من العربية، فحين تحدث مارتني عن مفهوم التقديم والتأخير وتغيير المعنى:

التركيب: pou l bat john (الضارب بول، والمضروب جون)

john bat pou l (الضارب جون، والمضروب بول)

البحث اللساني عند العرب

مقابلها في العربية لا يتغير:

- 1- ضربَ زيدُ خالدَ (الضارب عمر، والمضروب خالد)
- 2- ضربَ خالدَ عمرُ (الضارب عمر، والمضروب خالد)
- 3- عمرُ ضربَ خالدَ (الضارب عمر، والمضروب خالد)
- 4- عمرُ خالدَ ضربَ (الضارب عمر، والمضروب خالد)

لأن العربية قائمة على الإعراب، والإعراب هو خاصية انفردت بها اللغات السامية. يقول المستشرق يوهان فوك fuck: احتفظت العربية الفصحى في ظاهرة التصرف الإعرابي، بسمة من أقدم السمات اللغوية، التي افتقدتها جميع اللغات السامية باستثناء البابلية القديمة قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي.⁽¹⁾

فتقديم هذه المفاهيم بأمثلة من اللغة نفسها أحسن إن كان الطلبة يحسنونها وأشك في ذلك!! ولقد حدث هذا مع اللغة الإنجليزية حين رفض بعض الدارسين لها، وطبقوا عليها مفاهيم لاتينية مما دعا دايفيد كريستل David Crytal إلى عدم اتخاذ اللاتينية نموذجا للإنجليزية، لأن هذه ليست تلك إذ طرق الصياغة النحوية في اللغة الإنجليزية تعمل بصورة مختلفة عن صياغة في النحو اللاتيني. قال: اللغة الانجليزية يجب أن توصف من خلال المصطلحات الخاصة بها، وليس بالنظر إليها من خلال اللغة اللاتينية، لأن اللغة الانجليزية لغة معقدة بما فيه الكفاية فلا داعي لإحكام التعقيدات التي في اللاتينية فيها، وهذا لا يعني إنكار وجود جوانب أصيلة من التشابه بين

¹ - يوهان فوك - دراسات في اللغة واللهجات - تر، جمعة رمضان عبد التواب

البحث اللساني عند العرب

اللغتين، ولكن مثل هذا يجب أن نعتبره دائماً من قبيل الفروض التي تحتاج إلى تحقيق دقيق وتلك واحدة من المهام التي يقوم بها عالم اللسان المنظر لا معلم اللسان⁽¹⁾

وهناك أمر آخر وهو طبيعة الاختلاف الجوهري بين العربية واللغات الأخرى الفرنسية والانجليزية، من جهة التمثيل ولا أعني المقارنة، لأن المقارنة ممكنة بين جميع اللغات، أما التمثيل فلا يمكن أن أوصل معلومات عن نظرية فرنسية كالوظيفية عند مارتني باستخدام أمثلة من العربية، فحين أتحدث عن مارتني ومفهوم التقديم والتأخير وتغير المعنى *poul bat john* مقابلها في العربية لا يتغير، لأن العربية قائمة على الإعراب، والإعراب هم خاصية انفردت بها اللغات السامية، فتقديم هذه المفاهيم بأمثلة من اللغة نفسها أحسن إن كان الطلبة يحسنوها وأشك في ذلك!!

من جهة أخرى، وهذا فظيع جدا لا يمكن قبوله مهما كانت الدوافع والأسباب، وهو تطبيق منهج لساني تحليلي غربي على آيات قرآنية! كأن تُقدم الآية الكريمة ويطلب تطبيق مفهوم التقطيع المزدوج لمارتني أو تينر أو غيرهما وهذا مستحيل ومرفوض نهائياً، ويمكن مناقشة القضية بشكل واسع وإثبات فساد هذا الأمر. لأن القرآن الكريم قائم على نظام صوتي إلهي مأخوذ عن النبي-صلى الله عليه وسلم- بالسمع والتواتر إلى حد الساعة، وقائم على إعجاز بياني وعلوي، لا يدركهما إلا الراستخون في العلم، وأهم ما يميز الاختلاف الصوتي في القرآن الكريم.

- الحروف المقطعة:

انظر ماذا قالوا في الحروف المقطعة: قال ابن عباس: هو قَسَمٌ وقيل: هو اسم للسورة، وقيل هو اسم من أسماء القرآن. وقال القرطبي: هو مفتاح اسمه (القدير) و(القادر) و(القاهر) و(القريب) و(القابض).

¹ - دافيد كرسبستل - التعريف بعلم اللغة - ترجمة حلمي خليل، ص: 49/47

البحث اللساني عند العرب

وجه آخر قال: أن المراد بها: رجل ولم يعهد هذا النداء في الكتاب الكريم، ولذلك رجع أبو حيان في البحر المحيط: (6 / 224) أن (طه) من الحروف المقطعة نحو (يس) و(الر) وما أشبهها.

وقال الشيخ الشنقيطي: وأظهر الأقوال فيه عن الحروف المقطعة في أوائل السور، ويدل ذلك أن الطاء والهاء المذكورتين في فاتحة هذه السورة جاءتا في مواضع أخر لا نزاع فيها في أنهما من الحروف المقطعة. أما الطاء ففي فاتحة الشعراء (طسم) وفاتحة النمل (طس) وفاتحة القصص، وأما الهاء ففي فاتحة مريم في قوله تعالى: (كهيعص) وخير ما يفسر به القرآن القرآن⁽¹⁾.

أما الإمام الطبري فيرى أن أهل العلم والفضل اختلفوا قال: اختلف أهل التأويل في قوله: (ق) قال بعضهم: هو اسم من أسماء الله تعالى أقسم به وقالوا آخرون: (ق) اسم الجبل المحيط بالأرض⁽²⁾.

أما الإمام القرطبي قال: قال ابن مسعود أنهم قالوا: الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر وقال أبو حاتم: لم نجد الحروف المقطعة في القرآن إلا في أوائل السور، ولا ندرى ما أراد الله - عز وجل - بها.

ووجه آخر: أن الحروف المقطعة في القرآن اسم الله الأعظم، إلا أننا لا نعرف تأليفه منها!⁽³⁾.

¹ - تفسير البغوي 352/7

² - تفسير الطبري 325/22

³ - تفسير القرطبي 164/1

البحث اللساني عند العرب

- التطويح:

وهو من الظواهر التي لا تظهر في مدرج الكلام، ولها وجود مادي صوتين ويسميا علماء الأصوات ظواهر ما فوق التقطيع، أشار إليها علماء اللغة والقراءات، وهو يعنون بذلك النبر والتنغيم.

- الإدغام:

وهو جعل النون الساكنة مع الحرف الذي يليها كحرف واحد في النطق إذا وقعت قبل يرملون مثل قوله تعالى: (ومنَّ يعمل)، (يهدي من يشاء) وهكذا.

وهناك الإقلاب والإخفاء والإظهار.....

لا يجوز التعامل مع النص الإلهي إلا بمنهج خاص يعتد فيه صاحبه بمدارك هي:

- 1- معرفة تامة بالعربية (اللهجات العربية، علم النحو، علم البلاغة)
- 2- معرفة بأسباب التنزيل، وتعني حالات ومناسبا نزول الآي.
- 3- معرفة النسخ والمنسوخ وهذا أمر ضروري، قال الإمام علي - كرم الله وجهه - (من أفتى بغير علم بالناسخ والمنسوخ فقد ضلّ وأضل)
- 4- التبحر في علم القراءات صحيحها وشاذها.

وبالباحثون أحرار فيما يذهبون إليه من مناهج، وما يعتقدونه من أفكار هذا شأنهم، لكن في المشترك بين الناس جميعا ينبغي الاحتراز والتشدد، والقرآن الكريم بقداسته لا يجوز أن يعامل بمثل ذلك. فليأخذوا من العربية أو العامية....)

البحث اللساني عند العرب

نحن لسنا ضد النظريات العلمية الغربية، وإنما يُطلب الاستفادة منها حين الضرورة، وترك الأمر عند فئة الباحثين المقتدرين الذين تتوفر فيهم شروط معينة كإتقان اللغات، والقدرة على انتقاء الجيد والنافع وترك الغث السمين. وهنا يرجى عدم إشراك من تعوزهم المقدرة اللغوية في فهم المقاصد العلمية، وبالتالي يزول خطر التشويه والتغليب، وقد رأينا ما أحدثته الترجمات الخاطئة من آثار سلبية يصعب معالجتها، لأن الاعوجاج إذا أصاب أي ميدان آخر اقتصاد أو سياسة يمكن استدراكه ومعالجته وتصحيحه، أما إذا نشأت أجيال متعاقبة على أخطاء وترهات فإنه يستحيل معالجة علّتها.

- العربية والمناهج الغربية:

وهي تمثل فئة من الذين اطلعوا على اللسانيات الغربية وفهموها جيدا لكنهم لم يخدموا لغتهم بمنطلق الترقية والتطوير، وإنما بهدف التجربة المحضة وانتظار النتائج مثل تجارب بافلوف وواطسون على الفئران وغيرها. لقد جلبوا مناهجا مختلفة، ورحوا يطبقونها على اللغة العربية تطبيقا عشوائيا دون مراعاة جوهر الاختلاف بين خصائص اللغات.

وأبرز من يمثل هذا التيار حسان تمام، وقبل الشروع في تفصيل القضية، أشير أن تمام حسان نفسه لم يكن مقتنعا بما يفعله قال: وكنت قد عبرت في تقديم الدراسة المذكورة عن أمل أن يتناولها المختصون بالنقد البناء حتى أعرف مدى صوابها وخطئها ولكن السنين مضت طويلة دون أن أظفر بدراسة نقدية لهذا العمل حتى كدت أفهم من سكوت النقاد عدم استحقاق الدراسة لعنياتهم، ففوّضت أمري إلى الله ورجوته أن يوفقني للإنتاج في عمل آخر. ثم بدأت بشائر النقد تظهر بعد السنين وتوالى القادحون والمادحون فرحبت بقراءة ما كتبه هؤلاء وأولئك من نقد موضوعي وتحملت التجريح النادر أيضا بصدر متسع وابتسامة واثقة.⁽¹⁾

¹ - تمام حسان - الخلاصة النحوية - ص: 8

البحث اللساني عند العرب

لكن الذي يُعرف أن نظرية القرائن التي يتحدث عنها تمام حسان وانتظر طويلا موقف النقاد بالقبول أو الرفض، لقيت الرفض المطلق في حينها، خاصة من الباحثين المغاربة وعلى رأسهم الدكتور الحاج صالح، ولكن المشاركة لا يعيرون المغاربة اهتماما، والذي كان ينتظرهم تمام حسان هم الباحثين من بني جلدته وهذه مشكلة أخرى تضاف إلى الرصيد! وقبل الحديث عن النظرية يتحتم علينا ولو إشارة إلى المدرسة السياقية لأن منهج تمام حسان اعتمد كليا عليها.

- النظرية السياقية:

إن هذه النظرية قد بنيت على أسس اكتشفها العالم الانثروبولوجي⁽¹⁾ مالمينوفيسكي وتدعو إلى دراسة الكلام الحي باعتبار أن اللغة ممارسة يقوم بها المتكلمون أي جماعة من الجماعات هي نوع من السلوك، وضرب من العمل فهي تؤدي وظائف كثيرة غير التوصيل⁽²⁾ ويرى هذا الباحث أن الجملة هي المادة الأساسية في اللغة، أما الكلمة فهي ثانوية فحسب فالجملة أكثر أهمية باعتبارها أداة اجتماعية، وعليه ينبغي دراسة اللغة باعتبارها طريقة عمل لا صورة مزية للتفكير⁽³⁾ ويعتبر فيرث من أبرز اللغويين السياقين من خلال تركيزه على الفنولوجيا دون القواعد، وتناول الأسلوب بوظائفه الدلالية للكلمات والعبارات والجمل، في سياقات الموقف المختلفة وهناك معدلة بنى عليها وهي المعنى هو الوظيفة في السياق.

ومفهوم فيرث لسياق الحال بوصفه الوسيلة لتحديد المعنى والفنولوجيا بوصفها الصلة بين القواعد والصوتيات، يأخذ شكل الرسم التخطيطي التالي لعلم اللغة الوصفي:

1 - عبد العزيز محمد حسن - مدخل إلى علم اللغة - ص: 220

2 - محمد السعران - علم اللغة - ص: 251

3 - عبد العزيز محمد حسن - مدخل إلى علم اللغة - ص: 220

البحث اللساني عند العرب

	علم اللغة			الصوتيات
	↔	الشكل	↔	المادة
الحال	السياق	القواعد (نظام مغلق)	الفتنولوجيا	المادة الصوتية
خصائص غير لغوية		المعجم (نظام مفتوح)	الهجاء	المادة المكتوبة

والرسم يبين علم اللغة بوصفه علما منظما متسقا وقد تغير وتطور هذا المفهوم بشكل غير مدهش منذ عرضه الأول في عام 1961م⁽¹⁾. وموضوع علم اللغة بالخصوص هو اللغة في موقف كلامي فعلي لأن استخدام اللغة ما هو إلا شكل من أشكال الحياة الإنسانية، وهدف البحث في اللغة أن تحدد، أو توضح جوانب اللغة ذات الدلالة التي تمكن اللغوي وغير اللغوي من الاتصال بها، ومنهج الدراسة يقوم على أساس تحديد عناصر النشاط اللغوي، وبيان علاقته في سلسلة من المستويات المتكاملة، وتكشف عن العلاقات المتبادلة فيما بينها⁽²⁾.

- تلخيص أفكار السّياقين:

1- أن يحلل النص اللغوي على المستويات اللغوية المختلفة الصوتية، الفنولوجية، والمورفولوجية والنمطية والمعجمية.

¹ - روبينز - موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص: 350

² - عبد العزيز محمد حسن - مدخل إلى علم اللغة - ص: 322

البحث اللساني عند العرب

2- أن يبين نوع الوظيفة الكلامية تمن، استفهام تعجب....

3- الأثر الذي يذكره المتكلم

4- السياق الداخلي للحدث اللغوي

5- السياق الخارجي الاجتماعي⁽¹⁾

- تمام حسان ونظرية القرائن:

هذا عرض موجز لمفاهيم السياقية الأوروبية، والتي اعتمد عليها تمام حسان في عرض أفكاره التجديدية، والحقيقة أن نظريته أغلقت الباب أمام مجموعة من الفوضويين الذين دعوا إلى إلغاء النحو العربي جملة، باسم إحياء النحو، وباسم تجديده وتبسيطه، بل ذهب بهم الأمر إلى غاية الجهر بالدعوة إلى استبدال الفصاحة العربية بالعامية المصرية وبناء قواعد من خلالها. يرى أمين الخولي أن النحو العربي مضطرب.. لذلك استند إلى العامية المصرية في جمع المذكور السالم. وأعتقد أن هناك نزعة قوية لاعتماد العامية المصرية كمصدر تنظير، بل وكل عمل فني إذ نجد حتى الأعمال الفنية الأخرى كالقصة والرواية وغيرها مال فيها أصحابها إلى العامية المصرية كتيমور ويوسف إدريس وغيرهم، لإيمانهم أنها تمثل الفصاحة.

أما تمام حسان فكان متأثراً بدرجة كبيرة بفيرث وتلميذه هاليدي، وبالتالي حاول تطبيق منهج علمي وصفي وظيفي قائم على القرائن اللفظية والمعنوية.

أ- القرائن المعنوية:

قرينة التخصيص، قرينة الإسناد، قرينة النسبة، قرينة التبعية، قرينة المخالفة

¹ - حلبي خليل - الكلمة دراسة لغوية معجمية - ص: 162

البحث اللساني عند العرب

ب- القرائن اللفظية:

1- الربط: ويتم بالمطابقة في الشخص والعدد والنوع والتعيين كما يتم بغير المطابقة، ومن بين ضروبها الربط بالضمير نحو قولنا: _ قابلت الرجل الذي كلمتك عنه) وإعادة اللفظ نحو قوله تعالى: (واتقوا الله ويعلمكم الله) .

2- الرتبة: وهي من قرائن ربط المبنى بالمبنى وهي نوعان: محفوظة لا تعرف تقديما ولا تأخيرا كما في الصلة والموصول، والنعت والمنعوت، والمضاف والمضاف إليه والجار والمجرور والعطف والمعطوف عليه، وغير محفوظة: وتكون محكومة بقواعد التقديم والتأخير التي أرسى دعائمها النحاة والبلاغيون.

3- التضام: وهو يشمل التلازم والتنافي والتوارد:

أ- التلازم: العلاقة الثابتة على نسق معين بين المركبات كالعلاقة بين الصلة والموصول والنعت والمنعوت وهكذا.

ب- التنافي: هو أن ترفض كلمة التضام مع كلمة أخرى، ومن الأمثلة على ذلك أن الضمير لا يُضاف، كما أن حرف الجر لا يدخل الأفعال .

ج- التوارد: فيعني دخول الكلمة في التركيب محكومة بقيود معينة يحددها الاستعمال، ويزيد تمام حسان الأمر جلاء حين يذكر أن علاقات التوارد تشبه من وجه أو وجوه قيود التوارد أي قيود الانتقاء التي أشار إليها تشومسكي.

4- الأداة: وتعين بها الجملة في العربية، وكثيرة هي أنماط الجمل التي تتقدمها الأداة، كجملة النفي أو الاستفهام أو الأمر، فتكون الأداة قرينة لها.

البحث اللساني عند العرب

5- التنعيم: وتتمثل في النغمة التي يصدرها المتكلم (في الكلام المنطوق) مثل قيامها بوظيفة أداة الاستفهام (الهمزة) بعد حذفها من الكلام⁽¹⁾.

وعند تتبعنا وملاحظتنا لهذه المفاهيم، وهذا الزخم الهائل من المصطلحات العجيبة، يظن الباحث أنه قدّم جديداً أثرياً به البحث اللغوي عندنا، لكن عندما ننظر إلى الإجراء التطبيقي التالي يتغير حكمنا دون شك.

قام محمد ليصلي فيذكر أن (محمد) فاعل:

- بقرينة الإسناد (قرينة معنوية) .
- وقرينة البنية (لأنه اسم وليس فعلاً ولا حرفاً، وهذه القرينة لفظية) .
- وبقريئة العلامة الإعرابية (لأنه مرفوع، والقرينة لفظية) .
- وبقريئة التضام (لأن كل فعل يستلزم فاعلاً، والقرينة لفظية) .
- وبقريئة الرتبة (لأنه متأخر عن الفعل، والقرينة لفظية)⁽²⁾ .

هذه القرائن التي تمثل ظاهر النص في بيان المعاني الوظيفية دون اللجوء إلى التقدير، وهو ما يمثل روح المنهج الوصفي الوظيفي، وبهذا المبدأ حاول أن يهدم نظرية العامل التي هي عماد النظرية النحوية العربية. لكن عندما نتبع هذا التحليل بمجموع قرائنه نتساءل ما الجديد فيه غير المصطلحات والمثال: قام محمد ليصلي:

¹ - عطا محمد موسى - مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين - ص: 318/319

² - المرجع نفسه - ص: 319

البحث اللساني عند العرب

قال: فاعل ولا يختلف اثنان في ذلك، قال: مرفوع وهذا ثابت، قال: اسم وليس بفعل ولا حرف وما عهدنا في كلام العرب وقوانينها غير ذلك، قال: له فعله: والعرب تقول لكل فعل فاعل، قال: متأخر عن فعله والعرب تقول الفعل ثم الفاعل. فأين الجديد إذا؟.

ومن هنا نقول أن هناك دعوة إلى التغيير، وهي دعوة خطيرة في نتائجها التي لا يمكن الاعتقاد أنها ستتحصر في تغيير مجموعة من القوانين النحوية فحسب، بل سيمتد الأمر إلى قوانين شرعية متشعبة تخص مجال العبادات والعلاقات الشخصية، خاصة تلك التي وردت فيها نصوص ثابتة، ويستحيل المساس بها، ولا أعتقد أن هؤلاء القوم ينظرون إلى القضية بمثل هذا التصور والاعتقاد. فأني تغيير يحدث في الحكم النحوي إلا وتبعه تغيير في الحكم الشرعي، لأن هذا الأخير مبني على الأول، فالرعيل الأول من علماء أصول الفقه بنوا أحكامهم على النحو، ولا يوجد في علم التفسير من حاد عن النحو. ويمكن الرجوع إلى المثال الذي سبقت الإشارة إليه سابقا قال:

فأنت طلاق والطلاق عزيمة ثلاث ومن يخرق أعق وأظلم

فقال ماذا يلزمه إذا رفع الثلاث وإذا نصبها قال أبو يوسف: هذه مسألة نحوية فقهية، ولا آمن من الغلط فيها. فأني إلى الكسائي فسأله فأجاب عنها: إن رفع ثلاثا طلقت واحدة، لأنه قال أنت طلاق ثم أخبر أن الطلاق التام ثلاث وإن نصبها طلقت ثلاثا، لأن معناه أنت طالق ثلاثا.

فهذا أبو يوسف صاحب مذهب فقهي وله من المدارك العلمية في اللغة العربية، والشرعية، يستنجد في إصدار فتواه بالنحاة لأنه لا يأمن من الغلط فيها. فالقضية تتعلق بمصير حياة ومستقبل أسرة ارتبطت بعقد شرعي ولا يمكن أن تنفصم إلا به. أما تمام حسان وغيره فإنهم لا يبالون البتة بمثل هذه الأبعاد الخطيرة.

البحث اللساني عند العرب

تمام حسان باحث مجتهد يمتاز بالذكاء الحاد، والقدرة على البحث والصبر فيه، ولو استغل هذا في دراسة التراث العربي وفق رؤية جديدة، وتصور جديد، دون الخروج عن الأصول الثابتة لكان نعمة تضاف إلى البحث اللغوي عندنا. ولو أدرك أن نظرية العامل التي يسعى اللسانيون الغربيون إلى توظيفها، خاصة بعدما استفاد منها تشومسكي في أحدث نظرية عالمية اليوم، ونحن ندعو إلى إلغائها، بدعوى عفا عنها الزمن.

لقد كان الدكتور جعفر دك الباب-رحمه الله- أكثر قدرة وفطنة في توظيفه المنهج الوظيفي بحسب الحاجة دون التجرد الكلي من قوانين العربية الثابتة، خاصة في دلائل الإعجاز للجرجاني، فهو استفاد بحسب الحاجة لا الانسياق الكلي كما فعل تمام حسان، ودك الباب كان محافظاً إلى درجة كبيرة بالآراء النحوية سواء عند البصريين أو الكوفيين. قال: من لا يعرف النحو البصري والكوفي ليس له في العربية حظ⁽¹⁾، ويبدو أنه فهم العلاقة الناشئة أو التي يجب أن تنشأ بينهما، وأن الصراع القائم هو نتيجة الحداثة الفوضوية كما يسميها الدكتور مازن الوعر: الحداثة عندنا هي حداثة فوضوية، لأنها نشأت من فراغ، ولم تأخذ بالحسبان ما فعله العرب القدماء، وما فعلته التراثات العالمية الأخرى⁽²⁾. أضف إلى ذلك ليسأل الحداثيون أنفسهم مما انطلق دي سوسور في إبداعه اللساني؟ ألم يكن الرصيد الذي تركه السابقون من علماء القرن السادس عشر، بما فيها الحضارات السابقة، بما فيها الحضارة الإسلامية. يقول مازن الوعر: من هنا يأتي الصراع الحاد بين الماضويين والحداثيين، فالماضويين لا يتطلعون إلى الأمام ولا يريدون أن يطوروا علماً جديداً لمعطيات جديدة، والحداثيون لا يريدون أن يؤسسوا

¹ - جعفر دك الباب - محاضرة ألقاها بجامعة الجزائر سنة 1989م

² - مازن الوعر - اللسانيات والشعر - مجلة في علوم اللسان وتكنولوجياه، ص: 115

البحث اللساني عند العرب

نظريات حديثة مبنية على تراثات قديمة، وهكذا فإن خطيئة الأمة المعرفية لا تأتي من الحدائين فحسب وإنما تأتي من التراثين أيضا⁽¹⁾

ويبدو للوهلة الأولى أن المنهجين مختلفان متباعدان (التراثي والحدائي) يقول الدكتور زكي نجيب محمود: فمنهم من يقبل الغرب كله والتراث كله، ويحسب أن الجمع بينهما أمر ممكن، ومنهم من يقبل الغرب كله، وبعض التراث دون البعض، ومنهم من يقبل التراث كله وبعض الغرب دون البعض ومنهم من يجري تعديلا في التراث والغرب معا، ومنهم من يكاد يرفض الجانبين⁽²⁾ وبين هذين الطرفين قد نجد صنوفا شتى من الأمزجة ولكنهما في الحقيقة يمكن أن يحصل بينهما امتزاج كبير، هو نهاية ما تصبو إليه الدراسات اللسانية العربية، ومن خلاله تحل الكثير من المشكلات اللغوية، فما ينقصنا سوى فكر فلسفي ناخج يمكنه فهم النظرية اللغوية التراثية وهيكلتها، ولحد اليوم لا يُعرف باحث استطاع أن يفهم التراث كما فهمه النحاة الأولون يقول الباحث مازن الوعر في حوار أجراه وإياه الأستاذ وليد أحمد العناتي: الحقيقة ليس هناك حتى الآن فكر عربي فلسفي ناخج يستطيع أن يعيد هيكلية النظرية اللغوية العربية التراثية، ومن ثم يستطيع أن يضع النظرية اللسانية الغربية الحديثة في إطار عربي واضح ومفهوم للقارئ العربي، من أجل أن يمهد لفكر عربي فلسفي حديث ونيّر من أجل الخروج بنظرية لغوية حديثة تأخذ بالحسبان التراث اللغوي العربي وتأخذ بالنظرية اللسانية الحديثة وذلك لمعالجة المعطيات العربية المستجدة⁽³⁾.

(التراث اللغوي + النظرية الغربية = نظرية لغوية عالمية)⁽⁴⁾

¹ - المرجع نفسه، ص: 115

² - زكي نجيب محمود - تجديد الفكر العربي - ص: 288

³ - مازن الوعر - اللسانيات والشعر - مجلة في علوم اللسان وتكنولوجياه، ص: 120

⁴ - النظرية العالمية لنوام تشومسكي مثال عن ذلك، جمعت بين التراث بمنابعه المختلفة والمفاهيم الحدائية

البحث اللساني عند العرب

ومع التأكيد أن هناك محاولات رائدة نادرة قام كل من الدكتور سعد مصلوح والدكتور عبد الرحمن الحاج صالح يقول مازن الوعر: هناك بعض المحاولات القليلة والنادرة جدا في الوطن العربي تحاول منفردة أن تملأ هذه الفجوة العلمية وأذكر على سبيل المثال العالم الدكتور المصري سعد مصلوح والعالم الجزائري الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح⁽¹⁾ والواقع يجب تحقيق نظرية لسانية عربية حديثة انطلاقا من هذه الحقيقة، وهنا نتساءل عن المحاولة الفريدة لعبد الرحمان الحاج صالح، في ما يعرف بالنظرية الخليلية الحديثة.

- التراثيون المجددون:

وهنا نقف على النظرية الخليلية الحديثة من أبرز النظريات التي عرفها البحث اللساني العربي المعاصر تلك التي عُرِفَت بالنظرية الخليلية، ورائدها الدكتور العلامة عبد الرحمان الحاج صالح⁽²⁾، والتي نالت اعتراف جمهور الباحثين العرب التراثيين وغيرهم من الباحثين الأجانب،

¹ - مازن الوعر - اللسانيات والشعر - مجلة في علوم اللسان وتكنولوجياه، ص: 120.

² - عبد الرحمن الحاج صالح من مواليد 1928 له شهادات علمية في اللغة والرياضيات والعلوم السياسية حصل على شهادة الدكتوراه سنة 1979 من السربون، عضو في المجامع العربية كلها (القاهرة، دمشق، عمان، بغداد) يحسن عدة لغات مما مكنه أن يكون عضوا في الكثير من الهيئات الثقافية الأجنبية (الفرنسية والألمانية) تقدم إلى الكتاب لحفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه وهران، وتعلم بمدارس جمعية العلماء الجزائريين، ثم رحل إلى مصر حيث الأزهر الشريف وهناك كان على موعد مع القدر إذ لفت انتباهه عبقرى وهو الخليل بن أحمد الفراهيدي فعكف على دراسة آرائه ردحا من الزمن ثم رحل إلى الغرب، وفكر الخليل مازال عالقا في فكره، فتعلم بجامعاتها، فأخذ علومها ولغاتها ونال شهادتها، ثم عكف على دراسة الرياضيات، وكل ذلك ليتمكن من دراسة فكر الخليل. فكان له ذلك. ولما استقلت الجزائر كان من المساهمين في نهضة الجامعة الجزائرية تطيرا وتطويرا، وشارك في كل الندوات التي كانت تقام له مشروع الذخيرة الذي رحبت به جامعة الدول العربية ووافقت على تجسيده كما له نظرية في اللغة (النظرية الخليلية الحديثة) (2) ومن خلال هذه اللحظة نستشف أن الباحث قد استجمع كل ما من شأنه أن يقرب فكر الخليل إلى الذهن، ويجعله واضح المعالم، وكان أبرز شيء اعتمص به الصبر في إدراك المقاصد، والغوص في أعماق فكر الرجل وما ذلك بالأمر

البحث اللساني عند العرب

وهي ثمرة جهود قام بها الباحث على مدار سنوات طويلة ومضنية، في أعماق التراث اللغوي العربي الأصيل، وقد تمكن الباحث بفضل رؤيته الثاقبة، وبصيرته المتوقدة من الوقوف على نتائج لم ينتبه إليها غيره من الباحثين وهذه النظرية تقوم على مبادئ أساسية سنقف عليها .

- النظرية الخليلية اللسانية:

- الدوافع والأسباب

ذكر الباحث في الكثير من المحاضرات التي ألقاها في الملتقيات العلمية وفي محاضراته على طلبته أنه كان يقف على حقائق علمية أكثر بكثير من تلك التي وصل إليها الباحثون قبله، وقد لفت انتباهه ذلك أثناء وجوده في المشرق (مصر) للدراسة، وبفضل احتكاكه بالعلماء هناك...وعكوفه على دراسة كتاب سيويوه، وتراث الخليل العلمي، تبينت له رؤى جديدة، أدرك خلالها قيمة هذين الرجلين خاصة، (الخليل وتلميذه سيويوه)

يقول: وقد بدأت في التفكير فيما يقول الخليل وأنا طالب في الجامعة الأزهرية وبخاصة في كلية اللغة العربية وقارنت بين ما اطلعت عليه في كتاب سيويوه آنذاك من أقوال الخليل وما قرأته، وكنت أقرؤه على شيوخنا في هذه الجامعة العتيقة، فلاحظت الفروق الكثيرة التي توجد

الهنين ولذلك يقول الباحث أمضيت العديد من السنوات أدرس الفكر فوجدت أن الرجل عبقرى بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وهو إن وجدته يشيد بالخليل فأعلم بأنه يشيد بتلميذه سيويوه ولو ضمنا إذ لولاه لما وصلنا فكر الخليل يقول الباحث: وصلنا من الخليل كل ما رواه عنه سيويوه في الكتاب (أكثر من 600 مرة) وهذا شيء كثير جدا حتى ذهب البعض إلى أن كتاب سيويوه هو كتاب الخليل والحق أنه ليس للخليل فلا بد من مراعاة حقوق الناس...*(2) ولا يمكن أن يترك هكذا دون دراسة أو تحليل، عرضة لطغي الزمن، وفعلا فقد تمكن الباحث من بعث فكر الخليل من جديد في قالب علمي دقيق، وتحت ضوء الدراسات اللسانية الحديثة، ولذلك سمي نظريته بالخليلية نسبة إليه.

البحث اللساني عند العرب

بين ما ذهب إليه الخليل وشيوخه، وبين ما يقوله المتأخرون من النحاة بل لاحظت فرقا كبيرا لا في النزعة العقلية ولا في مناهج التحليل وفي الاتجاه العلمي فقط، بل في كل شيء ذكره (1) وهذا كلام خطير ولا شك!، فإذا علمنا أن الباحث له باع كبير في فهم التراث، وثقافة واسعة، وإطلاع كبير على الدراسات الغربية، مما يعني أنه يملك تصور ومنهج مساعد على تحليل الأمور وفهمها، والنظرية دليل على صحة ما ذهب إليه، ولأن الباحث الدكتور الحاج صالح متمكن من فن الرياضيات، فقد وجد في أبحاثهما هذا العلم لذلك كان يقول دائما (كنت اشم وأنا أدرس كتاب سيويه الرياضيات) .

والباحث له في علاقة النحو بالرياضيات آراء قيمة، فالتحليل الذي وضع قواعد الشعر أي العروض وأيضا ما وضعه من النظام التركيبي للغة الذي بنيت عليه المعاجم التي ألفها الناس فسرعان ما يقتنع بنزعة الخليل الرياضية في جميع ما يضعه من التحليلات والنظريات.

أما القياس كمفهوم منطقي رياضي ظهر إلى الوجود في زمان الخليل يقول: فالقياس كما يحدده الأصوليون هو حمل شيء على شيء لجامع بينهما، وحمل شيء في الحكم وهذا الحمل هو الذي يسمى في وقتنا الحاضر في المنطق الرياضي بتطبيق النظير على النظير أو تطبيق مجموعة على مجموعة حتى يظهر تطابق في البنية بين المجموعتين على الأقل (2) .

وانطلاقا من هذا التصور كانت دراسته وفق هذا المنهج الرياضي الذي مكّنه من إرساء نظرية جديدة لا عهد للبحث اللغوي اللساني بها، وهو لا يكتفي بعبقرية الخليل وتلميذه سيويه بل يذهب أبعد من ذلك فيقول: أنهما عاشا في محيط من العباقرة كلهم شاركوا في إرساء هذه الأبحاث القيمة يقول: إن الخليل ليس هو وحده المسؤول عن كل ما أبدعه عباقرة العلماء الأولين فهناك من عاصره وكان عبقريا مثله، ومن جاء بعده وكان عبقريا مثله وأذكر من هؤلاء

1 - الحاج صالح - النظرية الخليلية الحديثة، ص: 89

2 - الحاج صالح - النظرية الخليلية الحديثة، ص: 89

البحث اللساني عند العرب

الإمام الشافعي⁽¹⁾. والخليل عنده أصيل، لم يأخذ من غيره إلا ما قاله العلماء في النحو والصرف، مما أجمع على صحته وزاد على ذلك أشياء كثيرة جدا. فهو استطاع مع غيره من العلماء وضع البنى الأساسية التي تصاغ عليها الكلم، ولا علاقة للمنطق الأرسطي في ذلك لأنه لا يمكن أن يساعد الباحث اللغوي في ذلك إطلاقا، لأنه بني على اندراج شيء في شيء، وليس حمل شيء على شيء⁽²⁾ وهذا حكم على انعدام العلاقة بين المنطق الأرسطي ومنهج الخليل وغيره من العلماء في البحث اللغوي، وهذا الأمر لم يقنع الكثيرين، رغم قوة الدليل الذي قدمه الباحث.

- علاقتها بالتراث اللغوي الأصيل:

النظرية الخليلية لها ارتباط وثيق بالتراث، فهي منسوبة لأبرز شخصية علمية قديمة هي الخليل بن أحمد، الذي كان أول ضابط للغة، ومبتكر لفكرة المعاجم فوضع أول معجم عرفته العربية سماه معجم العين اتبع فيه طريقة فريدة لم يسبقه إليها أحد، وله في ذلك آثار كبيرة هي التي حفزت الباحث حاج صالح على الاهتمام بهذا التراث يقول: قد حاولنا منذ ما يقرب من ثلاثين سنة أن نحلل ما وصل إلينا من تراث فيما يخص ميدان اللغة وبخاصة ما تركه سيبويه وأتباعه من من ينتمي إلى المدرسة التي سميناها بالخليلية⁽³⁾ وكل ذلك بالنظر في الوقت نفسه في ما توصلت إليه اللسانيات الغربية، وكانت النتيجة أن تكوّن مع مرور الزمان فريق من الباحثين المختصين في علوم اللسان بمعناها الحديث يريد أن يواصل ما ابتدأه الخليل وسيبويه ومن تابعهما،

1 - المرجع نفسه، ص: 89

2 - المرجع نفسه، ص: 93

3 - هي تسمية أطلقها بعض الإخوان من اللغويين من خارج الجزائر وهي تشرّفنا (الحاج صالح) مقدمة كتابه النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيمها الأساسية -

البحث اللساني عند العرب

ولكن بعد التمهيد لما تركوه من الأقوال والتحليلات، أي بعد التحليل النقدي الموضوعي لها (1) وهنا يظهر الامتداد بين الزمنين التراث القديم القرن الأول الهجري إلى القرن 20.

لقد حرص الدكتور الحاج صالح على الذهاب بعيدا في تحليلي النصوص القديمة والاستفادة منها، وهناك ملاحظة ينبغي الإشارة إليها وهي مفهوم التقليد والتجديد عنده يقول: والحالة كما أفهمها أعني بها أن يكون الشيء أو الإنسان مبدعا مهما كان عصره أي أن لا يكون نسخة لغيره بالنسبة إلى الأفكار التي ينتجها، فالأصيل هو من ليس نسخة لغيره مهما كان الزمان، وقد تكون أصالة في زمن قديم وقد تكون أصالة في زماننا هذا (2) فهو من أهم المنطلقات التي انطلق منها العلامة الحاج صالح موقفه من التقليد والتجديد، يقول: أن التقليد إذا كان بمعنى الركون إلى القديم، والانغلاق حوله وعدم القبول بأن يكون عرضة للنقد العلمي البناء والدراسة الثاقبة، فهو مرفوض، والحادثة إذا كانت قطع الصلة بالتراث، والانقطاع للنظريات الغربية يتهمونها التهاما دون النظر في صحتها أو خطئها، فهو مرفوض أيضا. فالذي يؤمن الحاج صالح به هو الرجوع إلى التراث وفق مقاييس الحداثة العلمية، وفهمه كما ينبغي أن يفهم.

ويعتقد أن الإشكالية التي جعلت الكثيرين يعدلون عن التراث عدم قدرتهم على فهمه أنهم لم يكونوا ممن تعمق في فهم التراث من جهة وتعمق في فهم الاتجاهات العلمية الحديثة من جهة أخرى فيستحيل عليهم أن يميزوا بين ما أبدعه العلماء الأولون، وأخص بالذكر العلوم الإنسانية وبين ما صار إليه هذا التراث بعد القرن الخامس الهجري وهناك أسباب كثيرة أدت إلى التسوية بين كل ذلك منها:

أولا: المعرفة السطحية للتراث ولل مفاهيم العلمية الحديثة بما فيها العلوم الدقيقة وعلم المعرفة العلمية (الابستمولوجية) .

1 - خولة طالب الابراهيمى - مبادئ في اللسانيات، ص: 136

2 - الحاج صالح - النظرية الخليلية الحديثة، ص: 86

البحث اللساني عند العرب

ثانياً: استغلاق ما تركه الفطاحل من علماء الصدر الأول على إفهام الكثير من المتأخرين والمحدثين.

ثالثاً: الخضوع المطلق لما قاله الغربيون في القرن الماضي".⁽¹⁾

انطلاقاً من مبادئ أساسية اتبعت في التصور للكثير من القضايا إلى درجة اعتبرت منهاج. فهو لم يكن مثل الكثير من الباحثين الذين مالوا كل الميل إلى اللسانيات الغربية وعلماء اللسان الغرب، واحتقروا كل ما هو أصيل واعتبروه لا يرقى إلى نظيره الغربي فردوا الكثير من الأفكار القيمة بحكم الجديد والحداثة والعصر وغيرها من المصطلحات التي أعمت الكثيرين، فذابوا في حناياها ولم يقدموا شيئاً يذكر للبحث اللساني العربي، وقد طال بهم الزمن سوى تفاهات لا تسمن ولا تغني من جوع.

- المبادئ الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة:

هناك أمران أساسيان كانا سببا في اكتشاف النظرية الخليلية الحديثة ووضع أسسها ومبادئها:

- الأول: فهو المعرفة الجيدة للتراث اللغوي العربي الأصيل وفهمه .

- الثاني: فهو الاطلاع الجيد للدراسات اللسانية الغربية التي اعتمدت على التقنية العلمية، ولذلك راح الباحث الدكتور حاج صالح يجمع بين المنظومتين مستغلا ما استحدثت من تكنولوجيا علمية (آلات تقنية ولذلك نحكم أن النظرية) هي:

(تراث أصيل + تكنولوجيا) قامت وفق مبادئ أساسية هي:

1 - حاج صالح، مستقبل البحوث العلمية في اللغة العربية وضرورة استثمار التراث الخليلي، بحث ألقى في ندوة نظمها المعهد العالي للحضارة الإسلامية بوهران (نوفمبر 98) : ص 2

البحث اللساني عند العرب

- مبدأ الوضع والاستعمال.
- مبدأ الباب.
- مبدأ المثال.
- مبدأ القياس.
- مبدأ الأصل والفرع.
- مبدأ الانفصال والابتداء.
- اللفظة والعامل .

فهي سبعة مبادئ بنيت عليها النظرية، سنقف عليها جميعا .

1- مبدأ الوضع والاستعمال:

تطرق الباحث إلى هذين المصطلحين عندما تحدث عن اللغة فقال: اللغة وضع واستعمال.⁽¹⁾ إن اللغة موروث اجتماعي، ليست ملكا لأحد وإنما هي ملك الناطقين بها جميعا، لذلك فإن مفهوم الوضع يعكس لنا حاجة الإنسان إلى التواصل إذ لا يمكن أن يحصل هناك اندماج اجتماعي دون رابط يجمع بينهم لذلك تواضع الناس على تسمية الأشياء بمسميات حتى يكون هناك تفاهم وانسجام إلا أن هناك فوراقا بين وضع اللغة وحالات الاستعمال، فبين الباحث الوضع وما يخص كيفية استعمال هذا الوضع أي هي نظام من الأدلة الموضوعية لغرض التبليغ، واستعمال فعلي لهذا النظام في واقع الخطاب⁽²⁾ والاقصصار على أحد هذين

1 - صالح بلعيد، مقالات لغوية، ص: 41

2 - المرجع نفسه، ص: 42

البحث اللساني عند العرب

الجانبيين من قبل الباحث اللغوي خطأ فاحش ذو عواقب وخيمة وكذلك⁽¹⁾ والعديد من الدارسين يركزون على وضع اللغة ويجعلونها محور الدراسة مما يجعل النتائج غير دقيقة، يقول: وقد أدرك علماءنا ذلك ففرقوا بينهما وركزوا عليهما في آن واحد، فاللغة كما يتصورها المبدعون من علمائنا أمثال الخليل وسيبويه وابن جني وغيرهم ممن ظهر في الصدر الأول، هي قبل كل شيء وضع واستعمال الناطقين له⁽²⁾

فألغة نظام من الدوال يختار ما يحتاجه للتعبير عن أغراضه، وبالتالي يميز بين ما هو راجع إلى القياس، وما هو راجع إلى الاستعمال أي إجراء اللغة في أحوال خطابية معينة بحكم أن قوانين الاستعمال غير قوانين النحو والقياس وهذا ما تجاهله النحاة المتأخرون فلكل من الوضع والاستعمال قوانين خاصة تخضع لها، ويترتب عن ذلك أن اللفظ والمعنى في الوضع غيرهما في الاستعمال ولهذا ينبغي لمن يحلل عناصر اللسان من دوال ومدلولات أن يفرق بين ما هو راجع إلى التأدية واختلاف كفياتها بين الأفراد والمجتمعات والأقاليم، وبين ما هو خاص بالوضع لا خلاف فيه لأنه شيء مجرد من أعراض الاستعمال لفظاً أو معنى.

ومن جهة يؤكد على مراعاة أو العناية بالنحو والبلاغة في عملية الخطاب التي تستلزمها طبيعة التواصل، فالمتكلم قد ينقل اللفظ من مطابقته الحقيقية إلى مطابقة مجازية حسب الملكة التبليغية المتوفرة لدى المتكلم، ومن هنا كان إحكام التعامل اللغوي كما يقول الدكتور صالح بلعيد: يقول الدكتور حاج صالح: اكتساب اللغة يقتضي اكتساب الملكة اللغوية النحوية والملكة التبليغية في آن واحد باعتبار أن النحو إحكام التصرف في مختلف البنى اللغوية والملكة التبليغية والقدرة على

1 - التواتي بن التواتي المدارس اللسانية، ص: 112

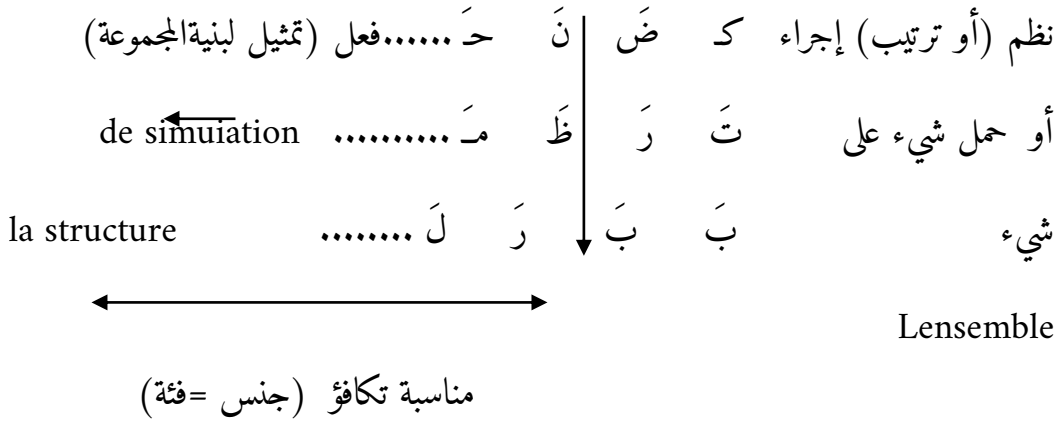
2 - المرجع نفسه، ص: 113

البحث اللساني عند العرب

الربط الوثيق بين هذه البنى وما أشبهها، وبين الأغراض التي يمكن أن تؤديها بحسب ما يقتضيه حال الحديث (المقام) أي في حال خطاب معينة. (1)

2- مبدأ الباب:

أطلقه سيبويه على المجموعة المرتبة من الحروف الأصلية للكلمة أو ما ينطبق على مستوى التركيب ويعرفه الدكتور الحاج صالح: بأنه مجموعة من العناصر تنتمي إلى فئة أو صنف، وتجمعها بنية واحدة وكونه مجموعة بالمعنى المنطقي الرياضي لا مجرد جنس بالمعنى الأرسطي الذي يشبه مفهوم الباب في المعنى العربي، إلا من حيث كونه صنفا له صفة مميزة.



البحث اللساني عند العرب

فالجامع بين هذه الوحدات ليس جنسها (بل قد لا تهتم بالجنس⁽¹⁾) بل بالبنية التي تجمعها، ولا يمكن أن تستخرج بإدخال بعضها في بعض، بل بجمل كل جزء منها على نظيره مع مراعاة انتظامها أي مع اعتبار كل جزء في موضعه وقد أشار الرضي الاسترابادي في حديثه عن الصيغة: المراد ببناء الكلمة ووزنها وصيغتها وهيئتها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها وهي عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كل في موضعه.⁽²⁾ يقول صالح بلعيد: ومن هنا فإن الباب هو الجنس من الموضوعات ينطوي كل جنس تحت نظام خاص، ترفضه القوانين الخاصة به ويعطي مثالا عن ذلك عن مفهوم الاستقامة في الكلام:

- مستقيم حسن

- مستقيم محال

- مستقيم كذب

- مستقيم قبيح

- محال كذب

فهي تدخل في باب واحد هو باب الكلام⁽³⁾ يقول سيبويه في هذا المعنى: فنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب.

- فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس، وسأيتك غدا.

1 - - - المدارس اللسانية، ص: 106

2 - الرضي الاسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب، ص: 117

3 - مقالات لغوية، ص: 44

البحث اللساني عند العرب

- فأما المحال تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا، وسأتيك أمس

- أما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه .

- وأما المستقيم القبيح فإن تضع اللفظ في غير موضعه، وهو قولك: قد زيدا رأيت وكى زيدُ يأتيك، وأشباه هذا.

- وأما المحال فإن تقول: "سوف أشرب ماء البحر أمس".(1)

يقول أيضا مما ذكره سيبويه إذ هو أول من ميز بين السلامة الراجعة إلى اللفظ (المستقيم الحسن القبيح) ، والسلامة الخاصة بالمعنى: المستقيم /المحال، ثم ميز أيضا بين السلامة التي يقتضيها القياس (أي النظم العام الذي يميز لغة من لغة أخرى) والسلامة التي يقتضيها الاستعمال الحقيقي للناطقين (وهذا معنى الاستحسان الناطقين أنفسهم) : حسن فعلى هذا يكون التمييز بهذه الكيفية:

- مستقيم حسن = سليم في القياس والاستعمال

- مستقيم قبيح = غير لحن ولكنة خارج استعمال القياس وقليل.

- محال = قد يكون سليما في القياس والاستعمال ولكنة غير سليم من حيث المعنى

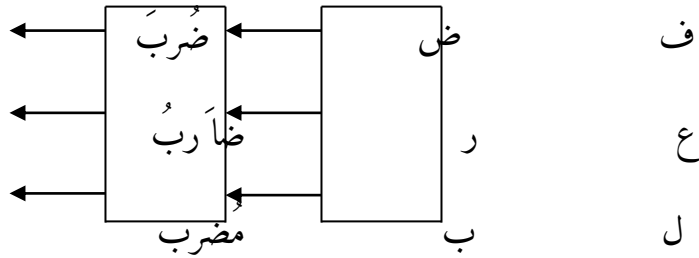
ومن ثم جاء التمييز المطلق بين اللفظ والمعنى وأعني بذلك أن اللفظ إذا حدد أو فسر بالجوء إلى اعتبارات تخص المعنى فالتحليل هو تحليل معنوي *semantique* لا غير، أما إذا حصل التحديد

البحث اللساني عند العرب

والتفسير على اللفظ نفسه دون للمعنى فهو تحليل لفظي نحوي (semiologico-grammatical).⁽¹⁾

3- مبدأ المثال: SCHEME GENERATEUR

وهو مفهوم عربي لا مقابل له ولا نظير في اللسانيات الغربية يقول عنه الدكتور صالح بلعيد: *هو مفهوم اعتباري منطقي رياضي، كونه حذاً إجرائياً يتحدد به العناصر اللغوية حيث ترسم فيه جميع العمليات التي بها يتولد العنصر اللغوي في واقع الخطاب⁽²⁾ وتنتج عنه صورة تفرعية طردية عكسية من أصل إلى الكثير من الفروع قد تصل إلى ما لانهاية، ويعرفه الدكتور حاج صالح: *بأنه مجموع الحروف الأصلية والزائدة مع حركاتها وسكاتها في موضعه، وهو البناء والوزن⁽³⁾ فهو عملية إجرائية تحويلية أي مجموع التصاريف التي تجري على المادة الأصلية (فَعَلَ) والأوزان التي تستنبط منها: نأخذ مثلاً (ضرب) المادة الأصلية والوزن المستنبط منها هي مقابلة لها في الشكل التالي:



1 - المرجع نفسه ص: 117/118

2 - مقالات لغوية -، ص: 44

3 - نفس المرجع، صك 44 من مقال د/ حاج صالح منطلق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات، مقال غير منشور

البحث اللساني عند العرب

أما مستويات المثال يقول الأستاذ حاج صالح: * هو أعلى من المادة الصلية فإن هناك قسيمة تركيبية أخرى من نوع آخر وهي أعمق مما سبق وهو مستوى التركيب بين المادة الأصلية للكلمة وبين وزنها أو بنائها أو مثالها . وهذا التركيب هو ناتج عما يسمى الآن في الرياضيات بالجداء الديكارتي وهو عبارة عن مصفوفة ذات مدخلين: بالنسبة للثلاثي: كل الحركات مع السكون أفقيا والحركات وحدها عموديا ويمثل كالتالي: الجداء الديكارتي وقسيمة تراكيب الثلاثي

سكون	كسرة	ضممة	فتحة	ف
فَعْلَ	فُعْلُ	فُعْلُ	فَعْلَ	فتحة
فُعْلُ	فُعْلُ	فُعْلُ	فُعْلُ	ضممة
فَعْلَ	فَعْلَ	فَعْلَ	فَعْلَ	كسرة

يقول عن هذا التصور للتركيب الداخلي للكلمة في هذين المستويين: حروف المادة الأصلية ثم مستوى الوزن مع هذه المادة ما كان يمكن أن يحصل إلا بتحصيل عملية أخرى وهي تحليل الكلم إلى هذه المادة وإلى وزن الكلمة وهي عملية تجريدية عميقة جدا ترتقي إلى أعلى درجات التحليل الرياضي لأنها ولأول مرة في تاريخ العلوم -تحليل عمودي لا يخضع لتسلسل الكلام المنطوق كما هو الحال في اللسانيات البنوية الغربية الحديثة.

والجدير بالذكر هو أن مفهوم الجذر قد استعاره الغربيون من اللسانيات الهندية القديمة (وبلا شك من النحو أيضا) أما مفهوم مثال الكلمة أو وزنها وبنائها فهو مفهوم عربي أصيل ولا يوجد ما يماثله إلى الآن في اللسانيات الغربية.

البحث اللساني عند العرب

(أما المستشرقون اللغويون فأخذوه من العرب وأول من سماه Scheme هو CANTINEAU) ولا بد أن ندرك ذلك جيدا فغن التحليل الغربي يتبع تسلسل اللفظ فهو يحاول أن يكشف القطع الصوتية التي تتألف منها الكلمة فيقسم هذه القطع إلى جذور وما يزداد عليها من السوابق والواحق فهذا لا يمكن أن ينطبق هو وحده على العربية لأن تحويل الكلم من المفرد إلى جمع التكسير مثلا أو من فعل مجرد إلى مزيد وغير ذلك لا يمكن تحليلها أفقيا فقط: نخذ كلمة (كُتِبَ) كجمع (لكتاب) أين هي القطعة الصوتية التي تدل فيها هي وحدها على الجمع؟⁽¹⁾

4- مبدأ القياس:

مفهوم القياس في النظرية الخليلية هو القياس العربي الخالص وليس ذلك الذي ينسب إلى أرسطو، ولا علاقة بينهما على الإطلاق والقياس هنا يعني كما يقول علماء الأصول: حمل شيء على شيء لجامع بينهما، فالقياس عند النحاة هو أن تحمل كل ما ينتمي إلى جنس أو فئة إلى جنس أو فئة معينة من العناصر اللغوية بعضه على بعض حتى يمكن أن يتضح تكافؤها في البنية⁽²⁾ ومن هذا المنطلق الذي أقره الدكتور حاج صالح يتضح مدى تأثير القياس النحوي في طرائقه ومظاهره بعلم أصول الفقه يقول التواتي: وأغلب الظن أن الذي أدى بهم إلى هذا هو تعليقات النحاة للظواهر اللغوية وتقسيم المتأخرين منهم العلل إلى علل لفظية وأخرى معنوية أو تقسيمهم لها من منظور آخر إلى علل أول وعلل ثوان وثالث⁽³⁾.

1 - مستقبل البحوث العلمية في اللغة العربية وضرورة استثمار التراث الخليلي، بحث ألقى في ندوة نظمها المعهد

العلي للحضارة الإسلامية بوهان (نوفمبر 98) .

2 - نفس المرجع .

3 - المدارس اللسانية - ص: 143

البحث اللساني عند العرب

وهذا نجده ونفهمه أكثر في التجاوب الكبير في التعليقات عند علماء الأصول وعلماء الفقه، علما أن علماء النحو هم أنفسهم علماء الفقه فقد كان التحليل فقيها ونحويا في آن واحد يقول: إن التجاوب بين مقولات أصول النحو ومفاهيمه وبين أصول الفقه ومفاهيمه تجاوب طبيعي ما دام النحو والفقه نظامين ثانويين داخل إطار نظام الثقافة الإسلامية .

يقر النحاة أنفسهم بأنهم انتهجوا في أصولهم منهج أصول الفقه عند الأحناف خاصة وقد أشار ابن جني إلى هذا المعنى فقال: وذلك أنا لم نر أحدا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه، أما الدكتور بلعيد فيشرح مفهومه للقياس بقول: يحصل القياس في النحو العربي بناء على العملية المنطقية الرياضية: التفرع من الأصل بناء الكلمة أو الكلام باستعمال مواد أولية هي المعطيات واحتذاء صيغة الباب الذي ينتمي إليه العنصر المحدث، وهذا التفرع لا يجوز إلا إذا أطرد الباب، وإذا لم يطرد فيقاس على الأكثر أي على الصيغة الغالبة في الباب والاستعمال ومن هنا فالقياس هو: حمل شيء على شيء لجامع بينهما، وحمل شيء في الحكم، هو الذي يسمى في المنطق الرياضي تطبيق النظر على النظر وتطبيق مجموعة على مجموعة حتى يظهر تطابق في البنية بين مجموعتين على الأقل. (1) على كل فالقياس له أهميته في الدرس النحوي لذلك نجده يتكرر في أبحاثهم يقول الحاج صالح: "إن مجيء لفظة *القياس* على لسان العلماء المساميين كثيرا جدا وكل يعرف أن جميع العلوم الإسلامية التي تلجأ إلى الاستدلال فأساس هذا الأخير هو القياس وذلك كالفقه والنحو...." (2)

1 - صالح بلعيد - مقالات لغوية - ص: 45

2 - التواتي بن التواتي - المدارس اللسانية - ص: 144

5- مبدأ الأصل والفرع:

ميّز النحاة العرب الأصول عن الفروع، فحدّدوا الأصل بأنه العنصر الثابت أو النواة أما الفرع أما الفرع هو الأصل بزيادة إيجابية أو سلبية⁽¹⁾ فالأصل عندهم ما يبنى عليه ولم يبن على غيره، أما الفرع فهو الأصل ما زيادة فالفروع من الأصول، وتقديمها الأصول عليها فلأنها تمتاز عنها ببساطتها لفظاً ومعنى ولأن الانتقال من الأصل إلى الفرع هو تحويل طردي فتقديمه على التحويل العكسي هو مناسب لمسيرة التطور اللغوي⁽²⁾.

أما بالنسبة للزيادة على الأصل هي نوع من التحويل، فالاسم المفرد وما بمنزلة هو وحدة يحددها هذا التحديد الإجرائي أين تحدّد كل المكونات التي تتألف منها هذه الوحدة (اللفظة) فلكل جزء من هذه اللفظة موضع خاص فأداة التعريف لا تظهر إلا في الموضع الأول على يمين الأصل وبعدها حرف الجر، فالوظيفة النحوية تحدّد لنا بكيفية صورية، ثم إن الموضع لا يلتبس بما يمكن أن يكون فيه فالموضع باق كجزء من البنية إذا خلا مما يدخل فيه. وقد ميّزوا الأسماء التي لا تقبل بعض الزوائد فسموها بالمتمكن غير أمكن والتي تقبل بالمتمكن أمكن (متمكن أمكن وهو المتصرف كزيد، ومتمكن غير أمكن وهو غير متصرف: أحمد، مساجد...).

وينبغي ألا نخلط بين هذا التحليل الصوري الناجع بالتحليل الدلالي إلا أن النحاة يخصصون لكل موضع دلالة (أي التي وضعت له في الأصل) فهذا المثال هو قاعدة صورية لتحليل المعنى (الوضعي)، ولا يلجؤون أبداً إلى الدلالة في التحديد اللفظي أو الصوري للوحدات، لذلك قالوا

1 - صالح بلعيد - مقالات لغوية - ص: 45

2 - حاج صالح - أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية - ص: 64

البحث اللساني عند العرب

بأن اللفظ هو الأول، أما إذا صار المعنى الوضعي معنى آخر كما في المجاز فيكون لهذه الظاهرة طريقة أخرى في التحليل وترجع إلى البلاغة (أي إلى علم المعاني) (1)

6- مبدأ الانفصال والابتداء:

يقول الخليل بلسان تلميذه سيبويه: (إنه لا يكون اسم مظهر على حرف أبداً لأن المظهر يسكت عنه وليس قبله شيء ولا يلحق به شيء (2) والذي يسكت عنه وليس قبله شيء هو الاسم الذي ينفصل ويبتدأ (3) وحول هذا المبدأ يقول التواتي: (والفعل كان المنطلق عندهم كل ما ينفصل ويبتدأ به هي صفة الانفراد ويمكن أن يكون بذلك لأشياء أخرى تنفرع عليه، ولهذا فيجب أن ينطلق من أقل ما ينطبق به مما ينفصل ويبتدأ (=مفرد) وهو لاسم المظهر بالعربية وكل شيء يتفرع عليه ولا يمكن لما في داخله أن ينفرد فهو بمنزلة الاسم المفرد) أطلق عليه ابن يعيش والرضي (اللفظة) وترجمها الأستاذ حاج صالح (lexie) .

ويرى الأستاذ حاج صالح أن صفتي الانفصال والابتداء تمكن الباحث من اكتشاف الحدود الحقيقية التي تحصل في الكلام، فهذا المنطق عبارة عن وحدة لفظية لا يحددها إلا ما يرجع على اللفظ لأنها يمكن أن تكون جملة مفيدة وهنا يتعرض في هذا الموضع إلى مقياس التمكن والذي يعني أن القطعة يمكن أن تحتل عدداً من الزيادات يمينا ويسارا على صورة التعاقب ويعتبر هذا الاسم المظهر في العربية أكثر الكلمات تمكناً عنه لا يكون اسم مظهر على حرف أبداً، لأن المظهر يسكت عنده وليس قبله شيء ولا يلحق به شيء ...

1 - التواتي بن التواتي - المدارس اللسانية - ص: 121

2 - سيبويه - الكتاب - ج/2، ص: 304

3 - نفس المصدر، ج/96

البحث اللساني عند العرب

يعلق صالح بلعيد بقوله: (وفي الحقيقة نلاحظ ربطاً بين الأصل والفرع، وبين الانفصال والإبتداء⁽¹⁾) ويشرح أيضاً المبدأ أكثر فيقول: (الانفصال ليس بعده شيء، والابتداء ليس قبله شيء ومعنى ذلك أن كل وحدة لغوية قابلة للانفصال عما قبلها أو ما بعدها عن الوحدات وكل وحدة يمكن الابتداء بها أو الوقوف عليها حسب موقعها من الكلام وهناك أصناف ثلاثة في اللسان العربي:

- وحدات يبتدأ بها فتفصل عما قبلها مثل (إلى)

- وحدات لا يبتدأ بها ويوقف عليها أي أنها تفصل عما بعدها مثل الضمير المتصل بالاسم أو الفعل.

- وحدات يبتدأ بها فتفصل عما قبلها، ويوقف عليها فهي منفصلة عما بعدها مثل عبارة (سعيد) في جواب من جاء⁽²⁾

7- مبدأ العامل:

إن نظرية العامل هي أروع ما أبدعه الخليل وأصحابه ومن أخطر النظريات التي سيكون لها دور عظيم في تطوير معلوماتها حول الظواهر اللغوية وذلك لأن مفهوم العامل هو المفهوم الدينامي الذي يبنى عليه المستوى التركيبي للغة ففضله اللغوي أن يرتقي إلى مستوى أكثر تجريداً من المستويات السفلى التي تحتوي على الوحدات ومقوماتها القريبة

1 - صالح بلعيد - مقالات لغوية -، ص: 47

2 - المرجع نفسه، ص: 47/46

البحث اللساني عند العرب

ع	م ¹ أو م ²	م ² أو خ
1 الابتداء أو فعل وفاعل	المبتدأ أو المفعول	فعل وفاعل في موضع الخبر م ² أو واو الحال
0 2	عبد الله	قام 0
0 3	عبد الله	قام أخوه
0 4	عبد الله	هل قام
رأيت	عبد الله	قام 0

وهذا هو في الواقع أعمق بكثير من القول بأن مستوى التركيب syntaxe هو ناتج عن تركيب الوحدات الدالة التي - يطلق عليها (المورفيمات) في اصطلاح الغربيين - وأول دليل على ذلك هو إمكانية استغلال مفهوم العامل (وما يترتب عليه من عامل ومعمول ثان كما فهمه سيبويه⁽¹⁾) ويعني العمليات الإجرائية وذلك يحمل أقل الكلام مما هو أكثر من لفظه باتخاذ أبسطه وتحويله بالزيادة وهذا ما يقارب مفهوم الاقتصاد في الكلام الذي نادى به الوظيفيون (أندري مارتني) والزوائد في بداية الكلام تؤثر وتتحكم في التراكيب كالتأثير في أواخر الكلم (الإعراب) ومن هذا نلاحظ أن اللفظة هي الأصل، وهناك عناصر يمكن أن تدخل على يمينها فتغير إعرابها وتزيد على معناها الأصلي⁽²⁾.

1 - التواتي بن التواتي - المدارس اللسانية - ص: 127

2 - صالح بلعيد - مقالات لغوية - ص: 49

البحث اللساني عند العرب

منطلق	زيد	0
منطلق	زيذا	إن
منطلقا	زيد	كان
منطلق	زيذا	حسبت
منطلقا	زيذا	أعلمت خالدا
3	2	1

ففي العمود الأيمن يدخل عنصر قد يكون أو لفظة بل تركيبا وله تأثير على بقية التركيب ولذلك سمي عاملا ثم لاحظوا العنصر الموجود في العمود الثاني لا يمكن بحال أن يقدم على عامله فهو عند سيبويه المعمول الأول (م¹) فقد يتقدم على كل العناصر اللهم في حالة جمود (مثال إن) إلا إذا كان ظرفا: إن في الدار زيدا .

وقد يخلو موضع موضع العامل من العنصر الملفوظ (0) وهو الذي يسمونه بالابتداء (وهو عندهم عدم التبعية التركيبية وليس معناه بداية الجملة كما يعتقد بعضهم، وهذا وقد حملوا التراكيب التي تتكون من لفظة فعلية (غير ناسخة) على هذا المثال واكتشفوا عند تطبيق هذه المجموعة على الأولى أن الفعل (غير ناسخ) هو بمنزلة هذه العوامل لأنه يؤثر في التركيب، وأن المعمول الثاني في هذه الحالة هو المفعول به وأثبتوا أيضا أن موضع م¹ م² يمكن ان تحتلها كلمة أو لفظة بل تركيب وذلك مثل:

البحث اللساني عند العرب

	خير لكم	أن تصوموا	0
	زيدا	تُ	رأيه
	ك	ت	رأيه

فيتبين بهذا أن العناصر التركيبية هي عناصر خاصة مجردة كما أن هناك عناصر أخرى (تدخل وتخرج) علاقتها بغيرها علاقة وصل على هذه النواة التركيبية وهي زوائد مخصصة كالمفاعيل الأخرى والحال وغيرها رمزه: ويمكن أن تمثل للعلاقات القائمة بين هذه الوحدات التركيبية بهذه الصيغة:

$$ع \quad م^1 + م^2 + خ \quad \left[\begin{array}{c} \square \\ \leftarrow \end{array} \right]$$

يقول: (فكما نرى ليس هذا المستوى ناتجا عن قسمة تركيبية لما تحنه والنحاة ينطلقون من هذه الصيغ الأصلية في ظاهرة التداخل Emboitement أو Enchassement ويسمونه بالتكرار أو الإطالة Recursivite وقد أظهروا في ذلك براعة كبيرة جدا.

ويشرح الأستاذ ذلك ذاكرة في البداية أن مفهوم العامل أخذه الغربيون من العرب قديما وحديثا ثم يبين أن المستوى الذي هو أعلى من اللفظة وهو الجملة المفيدة فإن النحاة اكتشفوا فيه عناصر أكثر تجريدا وهي العامل والمعمول الأول والمعمول الثاني وتكون هذه العناصر المجردة النواة التركيبية ويضاف إليها عناصر مخصصة، وكل واحد منها يمكن أن يحتوي على كلمة مفردة أو لفظة أو حتى تركيب مثل عامل ومعمول، فالعامل يمكن أن يكون فعلا غير ناسخ أو ناسخ أو

البحث اللساني عند العرب

(إن) وأخواتها أو اسما يعمل عمل فعله والمعمول الأول يمكن أن يكون مجردا مبتدأ (وعامله الإبتداء) أو اسما لفعل ناسخ أو غير ناسخ أو (إن) وأخواتها والمعمول الثاني خبرا أو مفعولا به، أما المخصصة فهي الحال والتمييز أو المفاعيل والمستثنى الفضلة وهذا يعني أن موضع الإبتداء والفعل واحد وموضع الخبر والمفعول به مع انخلاف الشديد الذي يوجد من الناحية الدلالية لهذه العناصر .

وتصاغ الوحدة التركيبية المجردة كالتالي:

$$- \quad - \quad \leftarrow \quad (ع \quad م^1) + م^2 + خ$$

العين هي العامل والسهم يدل على وجوب تقديم العامل على معموله الأول وهما يكونان بذلك ما يسمى في الرياضيات الحديثة بالزوج المرتب ثم يأتي المعمول الثاني وقد يمكن وجود له ثم يضاف على هذه المجموعة مخصص واحد أو أكثر⁽¹⁾

هذه هي المبادئ الأساسية التي قامت عليها النظرية الخليلية الحديثة كامتداد لتراث الخليل وعلى قدر وجلال الأبحاث العلمية التي قام بها الأستاذ حاج صالح وقد نوه الكثيرون من المنصفين والغيورين على اللغة العربية (وعاء القرآن الكريم) بهذه النظرية وطفقوا يتدبرونها ويتفهمونها حتى أدركوا أهدافها ومقاصدها، واستوعبوا أننا نملك تراثا ثريا لو لقي عقولا مثل الأستاذ لما تاه معظم علمائنا وباحثينا في نظريات غريبة عن لغتنا ولا نخدم لغتنا، حتى غدونا ندرس أبناءنا لسانيات غريبة بلسان عربي .

- قيمة هذه النظرية وموقف الباحثين منها:

1 - مستقبل البحوث العلمية في اللغة العربية وضرورة استثمار التراث الخليلي: بحث ألقى في ندوة نظمها المعهد العالي للحضارة الإسلامية بوهرا (نوفمبر 98)

البحث اللساني عند العرب

إن النظرية الخليلية ليست وليدة بضع سنين بل هي نتيجة جهود مضمّنة دامت عقوداً من الزمن، اجتهد الباحث فيها وكان كثير الترحال، يسأل ويستقصي عن أمور لها علاقة وطيدة بالبحث، وقد شهد له بالنزاهة والجديّة من أقرانه وتلامذته، فعلى النخبة من الباحثين اللسانيين الالتفاف حول هذا العالم، ومساعدته في أبحاثه التراثية التجديدية، حتى تكتمل نظريته، ويستفيد منها الباحثون والبيداغوجيون في ميدان التربية والتعليم وكل الميادين التي لها علاقة، وذلك قبل فوات الآوان (1)

يقول المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعداً لله: الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح العميد السابق لكلية الآداب جامعة الجزائر وهو متخصص في علوم اللسان ومشرف على أبحاث لغوية اجتماعية في اللغة العربية بالخصوص وله تخصص آخر في التراث العربي اللغوي ومناهج العربية القديمة (2).

وهناك حكم علمي ذكره الدكتور مازن الوعر في مقارنة بين الحاج صالح وتمام حسان فقال: إن هناك فرق كبير بين من يجتهد في الظاهرة اللغوية، ويجوّرها ويناقشها، وهذا ما قام به تمام حسام، وبين من يكتشف الظاهرة اللغوية ويبسطها وهذا ما قام به عبد الرحمان الحاج صالح (3).

¹ - (وجه للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في إحدى محاضراته السؤال الآتي: مل أنتم من المحافظين؟ فأجاب: لست محافظاً ولا مجدداً، ولكن أبحث عن المفيد. اكتشفنا في القديم شيئاً عظيماً لم نجده في الحديث، ولو اكتشفناه في الحديث لأخذنا به) مجلة اللسانيات العدد العاشر - 2005 - ص: 9

² - التواتي - المدارس اللسانية - ص: 101

³ - مازن الوعر - جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب - ص: 122

خاتمة:

وفي نهاية هذا البحث المتواضع، الذي ضمنته المناهج اللسانية الكبرى، التي ميّزت البحث منذ انطلاقة على يد الخليل بن أحمد إلى غاية حاضرننا، وقد تجنبت الحديث عن بعض القضايا النحوية، التي تدخل في دائرة الجدل النحوي، ولا علاقة لها بالتقعيد والتنظير، خاصة الفترة التي عاش في ابن الأنباري، وهو الذي أشار إليها في الإنصاف، ولعل هذا الجدل النحوي هو الذي دفع المحدثين إلى اتهام النحو العربي بالجمود والمعيارية وغيرها.

ومن النتائج التي خلصت إليها من هذا البحث أهمها

- 1- أن الخليل ومن جاء بعده كانوا عباقرة، ولو كانت جائزة نوبل تمنح للأموات فإن الخليل يستحق منحه هذه الجائزة، لما قدمه للبحث العربي والعالمي، فكلهم استفادوا كل حسب طريقته ووسيلته.
- 2- الحذر من آراء بعض المستشرقين المغرضين، ومن يجري في ركابهم من الباحثين، لأن هدفهم ليس خدمة البحث اللغوي بقدر الإساءة إليه، بتصحيح وتحريف التراث، والأمثلة كثيرة.
- 3- ينبغي الرجوع إلى التراث وقراءته وفهمه، برؤية علمية وفق الأصول الثابتة، حتى لا نقع في التناقضات التي تخص حياتنا في جميع أحوالها.
- 4- الحذر من الدّعوات المغرضة، كالتيسير والتبسيط في القواعد الأساسية، التي لا تقبل بديلا عنها، ويمكن التيسير في مناهج وطرق تعليمه.
- 6- يجب الارتقاء إلى اللغة الفصيحة، لا أن نستبدلها بالعامية، بحجة التواصل الواقعي، أو الكلام المتداول.

البحث اللساني عند العرب

- 7 التّراث لا يفسر إلا بالتّراث. فكّاب سيبويه لا يفسره إلا كّاب سيبويه.
- 8 يجب الاستفادة من البحث اللساني العالمي بقدر الحاجة، لا أن نركن إلى نظرياته، ونجعل منها المثل الأعلى الذي يجب الاحتذاء به.
- 9 الوقوف موقف المشارك القوي، في البحث اللساني العالمي بحكم الرصيد التراثي الزاخر.
- 10 التجديد لا يعني أبدا ترك القديم، والانسحاق نحو ما يبدو أنه جديد، فالتجديد هو الانطلاق من القديم، والبناء عليه بإحكام.
- 11 من واجبنا احترام علمائنا الأولين، والاعتراف لهم بالفضل، لا أن نكيل لهم الشتائم، واحتقار ما تركوه من علم وعمل.

فهرس المصادر والمراجع

❁ القرآن الكريم

المصادر والمراجع:

- 1- ر.ه.روبنز - موجز تاريخ علم اللغة في الغرب- سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت-
- 2- أحمد مختار عمر - البحث اللغوي عند العرب- القاهرة: عالم الكتب، 1982م، ط: 4
- 3- أبو هلال العسكري- الفروق اللغوية- درا الطباعة والنشر والتوزيع - بيروت-
- 4- أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط في التفسير- بيروت: دار الفكر، 1992/1412
- 5- السيوطي -المزهر تحق: د/مهدي الخزومي ود/ابراهيم السامرائي منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1984
- 6- الخليل - العين- تحق: فؤاد علي منصور، بيروت: دار الكتب العلمية.
- 7- أبو طالب المكي -قوت القلوب- دار النشر والطباعة والتوزيع بيروت-
- 8- سيويوه- الكتاب- تحق: عبد السلام هارون، دار القلم والهيئة المصرية العامة للكتاب 1966م
- 9- ابن جني - انحصائص- تحق: محمد علي النجار، القاهرة: 1956/1952
- 10- ابن جني - سر صناعة الإعراب- تحق: د/حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، ط: 1
1985
- 11- ابن جني -التصريف الملوكي-تحق: ديزيرة سقال، دار الفكر العربي، بيروت-ط1/1998.

البحث اللساني عند العرب

- 12- الأزهرى- تهذيب اللغة- تحق: مجموعة من العلماء، القاهرة (د.ت)
- 13- معجم المؤلفين - الذهبي - دار القلم والهيئة المصرية العامة للكتاب 1967
- 14- شمس الدين الذهبي-تاريخ الإسلام - طبع الكتاب مصر سنة 1284هـ دار الكتب المصرية
- 15- ابن العديم - بغية الطلب في تاريخ حلب-تحق سهيل زكار دار الفكر دمشق
- 16- ابن كثير-البداية والنهاية- بيروت: دار الفكر، 1992/1412
- 17- شوقي ضيف - المدارس النحوية -، القاهرة، دار المعارف، 1968م
- 18- عبد الرحمان الحاج صالح-بحوث ودراسات في اللسانيات العربية - منشورات المجمع الجزائري للغة العربية-
- 19- عبد الرحمان الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية- كراسات مركز ترقية اللغة العربية-
- 20- رضي الدين الإستربادي -شرح الرضي على الكافية- الأستانة، 1275هـ
- 21- الرضي الاستربادي -شرح شافية ابن الحاجب- مع شرح شواهد له عبد القادر البغدادي، تحق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مجازي القاهرة 1356هـ
- 22- أبو حيان - البحرالمحيط - بيروت: دار الفكر، 1992/1412
- 23- الزبيدي - تاج العروس من جواهر القاموس-تحق مصطفى مجازي، دار إحياء التراث - بيروت-
- 24- أبو عمر الداني - النقط- دار الكتاب، بيروت

البحث اللساني عند العرب

- 25- يوهان فوك - دراسات في اللغة واللهجات - ترجمة رمضان عبد التواب- دار النشر-
- 26- إبراهيم أنيس - من أسرار العربية- مكتبة الأنجلو المصرية 1987م
- 27- أحمد طنطاوي - نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة- دار المعارف النيل القاهرة
- 28- المبرد - المقتضب- تحق: محمد عبد الخالق عزيمة، القاهرة: نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1385-1388هـ
- 29- الحريري البصري- ملحة الإعراب- دار المنار-تونس-
- 30- السكاكي - مفتاح العلوم - شرح نعيم زرزور، دار الكتاب، بيروت، ط: 1، 1983
- 31- الزمخشري -المفصل في صنعة الإعراب- تحق: أبو ملحم، بيروت: دار مكتبة الهلال، 1993م ط: 1
- 32- ابن هشام الأنصاري- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك- بيروت: دار الجيل، 1979، ط: 5
- 33- الجرجاني - أسرار البلاغة- مطبعة وزارة المعارف استانبول 1954م
- 34- ابن عقيل - شرح الألفية -، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة السادسة دار الفكر، بيروت، 1974.
- 35- الزبيدي -تاج العروس- دار بيروت للطباعة والنشر
- 36- المرادي حسن بن القاسم- الجنى الداني في حروف المعاني-تحق: طه محسن الموصل 1976
- 37- لسان العرب -ابن منظور- دار بيروت للطباعة والنشر

البحث اللساني عند العرب

- 38- ابن خلدون - المقدمة - دار القلم 1980م
- 39- الصفدي - الوافي بالوفيات - تحق: خير الدين الزركلي وصلاح الدين المنجد، وشكري فيصل، بيروت
- 40- أبو عبد الله الذهبي - سير أعلام النبلاء - تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعي العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة 1413هـ، ط: 9
- 41- ابن خلكان - وفيات الأعيان - شمس الدين أحمد بن محمد، تحق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1968
- 42- محمد المبارك - فقه اللغة وخصائص العربية - دار الفكر للطباعة والنشر، ط 1981/7
- 43- الوطواط - غرر الخصائص الواضحة - طبع الكتاب مصر سنة 1284هـ دار الكتب المصرية
- 44- الحموي - حور العين - مقدمة المرحوم محمد زاهد كوثرى دار نشر للكتاب
- 45- إحسان عباس - ملاح يونانية في الأدب العربي - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت -
- 46- الزركلي - الأعلام - دار العلم للملايين - بيروت -
- 47- ابن الطقطقي - الفخري في الآداب السلطانية - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت -
- 48- النووي محي الدين بن شرف - تهذيب الأسماء واللغات - تحق: مصطفى عبد القادر عطا
- 49- جون ليونز - نظرية تشومسكي اللغوية - ترجمة: حلي خليل، دار المعرفة الجامعية 1995

البحث اللساني عند العرب

- 50- الذهبي - سير أعلام النبلاء- الذهبي - طبع بيروت، تحق: الشيخ شعيب الأرنؤوط ود. بشار عواد معروف.
- 51- ابن عباد-المحيط في اللغة- تحق الشيخ محمد حسن آل ياسين طبع في بيروت سنة 1994
- 52- ابن الغزي - ديوان الاسلام- تحقيق، سيد كسروي حسن، (بيروت: 1990م)
- 53- محمد سالم صالح- أصول النحو دراسة في فكر ابن الأنباري-دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة-
- 54- المرزباني - نور القبس- دار الحديث الكاملة-القاهرة
- 55- الألوسي - روح المعاني- دار إحياء التراث، بيروت
- 56- الطاهر بن عاشور - التحرير والتنوير- الدار التونسية للنشر 1984
- 57- الزركشي - البرهان- تحق: محمد أبو الفضل إبراهيم، 1952
- 58- ابن الأنباري - كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف-تحق محمد الدين عبد الحميد دار إحياء التراث العربي 1982م
- 59- الطبري محمد بن جرير-تفسير الطبري جامع البيان-تح: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر دار المعارف مصر
- 60- نضر الدين الرازي- تفسير الرازي - دار إحياء التراث - بيروت-
- 61- القرطبي محمد بن أحمد- الجامع لأحكام القرآن- دار الكاتب العربي القاهرة 1967
- 62- عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي -أنوار التنزيل وأسرار التأويل-

البحث اللساني عند العرب

- 63- الجصاص -أحكام القرآن - دار إحياء التراث- بيروت-
- 64- القفطي -إنباه الرواة - تحق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: م. دار الكتب) د.ت
- 65- الزجاجي - الإيضاح في علل النحو- تحق: د/ مازن مبارك دار الكتاب اللبناني بيروت،
1974
- 66- مصطفى أحمد عبد العليم- أثر العقيدة وعلم الكلام في النحو العربي-
- 67- محمد عيد - أصول النحو العربي- عالم الكتب، 1973
- 68- سعيد الأفغاني- من حاضر اللغة العربية- ط: 2-دمشق، 1971
- 69- نهاد الموسى- مقدمة في علم تعليم اللغة العربية-ط: 1-الرياض- دار العلوم للطباعة والنشر،
1984م
- 70- عبد الحميد دياب- تحقيق التراث العربي منهجه تطوره-منشورات سمير أبو داود المركز العربي
للصحافة - أهلا- القاهرة
- 71- عبده الراجحي - فقه اللغة في الكتب العربية- دار النهضة، بيروت، 1979م-
- 72- تمام حسان- الخلاصة النحوية- عالم الكتب، نشر توزيع طباعة مصر ط: 1/ 2000م
- 73- ابن الأنباري- أسرار العربية- تحق نخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، ط1/، 1995
- 74- ابن عصفور- الممتع في التصريف - نحق: نخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت
ط1978/1

البحث اللساني عند العرب

- 75- عمر بوحفص الزموري- فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف- ديوان المطبوعات الجامعية، 1991
- 76- أبو البقاء العكبري- الباب في علل الإعراب-تحق عبد الإلهنهان، دار الفكر دمشق سوريا، ط، 1995
- 77- عبد العزيز محمد حسن - مدخل إلى علم اللغة-دار الفكر العربي 2000م
- 78- محمد السعران - علم اللغة - دار الفكر العربي1962- القاهرة حلبي خليل - الكلمة دراسة لغوية معجمية-دار المعرفة- 1995
- 79- عطا محمد موسى- مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين - دار الاسراء للنشر والتوزيع الأردن - عمان-
- 80- خولة طالب الابراهيمى- مبادئ في اللسانيات - دار القصبه للنشر-الجزائر-
- 81- صالح بلعيد، مقالات لغوية - دار هومة، الجزائر- 2004-
- 82- التواتي بن التواتي- المدارس اللسانية - دار الوعي للنشر والتوزيع
- 83- التواتي بن التواتي- محاضرات في أصول النحو- دار الوعي للنشر والتوزيع -
- 84- مازن الوعر- جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب- مكتبة لبنان ناشرون الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان.
- البحوث والمقالات العلمية:

البحث اللساني عند العرب

- 86- المضمون به على غير أهله، مقال: مجلة الأزهر- المجلد 11.
- 87- جعفر دك الباب - محاضرة ألقاها بجامعة الجزائر سنة 1989م
- 88- حاج صالح، مستقبل البحوث العلمية في اللغة العربية وضرورة
- 89- صلاح الدين المنجد [مجلة معهد المخطوطات- السنة السادسة / القسم الثاني: 296 -
[298
- 90- بريهمات عيسى- الترجمة والتأويل- مجلة المترجم، جامعة وهران ص: 89 العدد 01
جوان 2001
- 91- استثمار التراث الخليلي، بحث ألقى في ندوة نظمها المعهد العالي للحضارة الإسلامية بوهران
(نوفمبر 98)

البحث اللساني عند العرب

فهرس الموضوعات

- 5 مقدمة:
- 9 - التعريف اللغوي لكلمة منهج:
- 9 - التعريف الاصطلاحي لكلمة منهج:
- 9 - منهج الخليل بن أحمد (100 - ت 175):
- 10 - منهجه في معجمه العين:
- 16 - مخارج الحروف عند الخليل:
- 21 - موقف المستشرقين من معجم العين:
- 22 - المستشرقون:
- 29 - الباحثون العرب:
- 30 - منهج الخليل في وضع علم النحو:
- 36 - الاسم:
- 39 - حد الاسم الإجمالي:
- 40 - الفعل:
- 41 - حد الفعل الماضي:
- 43 - حد الفعل المضارع:
- 45 - حد الفعل الأمر:
- 46 - نظرية العامل:
- 52 - أنواع العوامل:
- 53 - 1- العوامل اللفظية:
- 56 - 2- العوامل المعنوية:
- 56 - أنواع المعمولات:

البحث اللساني عند العرب

- 58 نماذج من التحليل النحوي:
- 58 1- حكم الاسم المرفوع بعد إذا الشرطية:
- 59 2- حكم تقدم الفاعل عن الفعل:
- 64 - منهج علم التصريف
- 64 - نشأة علم التصريف:
- 68 - أهم الكتب التي ألفت في علم الصرف:
- 68 - أسباب نشأة علم التصريف:
- 70 - التحليل الصرفي عند العلماء العرب:
- 74 أ- الهمزة:
- 75 ب - الميم:
- 76 ج - التاء والنون:
- 77 - الإبدال:
- 78 أ- إبدال الياء:
- 78 ب - إبدال الواو:
- 79 - الحذف:
- 80 - حذف الواو:
- 81 - الاشتقاق:
- 84 - منهج الخليل في علم العروض:
- 89 - التفعيلات وجوازاتها:
- 90 - تقسيم التفعيلات:
- 93 - الدوائر العروضية الخليلية:
- 101 - موقف المستشرقين والباحثين العرب المحدثين:

البحث اللساني عند العرب

- 110 - الفلسفة الإسلامية (علم الكلام) :
117 - النحو وعلم الكلام:
126 - النحو العربي والمنطق الأرسطي:
127 1- العامل في ضوء الفلسفة والمنطق:
128 - موقف ابن مضاء القرطبي:
129 2- القياس:
131 3- العلة:
134 - مدرسة إحياء التراث:
134 1- ظهور الطباعة في العالم العربي:
135 2- تحقيق التراث:
137 1- التيار التراثي التقليدي:
139 2- التيار الحدائي المجدد:
147 - العربية والمناهج الغربية:
148 - النظرية السياقية:
149 - تلخيص أفكار السياقيين:
150 - تمام حسان ونظرية القرائن:
150 أ- القرائن المعنوية:
151 ب- القرائن اللفظية:
156 - التراثيون المجددون:
157 - النظرية الخليلية اللسانية:
157 - الدوافع والأسباب
159 - علاقتها بالتراث اللغوي الأصيل:

البحث اللساني عند العرب

- 161 - المبادئ الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة:
- 162 1- مبدأ الوضع والاستعمال:
- 164 2- مبدأ الباب:
- 167 3- مبدأ المثال: SHEME GENERATEUR
- 169 4- مبدأ القياس:
- 171 5- مبدأ الأصل والفرع:
- 172 6- مبدأ الانفصال والابتداء:
- 173 7- مبدأ العامل:
- 177 - قيمة هذه النظرية وموقف الباحثين منها:
- 179 خاتمة:
- 181 فهرس المصادر والمراجع
- 189 فهرس الموضوعات